


# المجتمع الإسرائيلى المعاصر

دكتور
**عمرو عبد العلى علام**
كلية الآداب – جامعة المنوفية

# مقدمة

**يتميز المجتمع الإسرائيلى كتجمع من المهاجرين المستوطنين، بكونه فسيفساء مكونة من مجموعات بشرية تفصل بعضها عن بعض خيوط عرقية وثقافية وغيرها. وهو الأمر الذى خلق نوعاً من الارتباك والتخبط داخل المجتمع الإسرائيلى، ولم يستطع أحد، حتى الآن، أن يجيب عن ذلك السؤال الشهير: من هو اليهودى؟ وصارت معرفة هوية هذا المجتمع ضرباً من الخيال.**

**ولليهود بشكل عام رأيان متناقضان فى تعريف : من هو اليهودى ؟ حيث يرى المتدينون: أن اليهودى هو الشخص المولود لأم يهودية، أو الشخص الذى يعتنق الدين اليهودى وفقاً للقواعد المتبعة والمحددة فى الهالاخاه. أما الرأى العلمانى : فيرى أن كون الإنسان يهودياً لا يعنى بالضرورة كونه متديناً، بحيث يعتبر كل من يعبر عن مشاعر التبعية بثقافته أو تقاليده، أو نشأته أو ميوله، أو بالاضطهاد الذى عاناه، من المتوقع أن يكون يهودياً.**

**وتعتبر مشكلة الهوية[1] من أعقد المشكلات التى تواجه المجتمع الإسرائيلى كونه مجتمعاً**

---

((1) «الشخصية (والهوية) اليهودية» مصطلح يفترض وجود شخصية يهودية لها سماتها المحددة وهوية يهودية تختلف عن هوية المجتمعات التي يعيش أعضاء الجماعات اليهودية بين ظهرانيها، وهي مصطلحات ليست لها قيمة تفسيرية. فيهود الفلاشاه يختلفون بشكل جوهري عن يهود الولايات المتحدة: فيهود الفلاشاه يتحدثون الأمهرية — يتعبدون بالجعزية (لغة الكنيسة القبطية الإثيوبية) ولا يعرفون العبرية — لا يوجد لديهم حاخامات وإنما قساوسة ورهبان وراهبات يشغلون مركزاً قيادياً في الجماعة — لا يعرفون التلمود أو القبَّالاه ويضم كتابهم المقدَّس العهد القديم وبعض أجزاء من العهد الجديد — لا توجد لديهم انقسامات دينية — يتعبدون في مكان للعبادة يسمونه «المسجد» (حيث يخلعون أحذيتهم ويجلسون على الأرض) وهو يشكل مركز حياتهم — يرتدون الأزياء الإثيوبية — فلكلورهم هو فلكلور القبائل التي يعيشون بين ظهرانيها وعاداتهم هي عادات هذه القبائل — بشرتهم سوداء داكنة. أما يهود الولايات المتحدة فهم يتحدثون الإنجليزية وأقلية صغيرة منهم لا تزال تعرف اليديشية وبعضهم يدرس العبرية — معظمهم لا يتعبد وإن تعبدوا فهم يتعبدون بالإنجليزية وقلة تتعبد بالعبرية — المتدين منهم يتبع أبراشية يرأسها حاخام، يخضع لقرارات أعضاء الأبراشية في العادة (فهم الذين يعينونه ويدفعون راتبه) — معظمهم فَقَد علاقاته بالكتب المقدَّسة اليهودية، فهم لا يعرفون التلمود، وإن كان المتدينون يعرفون العهد القديم والتلمود والقبَّالاه.

لكل هذا لا يمكن القول بأن ثمة هوية أو شخصية يهودية واحدة تجمع بين يهود الفلاشاه ويهود الولايات المتحدة، وإن وُجدت عناصر يهودية مشتركة فهي ليست لها قيمة تفسيرية عالية. فكل من الشخصية الإثيوبية اليهودية والشخصية الأمريكية اليهودية تشكَّل في محيطه الحضاري بمعزل عن الشخصيات والهويات اليهودية الأخرى.

(أنظر: د. عبدالوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ).

يختلف اختلافاً بيناً عن سائر المجتمعات الأخرى، فتلك المجتمعات نشأت بالفطرة، وخضعت لعوامل التطور الطبيعي، وصيغت هويتها بناءً على عوامل تاريخية وجغرافية ونفسية واجتماعية موحدة، يرثها جيل تلو الآخر، ليقدم لنا فى النهاية شخصية مستقلة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بهذا المجتمع، وتمثله بانتماءها إليه .

وفى حقيقة الأمر لا يمكننا تطبيق مثل هذه المعايير على المجتمع الإسرائيلي، لأننا سنصطدم بالعديد من العراقيل التى تعوق استخدام النماذج الاجتماعية والنفسية المعدة مسبقاً من قبل علماء الاجتماع وعلم النفس لتطبيقها على أى مجتمع، فالمجتمع الإسرائيلى مجتمع تكدست فيه العديد من الأصول والأجناس واللغات والعادات والتقاليد، فبات مجتمعاً يفتقر للتجانس والهوية ويمتلىء بالتناقضات والصراعات التى لا تهدأ ولا تفتر.

ويختلف المجتمع الإسرائيلي عن سائر المجتمعات الأخرى فى كونه مجتمعاً يفتقر إلى الفطرة الطبيعية فى قيامه، ويفتقر إلى وحدة التاريخ ووحدة المكان، فأفراده أجناس مختلفة قادمة من الشرق والغرب، ومرّ كل منهم بعوامل تاريخية تتباين مع ما مر به رفيقه، بحيث استحال عليهم أن يصيغوا شخصية محددة الملامح، أو هوية مستقلة ثابتة الأركان موازية لتلك التى صاغتها الشعوب الأخرى.

وقد يعتقد البعض أن سمة مثل العدوانية قد تكونا محكاً للحكم على المجتمع الإسرائيلى، إلا أن هذه السمة لاتستطيع وحدها أن تشكل هوية مستقلة ومحددة المعايير لهذا المجتمع؛ لأننا قد نجدها سلوكاً مميزاً لمجتمع آخر . علاوة على أننا لا نستطيع أن نحكم على هوية مجتمع من خلال سمة معينة أو سلوك معين، بل ثمة مجموعة من العوامل والتفاعلات المشتركة يمكننا أن ننطلق منها لتحديد هوية أى مجتمع.

ولا تزال مشكلة الهوية، من أكبر المعضلات التى حاولت دولة إسرائيل أن تجد لها حلاً دون جدوىً، لقد واجهت إسرائيل خلال عمر الدولة الذى يجاوز الخمسون عاماً العديد من المشاكل والتناقضات التى لم تكن الصهيونية ولا قادة دولة إسرائيل يتوقعونها، الأمر الذى خلق العديد من التوترات والصراعات الثقافية والاجتماعية والطائفية والدينية والسياسية والأمنية داخل الدولة، وهو ما وضعها بالفعل أمام إشكالية واضحة بالنسبة لهوية الدولة.

ويعج المجتمع الإسرائيلى بالعديد من الهويات والشخصيات والفجوات الطبقية بين طوائف المجتمع الإسرائيلى، ومن مظاهر المجتمع الإسرائيلى التى سنتعرض لها فى هذا الكتاب:

## (ا) أنماط الشخصية اليهودية منذ ماقبل قيام الدولة وحتى الآن :

وفيها سنتعرف على السمات الشخصية لكل من (اليهودى الجيتوى، واليهودى الصهيونى، واليهودى الإسرائيلى، واليهودى الإسرائيلى المتدين، واليهودى الإسرائيلى المتطرف، واليهودى الإسرائيلى العلمانى).

## (٢) الصراع بين اليهود الشرقيين "السفارديم" واليهود الغربيين "الإشكنازيم":

من أبرز أشكال التمييز الاجتماعى فى إسرائيل الانقسام إلى يهود غربيين (إشكنازيم) ويهود شرقيين (سفارديم) ... ويتجسد هذا الانقسام فى الفجوة الطائفية التى تفصل بين الطرفين فى مجالات مستوى الحياة والتعليم والعمالة والثقافة والتمثيل على المستوى السياسى والعسكرى، كما تتجسد فى الانتخابات الإسرائيلية، حيث تحصد الأحزاب اليمينية معظم أصوات اليهود الشرقيين فى حين تعطى أغلبية اليهود الغربيين مرشحى الأحزاب اليسارية أصواتها.

وربما تعود الخصومة بين اليهود الشرقيين والأحزاب اليسارية إلى سيطرة حزب العمل – الذى يمثل صوت اليهود الإشكنازيم ذوى الأصل الأوروبى – على مقاليد الحكم منذ قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٧٧، وهى فترة لم يحظ فيها اليهود الشرقيون باهتمام مباشر بشئونهم الاجتماعية من قبل الحكومة الإسرائيلية اليسارية على كل المستويات الاجتماعية والثقافية والسياسية والتعليمية، بعكس الاهتمام البالغ بشئون اليهود الغربيين.

وتكمن هامشية اليهود الشرقيين داخل المجتمع الإسرائيلى فى اعتقاد اليهود الغربيين بأنهم أصحاب الحضارة الأرقى، على اعتبار أنهم من الصفوة الإسرائيلية وينتمى إليهم قادة الدولة من رواد الحركة الصهيونية التى نجحت فى إقامة دولة لليهود، وعلى اعتبار أن اليهود الشرقيين هم أبناء مجتمعات متخلفة وبيئات غير متحضرة، وليس عليهم سوى الانصياع والخضوع لمن هم أعرق حضارة وأعظم ثقافة، وهو أمر خلق نوعاً من الصراع بين هاتين الفئتين. ويمكن القول، إن الصهيونيين الأوائل أرباب الحضارة الغربية، الذين قامت الحركة الصهيونية على أيديهم، كان لهم دور بارز في تفاقم هذا الصراع، نظراً لتفاخرهم الدائم بأن الدولة قامت على عاتقهم فقط، مما حدا باليهود الشرقيين إلي الشعور بالدونية تجاههم، وبأنهم جيل مكمل للكيان اليهودي داخل الدولة الجديدة.

لقد بدا هذا الصراع واضحاً في احتفالات إسرائيل بمرور خمسين عاماً على قيامها. فكانت مظاهر الاحتفال تتحرك في اتجاهات مختلفة لتلقي الضوء على صور عديدة من صور هذا الاحتفال، حيث حرصت كل طائفة من الطوائف اليهودية المختلفة على إبراز بعد خاص تتمتع به ويرجع إلي البلد التي كانت تعيش فيه، فإذا بنا نجد احتفالات خاصة باليهود المغاربة، على سبيل المثال، واليهود الروس، وكافة الطوائف اليهودية المختلفة، ليبرز أمامنا في النهاية مدي انقسام ذلك المجتمع على نفسه فى صورة جماعات طائفية تحرص كل جماعة منها على هويتها الخاصة، ولا تسمح مطلقاً بطمس تلك الهوية، حتى وإن كان ذلك فى صالح الدولة التى تعيش فيها، وإن كانت هى الملاذ الوحيد لهم.

ويعبر " شلومو بن عامى " المغربى الأصل، والقيادى فى حزب العمل، عن ذلك الوضع الهامشى الذين يعيشه اليهود السفارديم فى لقاء معه بقوله : " جئت من مدينة طنجة وعمرى اثنا عشر عاماً، إننى مجنون بهذه المدينة... كما يتحدث عن (جرح الخمسينيات) الذى لا يزال مفتوحاً، عندما وصل وعائلته سنة ١٩٥٥ إلى فلسطين ضمن موجة هجرة جماعية لليهود الشرقيين، فرشوهم بمادة الـ د.د.ت. ثم نقلوهم إلى مكان هو لا مكان – على حد تعبيره– واشتملت شهادته أيضاً على تجربته فى معسكر حركة العمل : (نحن فى الداخل ولسنا فى الداخل)، مضيفاً أن ابن الطوائف الشرقية لا يزال يجد صعوبة فى الحصول على الشرعية الكاملة لوجوده داخل هذا المعسكر. ويذهب بن عامى إلى القول، بأن هذه الطوائف توجه احتجاجها وسخطها نحو حركة العمل لا نحو الليكود، لأن هذه الحركة هى التى قادت عملية التحديث طوال ثلاثين عاماً من دون أن تصل باليهود الشرقيين إلى الطمأنينة والمساواة.

وعن الوضع الاجتماعى الذى يعيشه هؤلاء اليهود الشرقيون فى إسرائيل يمكن القول، باعتبار اليهود الشرقيين قوة عاملة ورخيصة فهم ضروريين للتطور الاقتصادى لدولة إسرائيل، فأصبح الكثيرون منهم عمال بناء بأجور منخفضة. ثم أدت الأرباح العالمية، الناشئة عن الأجور المتدنية، إلى توسع سريع لشركات البناء التى يديرها اليهود الغربيون أو يملكونها. كما أن نظام التعليم فى إسرائيل القائم على الفصل وعدم المساواة، دخل دائرة التمييز ضد اليهود الشرقيين، فلليهود الغربيين، على العموم، ثلاثة أعوام من التعليم أكثر مما للشرقيين. وحضورهم فى المدارس العالية الأكاديمية يعادل ٤ر٢ ضعف، كما يبلغ خمسة أضعاف فى الجامعات.

لقد أدت هذه الأوضاع إلى مزيد من تفاقم الصراع بين اليهود الشرقيين واليهود

الغربيين، فالغربيين باعتبارهم ملح الأرض ينظرون نظرة دونية لهؤلاء اليهود الشرقيين، الذين يعتبرونهم درجة خامسة فى المجتمع الإسرائيلى.

## (٣) الصراع بين اليهود المتدينين واليهود العلمانيين:

وثمة صراع من نوع آخر ما زال يدور، حتى الآن، فى المجتمع الإسرائيلى، وهو الصراع بين اليهود الدينيين واليهود العلمانيين. وقد بدأت أبعاد هذا الصراع مع نشأة حركة التنوير اليهودية فى القرن التاسع عشر، والتى هدفت إلى تحطيم النفوذ الدينى وسيطرته واستبداده على النفس اليهودية من الداخل، وإلى تحطيم أسوار "الجيتو" الشاهقة التى كانت تفصل بين اليهود ووجوه الحياة العلمانية فى الدول التى كانوا يعيشون فيها.

ومن أجل تحقيق هذا الهدف وتحطيم الأسوار الداخلية للجيتو ولبناتها الدينية، كان تركيز هذه الحركة ودعاتها من الفلاسفة والأدباء اليهود على ضرورة تغير نظام التعليم الدينى والمزج بينه وبين التعليم العصرى القائم على منجزات العقل فى العلوم الطبيعية والإنسانية، وكان من الطبيعى أن تصطدم هذه الحركة مع السلطة الكهنوتية التى كانت تسيطر على كل وجوه الحياة اليهودية.

ومع انتقال اليهود من بلاد الشتات إلى فلسطين، انتقل معهم هذا الصراع واتخذ أبعاداً مختلفة. وقد شهدت السنوات الأخيرة فى إسرائيل نمواً كبيراً فى أعداد اليهود الدينيين ونفوذهم، وبخاصة بعد حرب يونيو (١٩٦٧)، الأمر الذى جعل اليهود العلمانيين يشعرون بأن الخطر يتهددهم واقترح بعضهم اقتسام إسرائيل بين الطرفين. وارتبط القلق بالانقسام الداخلى أكثر من الصراع الخارجى.

وهكذا، أصبح الانقسام اليهودى الدينى العلمانى من أكثر القضايا التى تقلق المجتمع الإسرائيلى، وبدأ يفرض تساؤلات عديدة تتردد بقوة داخل إسرائيل وخارجها منها، على سبيل المثال : هل إسرائيل دولة يهودية أم يهودية ديمقراطية ؟.. ومن الإسرائيلى ؟ هل هو يهودى خالص، أم إسرائيلى يهودى، أم يهودى إسرائيلى، أم إسرائيلى فقط ؟ خاصة وأن اليهود الدينيين المتشددين فى إسرائيل وخارجها يرفضون الاعتراف بإسرائيل كدولة علمانية.

وتبرز الانقسامات والصراعات الدينية والعقائدية فى إسرائيل، فى مناظر الاقتتال بين الجماعات الدينية اليهودية المتطرفة من جانب، واليهود العلمانيين من جانب آخر ... فعلى سبيل المثال يقوم اليهود المتزمتون والمتطرفون باقتطاع جزءاً من مدينة تل أبيب، ويقومون سياجاً حولها، لمنع اليهود العلمانيين من ركوب السيارات يوم السبت، على اعتبار أنه خروج

على الديانة اليهودية. ويصل الصراع إلى حد تهشيم السيارات وحرق بعضها لأن أصحابها من اليهود العلمانيين تجرأوا وأدارو محركات سياراتهم فى هذا اليوم الذى يحظر فيه الخروج أو العمل.

وهكذا، اتخذ الانقسام الدينى – العلمانى بين اليهود الدينيين واليهود العلمانيين صورة مخيفة ومزعجة بالنسبة للمجتمع الإسرائيلى، وأظهر هذا الانقسام مدى الانفصال التام والواقع الدينى الذى يعيش فيه اليهود المتشددون عن الواقع العام للمجتمع الإسرائيلى العلمانى، ومما يزيد من هذا الانفصال التام، أن اليهود الدينيين المتشددين لا يخدمون فى الجيش الإسرائيلى ولا يدفعون الضرائب، لأنهم يتفرغون لدراسة التوراة طوال اليوم ويحصلون على مبالغ باهظة لمدارسهم غير المعونات الاجتماعية الأخرى.

كما أن هناك ثمة اختلاف بين الجماعات اليهودية الدينية المتشددة – وهو ما يطلق عليهم فى إسرائيل (الحريديم) – وبين الجماعات اليهودية الدينية المتطرفة، حيث أن الأولى تسعى إلى خلق "جيتو" يهودى داخل الدولة، يحافظ على خصائص يهودية الشتات من حيث الثقافة فى اللغة والتشدد فى تطبيق الشريعة اليهودية. وتقف موقفاً معادياً من الصهيونية العلمانية. أما الثانية – الجماعات اليهودية الدينية المتطرفة – فهى من أصحاب المواقف الصهيونية السياسية القومية المتطرفة التى تسعى لاستيطان الأراضى الفلسطينية المحتلة باعتبارها ضمن حدود الوعد الإلهى أو ضمن الميراث الدينى والتاريخى لليهود.

ويرجع ادعاء هؤلاء بالحق الدينى لليهود فى أرض فلسطين إلى فكرة الوعد الإلهى لليهود بتخصيص هذه الأرض لهم وفقاً لما جاء فى العهد القديم من وعود، ويتلخص مضمون هذه الفكرة فى أن الآباء الإسرائيليين، ابتداء من آدم إلى نوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف، قد تلقوا وعوداً إلهية، وأن التاريخ الإسرائيلى اللاحق يعتبر المسرح الذى تحققت عليه هذه الوعود ... وقد تمت عملية ربط التاريخ اليهودى الحديث بالماضى من خلال التأكيد على تكرار هذه الوعود فى العهد القديم، بتكرار العهد المعطى لموسى، نبى اليهود، مع عدد من الآباء السابقين، ومن أهمهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب، بل العودة بفكرة العهد إلى نوح وآدم؛ حتى يصبح التاريخ اليهودى وحدة واحدة لا تتجزأ.

كما أن تنفيذ هذا العهد مرتبط بعمليات قتل وتشريد وسفك للدماء، والمثير للشك هنا أن هذه العمليات تتم بأمر من الرب ذاته، فحين كلم الرب موسى – كما ذهب مدون العهد القديم – أمره بطرد سكان كنعان وقتلهم، " فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم وتمحون جميع تصاويرهم وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة وتخربون جميع مرتفعاتهم، تملكون الأرض وتسكنون

فيها، لأنى قد أعطيتكم الأرض لكى تملكوها " (سفر العدد إصحاح ٣٣ : ٥٢)، " فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال، وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلوها" (العـدد إصـحاح ٣١ : ١٧). وتحدث سفر التثنية عن أسلوب تحقيق هذا الوعد الإلهى الذى منحهم تلـك الأرض مـن خـلال الاستيلاء على المدن وسفك دماء أهل البلاد.

وفى حقيقة الأمر، تثير عملية ربط هذا الوعد بالقتل والطرد والإبادة نوعاً من الـشك أو الافتراء على الذات الإلهية. وبالطبع، فإن صياغة مثل هذه الوعود وما تبعها من أوامر بالقتـل والطرد على هذا النحو يكون الهدف منها واضحا، فمن غير المعقول أن يوحى الرب لنبى مـن أنبيائه بالقتل وسفك الدماء والتخريب. وتجدر الإشارة هنا ، إلى أن هـذه القـوانين الخاصـة بأسلوب التعامل مع سكان هذه الأرض يتسلمها القادة الإسرائيليون كمصدر وحـى، وكـشريعة مقدسة لاستئناف البعث الإسرائيلى فى فلسطين، على أساس أن كل جريمـة تـصبح شـرعية وقانونية من أجل تحقيق وعد الرب. إن التناقضات التى ينطوى عليها العهد القـديم، يمكـن أن تؤلف وحدها كتاباً قائماً بذاته، لا يقل حجما عن الكتاب المقدس ذاته، ففى التـوراة مبالغـات لا يمكن قبولها إطلاقا.

## (٤) دور الحاخامات اليهود داخل المجتمع الإسرائيلى:

اتخذ الحاخامات اليهود من الوعد الالهى ذريعة من أجل شحذ همم الإسـرائيليين نحـو التمسك بهذه الأرض التى وعدهم الرب بها حسب ادعائهم، واتخذت فتاواهم منحنى خطر تجـاه التعامل مع الفلسطينيين أصحاب هذه الأرض بكل قسوة وعنف، بحيث أصـبح القتـل والهـدم والتخريب، وكأنه طقس من الطقوس البدائية التى عادت لتقدم قربانا للرب طمعا فى إرضـائه. وعلى سبيل المثال أعلن الحاخام العسكرى لإسرائيل موشيه جورن أن الحروب الثلاثة التى جرت بين إسرائيل والعرب خلال السنوات ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧، هى فى منزلة (الحرب المقدسة)، فأولها لتحرير أرض إسرائيل، والثانية لاستمرار دولة إسرائيل، أما الثالثة فقد كانت لتحقيـق نبوءات أنبياء إسرائيل.

وثمة نظرة عابرة تجاه دور الحاخامات داخل المجتمع الإسرائيلى، تكشف لنا عن الرعب الذى يتأجج فى قلوب اليهود من هؤلاء الحاخامات الذين تعد فتاواهم أمرا واجـب التنفيـذ دون أدنى مناقشة أو اعتراض. وربما يبين لنا حادث مقتل رئيس الوزراء السابق إسـحاق رابـين، مدى خطورة الدور الذى يلعبه الحاخامات اليهود، حيث كشفت التحقيقات التى أجريت مع " ييجال

عامير " قاتل رابين، أنه قتل رئيس الوزراء بناء على فتوى من أحد الحاخامات أبيح فيها إهدار دم رابين؛ لأنه كان بصدد التخلى عن الأرض الموعودة بموجب اتفاق مع الفلسطينيين.

وفى حقيقة الأمر، يلعب الحاخامات دوراً مهماً ورئيسياً فى تشكيل الوعى الدينى والسياسى كممثلين للديانة اليهودية بطابعها الكهنوتى المغلق، لاسيما أن من أهم وصاياها (اتخذ لنفسك حاخاماً). وهكذا، يفرض النص الدينى على اليهودى أن ينتمى لحاخام معين ويتبنى آراءه ويعمل على تنفيذ الفتاوى التى تصدر عنه، ويكون من مريديه واتباعه الدائمين الذين يترددون على دروسه وخطبه اليومية أو الأسبوعية.

وهكذا أيضاً، أقام الحاخامات دولة داخل دولة -إن صح التعبير - وتغلغلوا فى شتى نواحى الحياة وفرضوا كلمتهم التى يخشاها اعتى المسئولين الإسرائيليين بما فيهم رئيس الوزراء. ومن هنا تبقى الفتاوى الخاصة بـ(أرض الميعاد) مسألة غاية فى الخطورة يضعها أى رئيس وزراء إسرائيلى فى الاعتبار وهو ذاهب إلى مائدة المفاوضات، فما زال شبح مصرع رابين يطارد المسئولين الإسرائيليين المعنيين بالمفاوضات مع العرب، وبخاصة أن حاخامات اليهود ينظرون إلى من يعيد (للأعداء) أراضى تم تحريرها يعد خائناً يجب قتله. ودائماً ما تتسم الانتخابات الإسرائيلية بمحاولات لمغازلة الحاخامات وأحزابهم الدينية. فالحاخامات فى كل مكان، فى المحكمة الشرعية، وفى دور العبادة، وفى الجيش، وفى الكنيست، يرفضون ويقررون ما يشاءون. إنهم يلعبون دوراً بارزاً فى تشكيل السياسات التى تتبناها الحكومات الإسرائيلية. ويذهب بعض المحللين إلى أن عدد اليهود المتدينين فى تزايد مستمر، وذلك لنجاح الحاخامات فى ضم عشرات اليهود المأزومين نفسياً واجتماعياً إلى معسكرهم الدينى، ولدعواهم بزيادة النسل؛ حتى وصل عدد بعض الأسر اليهودية المتدينة إلى عشرة أو ثلاثة عشر فرداً.

لقد شكلت فتاوى هؤلاء الحاخامات وجدان النفسية الإسرائيلية، وتعاظمت، إلى أن تخطت حدود المعقول، حين تحدثت عن فتاوى الدم والقتل فى سبيل المحافظة على (الأرض المقدسة) أو (أرض الميعاد) التى وعدهم الرب بها، والمحافظة عليها تعنى إقامة وصايا الرب وإرضاءه، حتى وإن كان ذلك عن طريق قتل (الأغيار) واحتلال ديارهم وطردهم، معتمدين فى ذلك على بعض النصوص التوراتية التى يأمر فيها الرب بقتل النساء والأطفال وتخريب المرتفعات، كما جاء فى النصوص المقدسة (سفر العدد، ٣١ : ١٧).

وفى إطار ادعاء اليهود بالحق الدينى فى أرض فلسطين، مثلت فتاوى الحاخامات اليهود خطرا كبيراً على مستقبل الصراع العربى الإسرائيلى من ناحية، والصراع الفلسطينى الإسرائيلى

من ناحية أخرى. وثمة نظرة أخرى على فتاوى الحاخامات اليهود الخاصة بالأرض، تكشف لنا عن مدى خطورة هذه الفتاوى، لاسيما أنهم يستندون فى فتاواهم إلى ما ورد على لسان الرب، الذى من المفترض أن تكون كلماته موضع التنفيذ الدائم، فهذه الأرض هى أرض اليهود – حسبما يدعون – وهى أرض مقدسة وعدهم الرب بها ولا يمكن التفريط فيها تحت أى مسمى. وعلى سبيل المثال، يضع الحاخام الإسرائيلى مئير كاهانا شرعية دولة إسرائيل موضع السؤال، فهى فى نظره مستندة إلى أمر الهى، حيث يقول : (لو لم يكن الرب قد أمرنا بالعيش فى هذه البلاد، فما الذى أفعله هنا. إن هذه البلاد كارثة حقيقية سواء أكان ذلك على الصعيد الجغرافى أم المادى.. أنا لا أعيش هنا إلا لأن هناك وصية مقدسة بذلك).

ويذهب مئير كاهانا بتطرفه الدينى إلى ضرورة تطهير هذه (الأرض المقدسة) من أى وجود غير يهودى، وهو يرى أن السبب فى أن يكون المرء يهودياً، والسبب الذى يجعله يعيش فى إسرائيل لهما أصل مشترك هو الأمر الإلهى. وعليه فإن إقامة دولة يهودية – وهى وصية إلهية – وسيلة الحصول على ثقافة يهودية حقة، ولابد لذلك من تطهيرها من أى وجود غير يهودى.

ويذهب " إسحاق نسيم " حاخام إسرائيل الأكبر السابق، إلى أن " أرض إسرائيل هى الميراث المقدس لدى كل يهودى، ولا تملك أية سلطة دنيوية أو دينية القدرة على انقاض هذا الدعاء أو التقليل من شأنه. كما أن بعض الحاخامات لا يعترفون بوجود أراض عربية، ويستندون فى ذلك إلى ما ورد فى التوراة على أنها تراث الآباء إسحق ويعقوب، حيث يقول الحاخام تسفى يهودا كوك الابن : " إن هذه البلاد لنا، ولا توجد هنا أية مناطق عربية أو أراض عربية، بل أراض إسرائيل.. تراث الآباء الخالد، وهى – فى جميع حدودها الواردة فى التوراة – تابعة للحكم الإسرائيلى.

وينظر الحاخامات اليهود إلى الاتفاقيات المبرمة مع الفلسطينيين على أنها ملغاة ولا يمكن الاعتراف بها؛ لأنها تعطى أراضى الرب للغير، حيث يقول الحاخام شلومو : " السلام فى حد ذاته أمر محمود، لكن هذا لا يعنى تسليم أراضينا المقدسة للأعداء، أبناء إسماعيل، وتقضى الشريعة اليهودية بأن ما يحرره ملك إسرائيل من أراض لا يمكن التخلى عنها البتة، واليوم تقوم دولة إسرائيل مقام الملك، ومن ثم فالأرض التى يفرط فيها رئيس وزراء إسرائيل يجب استعادتها، والقصاص منه بتهمة الخيانة، أما الاتفاقية فهى باطلة، حيث سلم خائن من اليهود أراضى الرب للعرب، وعليه لا نلتزم بمثل هذه الاتفاقيات التى تخالف نصوص الدين اليهودى.

ويتضح موقف الشريعة اليهودية من إعادة الأراضى المحتلة إلى الفلسطينيين فى كلمات الحاخام "يوسف النكفاه " الذى يتعجب من إعادة تلك الأراضى التى تعنى إعادتها مخالفة للشريعة اليهودية، ويتساءل : " إننى لا أفهم من ذلك سوى أن يعيد لنا الجوييم (الأغيار) أرض إسرائيل من النيل إلى الفرات، أو على الأقل من الفرات حتى وادى العريش، وبالطبع يا حبذا لو حتى وادى النيل. وتسليم أرضنا للعرب حرام حرام حرام أن نتخلى عما وهبنا الرب إياه. ويؤكد ذلك ما جاء فى كتب الحاخام موشيه بن نحمان، وكتاب (نور الحياة) الذى تؤكد كل فقراته أن الرب وعد إبراهيم وإسحق ويعقوب بأرض إسرائيل. وإننى أتبنى مبدأ (الأرض مقابل الأرض)، بعبارة أخرى فى إسرائيل ملايين اليهود الذين تركوا بيوتهم فى مصر واليمن والمغرب وتونس وبغداد والهند، فليذهب الفلسطينيون إلى هناك وسيجدون مأوى بكل تأكيد. وقد ورد فى سفر العدد الإصحاح الثالث عشر : (ورثتم الأرض وأقمتم فيها، وقد منحتها لكم لتعمروها).

وهكذا، تبدو ملامح هذه الفتاوى الحاخامية، التى تبين لنا مدى عبادة (الأرض المقدسة) لدى هؤلاء الحاخامات وأتباعهم، وقد اتخذوا من نصوص الكتاب المقدس والتلمود حجة ليملوا على اليهود حتمية العمل بهذه الفتاوى، فالدفاع عن هذه الأرض هو واجب دينى مقدس لا يمكن التخلى عنه، بل محاربة الذين ينقضون هذا الواجب، وإن كانوا يهوداً، هو أمر مقدس حتى وإن كان هناك اضطرار لقتلهم. وقد وصف أحد الحاخامات الصراع العربى الإسرائيلى بأنه حرب دينية مقدسة تستلزم الدفاع عن الأرض المقدسة التى وهبها الرب لهم، حسب ادعائهم، وقد آثرنا أن نأتى بهذه الفتاوى بصرف النظر عن الانتماءات الحزبية أو السياسية لهؤلاء الحاخامات وموقعهم على خريطة الأحزاب والقوى الدينية فى إسرائيل، فما يهمنا فى المقام الأول هو موقف الدين اليهودى والحاخامات اليهود من النصوص التوراتية التى تحدثت عن الأرض، وكيف طوعوها لخدمة أهدافهم وأغراضهم السياسية التى تخدم اليمين الصهيونى المتطرف فى إسرائيل. ولنا أن نتصور مدى النشوة الدينية التى عاشها حاخامات اليهود بعد حرب ١٩٦٧، التى احتلت إسرائيل على أثرها أجزاء كبيرة من الأراضى العربية، فقد أرجعوا هذا الانتصار إلى (معجزة إلهية) ونظروا إلى هذه الأراضى على أنها (أراض محررة) من يفرط فيها خائن وجب قتله.

## (٥) دور الأدب الإسرائيلى المعاصر فى رصد الظواهر الاجتماعية:

ولأن الأدب، أى أدب، يعد مرآة للمجتمعات، ويعكس ما يعتمل فى النفس البشرية من مشكلات وقضايا، فهكذا كان الأدب الإسرائيلى المعاصر راصداً لكل هذه القضايا والإشكاليات

المعقدة التى يعج بها المجتمع الإسرائيلى. وتحدث نقاد الأدب كثيراً عن العلاقة التى تربط بين الأدب والمجتمع وأثبتوا أنها علاقة مهمة وحيوية، حيث يعد الأدب مرآة تعكس ما يعتمل فى النفس البشرية من مشاعر وأحاسيس. ولا شك أن الأدب كما يذهب "رينيه ويليك" نظام أجتماعي يصطنع اللغه وسيطاً له واللغه إبداع أجتماعى، وإذا كان الأدب يمثل الحياه فإن الحياه ذاتها حقيقة أجتماعية.

ومن هنا يمكن القول، إن غالبية المشكلات والظواهر التى تثيرها الدراسات الأدبية تعد مشكلات اجتماعية، ومن ثم فإن علم الاجتماع الأدبى والذى يهدف إلى دراسة الأدب كظاهرة اجتماعية مستعيناً فى ذلك بالمناهج والأدوات السائدة فى علم الاجتماع ، من أهم العلوم التى يمكننا من خلالها التوصل إلى دراسات جادة ومهمة عن أى مجتمع .

لقد شهد المجتمع الإسرائيلى خلال التسعينيات من القرن العشرين، نوعاً من التغيرات الاجتماعية الملموسة فى العلاقات الإنسانية بين الأفراد داخل المجتمع الإسرائيلى، كان سببها طبيعة المجتمع الإسرائيلى المتشرذم، الذى يحوى طوائف يهودية عديدة من شتى أنحاء العالم، وطبيعة الصراع العربى الإسرائيلى، وعلاقة الفرد الإسرائيلى بالأحداث السياسية المعاصرة.

وبالطبع، فقد انعكست هذه التغيرات الاجتماعية فى العديد من الأعمال الأدبية الإسرائيلية. فقد حاول عدد من الأدباء الإسرائيليين أن يصيغ علاقة جديدة بين الفرد والمجتمع الإسرائيلى من ناحية، وبين المجتمع الإسرائيلى والأدب من ناحية أخرى. وتبقى الرواية دوماً مجالاً خصباً ومثمراً لرصد الظواهر الاجتماعية لأى مجتمع، يساعدها فى ذلك حجمها وتعدد شخصياتها وعناصر البناء الروائى لها.

ويمكن لنا أن نرصد الظواهر الاجتماعية المختلفة داخل المجتمع الإسرائيلى من خلال عدد من الأعمال الروائية الإسرائيلية، أهمها على سبيل المثال رواية (بالجسد أنا أفهم) ٢٠٠٢، للأديب الإسرائيلى "دافيد جروسمان"، الذى يحتوى عمله هذا على نوفلتين، الأولى تحمل عنوان (جنون)، أما الثانية فتأخذ عنوان العمل الأدبى (بالجسد أنا أفهم). ويعكس "جروسمان" فيهما طبيعة الواقع الذى يعيشه الإسرائيليون، وعلاقة الأم بابنتها؛ وعلاقة الزوج بزوجته، وصورة المرأة الإسرائيلية داخل المجتمع الإسرائيلى.

وتأتى رواية (فتاة من ميشجان) ٢٠٠٣، للأديبة الإسرائيلية " حنا بات شاحار"، لتعكس لنا أيضاً طبيعة المجتمع الإسرائيلى المتدين، من خلال فتاة يجبرها أبوها الحاخام على الهجرة من شيكاغو بأمريكا وهى فى سن السادسة عشرة إلى إسرائيل. وفى إسرائيل تصطدم بالمجتمع

المتدين والمتزمت الذى تعيش فيه، وتصطدم بالقيود الدينية التى تتحكم فى مصائر الأبناء. تلك الفتاة تحاول أن تعيد تشكيل هويتها الممزقة وتبحث عن حريتها، ولكنها تفشل بفعل ذلك الجو الأسرى المتدين والمتزمت.

وتأتى، فى هذا المجال أيضاً، رواية ( أشلاء) ٢٠٠٢ للأديبة الإسرائيلية " أورلى كاستل بلوم " لتعكس لنا الواقع الاجتماعى والإقتصادى للفرد الإسرائيلى، وانتشار معدلات الفقر بظهور أعداد ضخمة من الأسر الإسرائيلية التى تعيش تحت خط الفقر فى ظل اهتمام الحكومة الإسرائيلية بالجانب الأمنى فقط على حساب تحسين مستوى الدخل للفرد الإسرائيلى.

كما عكست هذه الرواية الوضع النفسى السيئ الذى يعيشه هذا المجتمع، فهل هى احدى شخصيات الرواية تسمى ألبناءها "عوز" و"اوشر" و"حيروت" ، وكأنها تبحث عن "الملاذ" و"تالسعادة" و"الحرية" دون جدوى ( الرواية ص٢٢٧ ).

وعلى سبيل المثال أيضاً، عالج الأديب الإسرائيلى المعاصر أ. بيت يهوشواع الكثير من القضايا السياسية والمشكلات الاجتماعية التى يعانى منها المجتمع الإسرائلى، وشكلت قضية الصراع بين اليهود الشرقيين – باعتباره شرقى – واليهود الغربيين جل اهتماماته الأدبية، واحتلت هذه القضية عدداً كبيراً من أعماله الأدبية، بالإضافة إلى إشكالية تأثير اليهود الدينيين فى المجتمع الإسرائيلى، والمشكلات التى يسببونها للقادة المسئولين فى إسرائيل.

لقد عبر يهوشواع فى روايته מולכו (مولخو)، والتى صدرت عام ١٩٨٧، عن الانقسام الواقع بين اليهود الدينيين والعلمانيين فى إسرائيل، والذى اتخذ صورة مخيفة ومزعجة بالنسبة للمجتمع الإسرائيلي، وأظهر هذا الانقسام مدى الانفصال التام للواقع الدينى الذى يعيش فيه اليهود المتشددون عن الواقع العام للمجتمع الإسرائيلي العلمانى. وامتلأت هذه الرواية بصور عديدة من صور الاقتتال والضرب باللكمات بين اليهود الدينيين واليهود العلمانيين تدور كلها حول حرمة يوم السبت، وقد عبر يهوشواع عن سخريته من هذا الوضع المربك. ويشير يهوشواع كذلك فى هذه الرواية إلى ما يحدث للسيارات من تحطم أثناء مرورها فى يوم السبت، حيث يعتبر اليهود الدينيون أن ذلك تدنيساً لحرمة ذلك اليوم : "ولكنه ما أن لمح رجلاً يرتدى ملابس سوداء-إشارة إلى اليهود الدينيين – يتجه نحوه، حتى أوقف محرك السيارة على الفور. وقرر أن يسير مترجلاً فى هذا المكان، حتى لا يتعرض لخطر قذف سيارته بحجر ".

وعبر يهوشواع كذلك فى روايته هذه عن مبالغة الحاخامات فى تطبيق الشريعة اليهودية فى إسرائيل وأثر ذلك فى مدى الانقسام الفاعل بين اليهود الدينيين والعلمانيين، فى إشارة إلى

تدخل الحاخامات فى كافة الشئون الحياتية والداخلية للفرد اليهودى الإسرائيلى. ويصف يهوشواع اليهود الدينيين، فى هذه الرواية، بأنهم أناس قساة فى معاملاتهم، علاوة على أنهم ينجبون الأطفال بكثرة : "إنهم أناس قساة لا يستلهمون مبادئهم من الكتب بل مما هو شفوى، لقد طالبوه لعدة سنوات بالزواج من امرأة أخرى شريطة أن تنجب أطفالا؛ لأنه بدون أطفال يصبح عالمه معيباً، وفهمه ناقصاً ".

وقد عبر أيضاً الأديب الإسرائيلى المعاصر مئير شاليف عن شوكة هؤلاء اليهود الدينيين داخل المجتمع الإسرائيلى من زاوية الصراع العربى الإسرائيلى، وذلك فى روايته עשו (عيسو) التى صدرت عام ١٩٩١، وفيها تعامل مع العهد القديم فى الرواية على أنه مجموعة من القصص الأسطورية غير الموثوق فيها. وهو الأمر الذى جعل شاليف يتعرض لهجوم عنيف من قبل بعض النقاد الإسرائيليين، ومن دوائر اليمين الصهيونى المتطرف، واتهمه بعض النقاد بأنه يعمل من أجل هدم الأساطير القومية التى آمن بها الشعب اليهودى على مر العصور، واعتبرها مصدراً مهما للتاريخ اليهودى.

ويشير لنا عنوان هذه الرواية إلى أنها تتعرض لقصة الصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين على خلفية قصة اغتصاب " يعقوب " للباكورة من أخيه البكر " عيسو "، وهو ما أدى إلى احتدام الصراع بينهما. كما أنها تتناول قصة الخصومة بين توءمين على تركة والدهما من خلال التعرض لأسرة خبازين، ولم تقتصر الخصومة على التركة فقط، بل امتدت لتشمل المرأة أيضاً والصراع عليها باسم الحب. إنها رواية تحكى لنا عن التنازل الكبير الذى حدث، والذى لم يكن تنازلاً عن الباكورة فحسب، بل هو تنازل عن المرأة والحب، وعن المخبز والخبز. إن هذا التنازل لم يكن فقط تنازلاً عن الأرض، أى فلسطين، بل أيضاً تنازل خاص عن الحياة بصفة عامة. ورواية (عيسو) هى بمثابة امتداد طبيعى لرواية أخرى صدرت قبلها لذات الأديب عام ١٩٨٨، وهى (رواية روسية) فى محاولة تحطيم الأساطير التى اعتمدت عليها الصهيونية ورفضها؛ حيث تواصل رواية (عيسو) هذا النهج من حيث انتهت رواية רומן רוסי (رواية روسية)؛ فبعد أن جعل شاليف حقوق الشعبين (الفلسطينى واليهودى) فى روايته (رواية روسية) على قدم المساواة، انتقل فى رواية (عيسو) ليفند مزاعم اليمين الصهيونى المتطرف الذى يقوم بنهب الميراث، مطالبا برفع الغبن الذى وقع على نسل عيسو من الأبناء الذين ذاقوا مرارة أطماع يعقوب ونسله. وهكذا فقد اهتم شاليف فى الروايتين بالإعلان عن فشل الصهيونية وفشل مشروعها الأساسى، وهو دولة إسرائيل.

وتشير أحداث رواية (عيسو) والحبكة الدرامية بها إلى أن شاليف اعتمد فى كتابته لهذه الرواية على الخلفية التوراتية لقصة الوعد الإلهى بالأرض التى منحها الرب ليعقوب، والخصومة والنزاع بين عيسو ويعقوب، واتخاذها رمزاً للصراع الدائر بين الفلسطينيين والإسرائيليين فى العصر الحديث.

ويمكن القول أيضاً؛ إن شاليف يواصل فى هذه الرواية نقده للصهيونية فى اعتمادها على الأساطير الدينية والتاريخية واتخاذها كحل للصراع الدائر بين الفلسطينيين واليهود، فإذا كان قد فند ادعاء الحق التاريخى لليهود فى فلسطين فى רומן רוסי (رواية روسية)، فإنه يفند هنا ادعاء الحق الدينى أيضاً، فى تأكيد شديد اللهجة على رفضه لهذه الأساطير التى فطمت الصهيونية الأجيال اليهودية اللاحقة عليها. وهو بذلك يعبر عن فشل الصهيونية، ويحذر اليمين الصهيونى المتطرف من الاعتماد على مثل هذه الأساطير؛ لأن إبقاء التركة فى يد أحد الأخوين كحل سهل للصراع لن يبقى طويلاً، ويؤكد على أن الجولة الثانية فى الصراع سوف تكون لصالح الفلسطينيين עשו (عيسو).

كما عبر الأديب الإسرائيلى يهوشواع كذلك، باعتباره من اليهود الشرقيين، فى روايته (مولخو)، والتى صدرت عام ١٩٨٧ عن ذلك التفاوت الرهيب فى المعاملة من قبل الدولة لليهود الشرقيين، وعن نظرة اليهود الغربيين لليهود الشرقيين على أنهم جيل مساعد ومكمل لهم، إذ يقول فى الرواية : " إنني سفارادي قديم، جيل خامس في البلاد ". وقد كشف يهوشواع فى هذه الرواية أيضاً عن ذلك الوضع المتدهور الذى يعيش فيه الإسرائيليون الشرقيون وعدم اهتمام الدولة بهم، وأظهر طبعة المناطق التى يعيش فيها اليهود الشرقيون، والتى ترجع أصولهم إلى الهند وتونس وجنوب أفريقيا، ويعمل أفرادها فى الزراعة، بينما يعمل نساؤها فى إصلاح الأحذية، وهو وضع مذل لم يشعر به اليهود الغربيين، على الرغم من أنهم يعيشون فى دولة واحدة دائماً ما تتشدق بالعدل والمساواة وحقوق الإنسان، إذ عكس لنا يهوشواع حقيقة المناطق التى يعيش بها اليهود الشرقيون فى إسرائيل، والإهمال الواضح من قبل الحكومة الإسرائيلية تجاه هذه الأماكن التى يعيشون بها . ويؤكد يهوشواع كذلك على تلك النظرة الفوقية التى ينظر بها اليهود الإشكنازيم تجاه السفاراديم، فالأعمال الحقيرة من نصيب السفاراديم فقط، فهم هنا فى إسرائيل لخدمة الإشكنازيم.

عمرو عبدالعلى

# الفصل الأول

## أنماط المجتمع الإسرائيلي المعاصر

# مراحل تطور الشخصية اليهودية

إذا كان الوجود الإنساني لأى شعب وجماعة لا يمكن فهمه إلا في إطار الأنساق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية لهذا الشعب أو تلك الجماعة، فإن التعرض للشخصية اليهودية في هذا الإطار يصبح أمراً معقداً بقدر تعقد هذه الشخصية التى تمتد جذورها، وتتحدد خصائصها في إطار من الظروف والعوامل المتداخلة والمتناقضة التى تتصل اتصالاً مباشراً بواقع الظروف التى تعرضت لها الأقليات اليهودية في العالم، وهى ظروف كانت تختلف تماماً من بلد إلى آخر، بحيث يصعب تصور أى واقع تاريخى مادي مشترك بينها... وعلى هذا الأساس فإن الحديث عن " شخصية يهودية " بين الأقليات اليهودية المبعثرة عبر تضاريس الكون البشرى، والتى تخضع لتأثيرات ثقافية ولغوية متباينة، وهو مثل الحديث عن تاريخ مشترك لهذه الأقليات، يعتبر من قبيل الإبحار في محيط هائل ملئ بالجذر والشعاب التى لم تكتشف بعد [١].
ذلك لأن " الشخصية " هي صيغة منظمة نسبياً لمجموعة من الخصائص الجسمية والوجدانية والنزوعية والإدراكية التى تميز الفرد عن غيره من الأعضاء. ويفترض أن الشخصية الفردية، في جوانب عديدة منها، هي نتيجة عملية تفاعل مركبة بين الإنسان الفرد من جهة، وبنيان مجتمعه وثقافته وتاريخه وبيئته الطبيعية والاجتماعية من جهة أخرى [٢].

ولكى نتفهم الشخصية اليهودية ومراحل تطورها عبر العصور المختلفة التى عاش فيها اليهود منذ فجر التاريخ وحتى ما بعد قيام دولة إسرائيل، ينبغى علينا أن نعى تماماً أن هذه الشخصية قد صيغت أو تشكلت لأهداف سياسية أو لظروف اجتماعية واقعية أثرت بعمق فى تكوين هذه الشخصية فى مراحل التاريخ المختلفة، حيث اختلفت سمات هذه الشخصية وفقاً للزمان والمكان وكذلك الأحداث التى عاشها اليهود أو حتى شاركوا فيها.

فقبل قيام الدولة كان اليهود يعتبرون كياناً دينياً مبعثراً فى الشتات فحسب، وهم آنذاك كانوا أقلية يعيشون فى بلدان مختلفة بسمات واحدة فيما بينهم بصرف النظر عن المشكلات المختلفة التى تعرضوا إليها بسبب هذه السمات، وبرزت فقط " الشخصية اليهودية الجيتوية" –

---

(١) د. رشاد عبدالله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، عالم المعرفة ، إصدار المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب،الكويت،العدد (١٠٢ )، يونيو ١٩٨٦ (ص ٩).

(٢) د. عبد الوهاب المسيرى: من هو اليهودي ؟ دار الشروق،القاهرة، ١٩٩٧، (ص ٩).

نسبة إلى المناطق الانعزالية التى كان يعيش فيها اليهودى آنذاك فى بلاد الشتات والتى كان يطلق عليه مسمى الجيتو(١)- أو " الشخصية اليهودية الشتاتية" . وبعد قيام دولة إسرائيل صار " اليهودى الجيتوى" إسرائيلياً يتميز أو ينبغى أن يتميز بسمات شخصيةجديدة تعيش فى مجتمع جديد يختلف تماماً عن المجتمعات التى كان يعيش فيها فى بلاد الشتات، إنه واقع جديد ارتمى فى أحضانه فجأة وتطلب منه أن يذوب فيه بكل مشاعره وحياته. وهو واقع اجتماعى نتج عنه شخصيات جديدة وعديدة يلتصق بها فقط كلمة " يهودى" فصار هناك " اليهودى الصهيونى" و" اليهودى الصهيونى الإسرائيلى" و" اليهودى الإسرائيلى المتدين" و" اليهودى الإسرائيلى المتطرف" ، وأصبح المجتمع الإسرائيلى كما لو أنه لوحة تعج بالألوان غير المتناسقة وبمجموعات بشرية تفصل بعضها عن بعض خيوط عرقية وثقافية مختلفة. وعلى هذا الأساس، يمكننا أن نتتبع المراحل المختلفة لتطور الشخصية اليهودية عبر النقاط التالية:

## (اليهودي الجيتوى):

لقد عاش اليهود عبر عصور مختلفة في العديد من البلدان، واتخذت أقامتهم في الشتات صوراً عديدة من الانعزالية، كان أشهرها هو " الجيتو " . وكانت حياتهم في هذه البلدان تدور داخل جدار عال من الخصوصية والفردية يصعب اختراقه أو تسلقه، اعتقاداً منهم بأنهم أسمى العناصر العرقية، ولابد وأن تدور عقائدهم وعاداتهم وسلوكياتهم في إطار من السرية المطلقة، فكان لهم كيانهم الخاص تقوقعوا في داخله ورفضوا الانفتاح أو التعامل مع غير اليهود، ورحبوا بحياة العزلة الدينية والنفسية والاجتماعية والثقافية داخل أسوار " الجيتو " . ومع مجيء حركة التنوير اليهودية (١٧٨٠ - ١٨٨٠) - " الهسكالاه (*) " - ومناداتها بالانفتاح وبالانصهار في المجتمعات التى يعيشون فيها، طرأ تحول جذري لصورة (اليهودي

---

(١) الجيتو: يعتبر الجيتو أشهر الأشكال الانعزالية اليهودية فى العالم، وهو عبارة عن حى أو عدد من الشوارع المخصصة لإقامة اليهود. أما بالنسبة لأصل الكلمة فمن المحتمل أن تكون قد استخدمت لأول مرة لوصف حى من أحياء البندقية، والذى يقع بالقرب من مسبك لصهر المعادن يسمى "جيتو أو جتو "كان محاطاً بأسوار وبوابات وخصص كمكان لإقامة اليهود عام (١٥١٦).

(*) الهسكالاه: هي حركة تنوير يهودية نادت بانفتاح اليهود واندماجهم اجتماعياً وثقافياً ولغوياً بالأمم التي يعيشون بينها، وطرحت تعديلات جذرية في الدين اليهودي والعبادة، وكان من روادها اليهودي الألماني "موسى مندلسون "الذي قام بالترجمة الألمانية للعهد القديم، وذلك في محاولة للتخلص من سيطرة الدين اليهودي على مجريات الحياة اليهودية، وكان شعار الهسكالاه في روسيا هو (كن يهوديا في بيتك وأنساناً خارج بيتك).

**الجيتوى)، وأحدثت هذه الحركة ضجة عارمة داخل الأوساط اليهودية الشتاتية، ما بين مؤيداً لها ومعارضاً لمبادئها. وبعد ذلك ومع توالى ظهور القوميات في أوربا وفشل حركة " الهسكالاه" ، سطع نجم الصهيونية على مسرح الأحداث في نهاية القرن التاسع عشر، وبدأ الإعداد لمرحلة الاستيطان الصهيوني على ارض فلسطين.**

**واعتباراً من مرحلة الاستيطان الصهيوني في فلسطين، وبالذات خلال فترة الهجرتين الثانية (١٩٠٤، ١٩١٤) والثالثة (١٩١٩، ١٩٢٤) بدأ التبشير بالنموذج اليهودي الجديد المتمثل في صيحة " أخر يهودي وأول عبري " والتى تمخضت عنها بعد ذلك شخصية " الصبار (١)" ، وهى الشخصية التى تبلورت من خلالها شخصية " اليهودي الإسرائيلي "(٢). ومن هنا، ومع محاولة خلق نموذج يهودي جديد يستطيع أن يلبى مطالب تلك المرحلة، بدأ النظر إلى " اليهودي الجيتوى " في الأدب الإسرائيلي نظرة سلبية تنطوي على كثير من الذل والمهانة، فصارت شخصية ممقوتة ومنبوذة، ورمزاً للاضطهاد اليهودي تارة، وممثلاً لمشاعر الاغتراب على أرض فلسطين تارة أخرى.**

**ويمكن القول ولتلك الأسباب، بدت ملامح " اليهودي الجيتوى " في الأدب العبري الإسرائيلي لتتسم بالضعف والخنوع مثل أنه: أحدب ونحيف، ذو نظرة غريبة، ضعيف ومتمارض، عيناه عصيتان، لديه ضفائر سوداء وذقن، شاحب، وإذا كان بالغاً تظهر عليه علامات الشيخوخة مثل الرعشة أو التجاعيد، ويرتدى ملابس تقليدية أوربية باهتة وبالية، وعلى رأسه قبعة أو طاقية. ومن حيث شخصيته فهو منغلق وغريب في كل مكان، يستولي عليه**

---

(١) الصبار: أخذ ذلك المصطلح يتردد فى أعقاب الحرب العالمية الأولى مباشرة واستخدم للمرة الأولى فى مدرسة "هرتسليا "الثانوية فى تل أبيب، وهى مدرسة كانت تضم بين تلاميذها اليهود شباناً من مواليد فلسطين إلى جانب الذين هاجروا مع أبائهم، والذين كانوا غالباً ما يتفوقون على أولئك المولودين فى فلسطين بسبب قدومهم من حضارة أكثر تقدماً. وفى محاولة لتعويض الشعور بالنقص كان اليهود من مواليد فلسطين، يلجأون إلى الإمساك بثمرات التين الشوكى وتقشيرها بأيديهم، ويدخلون فى مسابقات التقشير هذه مع أبناء المهاجرين، وكانت تنتهى عادة بأن يكسب أبناء اليهود من مواليد فلسطين هذا التحدّى، ويتمكنون من نزع القشرة الشائكة ليحصلوا على الثمرة الحلوة. ومن هنا التصقت كلمة "التين الشوكى "(الصبار) بهذه الفئة من اليهود مواليد فلسطين ، ثم انتشرت التسمية لتغطى ما يسمى بجيل "الصباريم "الذى أصبح يقصد به أولئك اليهود الذين ولدوا فى فلسطين رغم تخلفهم الحضارى، إلا أنهم أكثر قدرة على تحمل المشاق.

(٢) د. رشاد عبدالله الشامي: الشخصية اليهودية في أدب إحسان عبد القدوس ،دار الهلال، العدد ٤٩٦ / أبريل ١٩٩٢، (ص ٨٥).

الخوف والشك، يبتعد عن الناس، ديني تقليدي ثقيل، ويفتقد إلى اليقظة والنشاط، ليست لديه ثقة في الذات، منحط، هادئ، متواضع، صامت، خجول، ومرتبك، يلتزم بالآداب، ومنصاع، متكرر ولا يستمتع بالمباهج، تظهر عليه آثار مشكلة، تلميذ مجتهد يعمل في الروحانيات (١).

## (اليهودي الجيتوى) في أعمال عاموس عوز الأدبية:

ظهر (اليهودي الجيتوى) في أعمال الأديب الإسرائيلى عاموس عوز الأدبية يحمل الكثير من الصفات والملامح التى عبر عنها بعض الأدباء الإسرائيليين في الأدب العبري الإسرائيلي، كما صورت هذه الشخصية في أعماله على أساس الواقع التى وجدت نفسها فيه بعد انتقالها إلى أرض فلسطين، حيث صارت مشاعر الاغتراب والأشواق الزائدة إلى بلاد الشتات أهم السمات التى تميزت بها شخصية " اليهودي الجيتوى " فى الأدب الإسرائيلى وفي أعمال عوز الأدبية. وعلى هذا الأساس فإن ملامح هذه الشخصية تتحدد معالمها وفقاً للمحاور الآتية:

## أولاً: الملامح الخارجية:

### (١) البنيان الجسماني:

تبدو شخصية (اليهودي الجيتوى) في أعمال عوز كشخصية ضعيفة، وواهنة، وهشة، وطاعنة في السن. فيطالعنا القاص في قصة **אש זרה** (نيران غريبة) بأول ملمح من هذه الملامح قائلاً:

<< كان وجه " ليلى ديننبرج " بارداً وهادئاً. (٢)>>

ويقول أيضاً:

<< كان جسدها دائماً واهناً، وشعرها أشقر طبيعي، ولم يكن في الحقيقة نشيطاً، وبخلاف ذلك فهو غزير وثقيل، أنفها مستقيمة وصارمة، عيناها زرقاوتين حادتين. (٣)>>

وفى رواية **לגעת במים לגעת ברוח** (لمس المياه، لمس الرياح) بدا " فومرانتس" الشخصية الرئيسية في هذه الرواية، بهذه الأوصاف التى تدل على الضعف والخنوع:

---

(١) د. رشاد عبدالله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص ١٠٦).

(٢) עמוס עוז: ארצות התן,הוצאה עם עובד, תל אביב, הדפסה שביעית, 1982, עמ'112.

(٣) שם, עמ'113.

<< كان ذلك الإنسان قصير القامة، ذو عينين صغيرتين، وفكين غليظين يوحيان بالشر تقريباً. (١)>>

وفى قصة ארצות התן (بلاد ابن آوى) وصفت الشخصية الرئيسية في القصة بنفس هذه الأوصاف:

<< كان " متتياهو دمقوف " رجلاً صغيراً ونحيفاً، ذا بشرة قاتمة، كله عبارة عن عظـــام وعضلات، عيناه ضيقتان غائرتان، وفكاه مقوستان قليلاً. (٢)>>

وتشبهه " جليلة " في هذه القصة بالقرد:

<<.. وجسم " متتياهو " الذي يشبه القرد أثار فيها شيئاً ما. (٣) >>

وفى رواية מיכאל שלי (عزيزي ميخائيل) تصف " حنة " شخصية جيتوية أثارت فزع ابنها في الأتوبيس قائلة:

<< جلس على مقعد مجاور لنا رجل مخيف من مشوهي الحرب أو ربما لاجئ من أوربا. كان وجهه مجعداً، وإحدى عينيه مقلوعة، وكان منظر فمه فظيعاً، وبلا شفتين، ولذا ظهرت كل أسنانه. (٤) >>

وفى قصة סומכי (سومكى) يصف عوز (اليهودي الجيتوى) كقصاصة مـــن الـــورق، ليبين مدى الضعف الذي يتصف به:

<< كان شاباً أبيض نحيفاً، قصير القامة، وهيئته تبدو كما لو كانت قصاصة من الورق، وشعره مائل للبياض، وعيناه حمراوتان مثل عيون الأرنب >> (٥).

وتبدو شخصية " كيفنيس " أحد أبطال رواية הר העצה הרעה (جبل المكبر) بملامح الضعف والنحافة، وضعف النظر:

---

(١) עמוס עוז : לגעת במים לגעת ברוח,רומן, הוצאת עם עובד, תל אביב, 1973 עמ'5 .

(٢) עמוס עוז: ארצות התן, עמ'11 .

(٣) שם , עמ'17

(٤) עמוס עוז: מיכאל שלי, רומן, הוצאת עם עובד, תל אביב,1973 עמ' 98 .

(٥) עמוס עוז: סומכי, הוצאת עם עובד, תל אביב,1978, עמ'3 .

<<.. وبين السروال والصندل ظهرت ساقاه [illegible] حسف نظارته المستديرة، بدت عيناه كبحيرتان زرقاوان هادئتان في [illegible] (١)>>

ويشبه عوز إحدى السيدات بالطيور البطيئة:

<< كانت " ليوبوف " فتاه قصيرة وبدينة، ذات وجه بنى وذقن مدببه تشبه [illegible] من الطيور البطيئة، وكانا ثدياها ضخمتين بحيث دفعا فستانها من الأمام بشكل يدعو [illegible] الفجور تقريباً. (٢) >>

كما بدت شخصية " مدام يفروفا " في هذه القصة بشكل أكثر سلماً:

<< كانت مثل مطربة الأوبرا العجوز، وكان لها شارب قصير يميل إلى اللون الرمادي، وحاجبان كثيفان سوداوان. (٣) >>

## (٢) الملابس:

ظهر (اليهودي الجيتوى) في أعمال عوز يرتدى الملابس الأوربية المعروفة:

<< ظهر السيد " قاديشمان " كالحاً ومنفحلا، ومرتديا معطفاً من الفرو الروسي.(٤)>>

ويطالعنا القاص بملابس " كيفنيس " بطل رواية הר העצה הרעה (جبل المكبر) قائلاً:

<< هكذا تحدثت مع أبى، الذي كان يرتدى قميصه الأبيض المتدلي على سرواله الكاكي، ذا الياقة المفتوحة، وصندله التوراتى. (٥)>>

<<.. ومع أول ضوء، ارتدى أبى السروال الكاكي الطويل، والصندل. والقميص الأزرق المكوي ذا الجيوب الواسعة، ثم ذهب إلى العمل. (٦)>>

---

(١) עמוס עוז: הר העצה הרעה, שלושה סיפורים, הוצאת עם עובד, תל אביב 1979, עמ' 35.

(٢) שם, עמ' 39

(٣) שם, עמ' 40

(٤) עמוס עוז: מיכאל שלי, עמ' 132 .

(٥) עמוס עוז: הר העצה הרעה, שם. עמ' 6.

(٦) שם, עמ' 8.

<<.. وفى الشتـــــاء كان يرتدى سروالاً قطـــــنياً بنى اللون، ومعطفاً، وقبعــة.. أما في ليالي السبـــت، وبعد الحمـــــام، فكان يظهر بقميص أبيض، وسروال ماركــة "أتــا" رمادي اللون. (١)>>

وقف أبى مذهولاً ومتعباً بسرواله الكاكي القصير، وقميص ماركة " أتا " >>(٢).

ولم تكن مـــــلابس اليهـــــودي الجيتـــــوى مهندمة أو منسقـــــة، فقد كانـــت مـــــلابس " ليوفوف بنيمينا " مهملة وبالية:

<<.. ومع هذا، كانت مهملة في ملابسها وسلوكياتها بعدما تملك منها اليــأس بصـــورة دائمة، فتجد في فستانها زراراً ضعيفاً ثبت بصورة سيئة، وبقعة زيت تميل إلى اللون الأصــفر على طرف فستانها ذى الطراز الفينى. (٣)>>

ولا يراعى (اليهودي الجيتوى) حالة الجو في ملابسه، فهو يرتدى ملابس ثقيلة في جو حار وجاف، كما ذكر عوز في روايته **פנתר במרתף** **(فهد في السرداب)**:

<< جاء السيد " لاتسروس " من مدينة برلين.. وكان يرتدى، على الرغم مـــن حـــرارة الصيف، معطفاً رمادياً فوق معطف مهندم من نوع آخر وبأزرار. (٤)>>

## ثانياً: السمات الشخصية:

لعبت الحياة التى عاشها (اليهودي الجيتوى) في الشتات دوراً كبيراً في صياغة صفاته الشخصية، وتدخلت في تكوينه السيكولوجي بصورة قلما نجد لها مثيلاً في الشخصيات الأخرى. وعندما هاجرت هذه الشخصية من بلاد الشتات إلى فلسطين، واجهتها العديد من المشكلات التى زادت من محنتها ومشاكلها، وكان أعظمها أثراً تعدد الأصول الحضارية المتجمعة علــى أرض فلسطين. وكانت هناك سمات لازمتها أينما كانت، نحدد معالمها في النقاط الآتية:

### (١) الشعور بالاضطهاد:

---

(١) עמוס עוז: הר העצה הרעה,שם, עמ'26.

(٢) שם, עמ'52.

(٣) שם, עמ'39-40.

(٤) עמוס עוז: פנתר במרתף, רומן, הוצאת כתר, ירושלים,1995, עמ'19.

شكلت الأحداث التى مر بها اليهود في الشتات عنصراً أساسياً في تكوين صورة عامة لهذه الشخصية، ولعبت دوراً هاماً استغله الأدباء الإسرائيليون في الترويج لهذه الأحداث، وحاولوا صياغة " شخصية جيتوية " عاشت في الشتات، ووقعت ضحية لغطرسة الحكام واضطهاد اليهود بصفة خاصة. غير أن سمة الاستعلاء العنصري التى اجتاحت الفكر اليهودي على مر العصور، كانت سبباً في هذا الشعور بالاضطهاد.

ويمكن القول إن هذا الاستعلاء العنصري المشحون بالكراهية، وعدم الاعتراف بندية ين، قد تحول إلى اضطهاد من قبل الشعوب التى يعيش بينها اليهود، حتى في المجتمعات التى اعتنقت الليبرالية والاشتراكية. فما انفك اليهودي فيها يهودياً، ولا يزال هناك حاجز سيكولوجي يفصل اليهود عن غيرهم على الرغم من تقرير المساواة رسمياً. وهذا التناقض قد جر إلى المذابح والاضطهاد والنكبات التى حطت على اليهود، فالعالم عاجز عن فهم اليهودية، وما برح المفكرون يتساءلون عن كنة الطبيعة اليهودية [١].

وصور عوز (اليهودي الجيتوى) في أغلب أعماله كشخصية تشعر بالاضطهاد دائماً، موضحاً أن اليهودي كان قدره في الاضطهاد يلاحقه أينما حل، وأينما ذهب. فنجده يقول على لسان القاص في روايته **מקום אחר** (مكان آخر):

<< وعلى ما يبدو، فإن القدر اليهودي يطارد اليهود في كل مكان. (٢)>>

ويتساءل عوز في هذه الرواية عن أسباب هذا الاضطهاد:

<< وكما هو معروف، كان اليهود مضطهدين في كل مكان، وكانوا يسفكون دماءهم، لماذا؟>>(٣)

وفى روايته **לגעת במים לגעת ברוח** (لمس المياه، لمس الرياح) يذكر عوز على لسان القاص أن فلسطين هي المكان الآمن لهؤلاء اليهود المضطهدين في كل مكان:

---

(١) د. رشاد عبدالله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص ٣١).

(٢) עמוס עוז: מקום אחר,רומן, הוצאת ספריית פועלים, מרחביה, 1966, עמ'57.

(٣) שם, עמ'40.

<<.. وفى عام (١٩٤٩)، وبعد أن تمرس فومرانتس بالعديد من التجارب المؤلمة، أدرك " فومرانتس " أنه ليس لليهودي ملجأ آمن من حكم الشعوب إلا في دولته وفـــى أرض أبائـــه، فوصل ذلك اليهودي طائراً إلى فلسطين. (١)>>

وفى قصته סומכי (سومكى) يذكر عوز ما عاناه اليهود في الشتات من أحداث، وكيف أنهم يربطون بين هذه الأحداث وبين الأعياد اليهودية، حيث أن كل عيد يرتبط بحدث تعرض له اليهود:

<< في عيد " الحانوكا (*) " يتعلم كل أطفال إسرائيل الغضب على اليونانيين الأشـــرار، وفى عيد " البوريم (*) " على الفرس، وفى عيد " الفصح (*) " يكرهون مصر، وفـــى عيـــد " الشعلة (*) " يكرهون الرومان. والأول من مايو هو يوم المظاهرات ضد إنجلترا. وفى التاســـع من آب يصومون ضد بابل وروما. (٢)>>

وهكذا، نجد الأعياد لديهم والتى تعتبر مظاهر للبهجة والسعادة والمرح، هـــي ذكريـــات أليمة يعلمون فيها الأطفال كيف يكرهون ويغضبون، ويذكرونهم بأن أجـــدادهم عـــانوا ويـــلات الاضطهاد في كل مكان تواجدوا فيه. وقد حرص عوز على التذكير بذلك فـــي أغلـــب أعمالـــه الأدبية:

---

(١) עמוס עוז : לגעת במים לגעת ברוח,שם, עמ'43.

(*) عيد الحانوكا: عيد الأنوار – عيد الشموع – عيد المشاعل، وهو ذكرى انتصار الحشـــمونائيم علـــى اليونـــانيين، وتدشين هيكل سليمان من جديد عام ١٦٥ م، ويحل في ٢٥ كسليو العبري ويستمر ثمانية أيام.

(*) عيد البوريم: يقع في ١٤ و ١٥ آذار العبري احتفالاً بخلاص يهود بابل وفارس من المذبحة التي أعدها لهم هامان وزير أحشويروش، ويتلى فيه سفر استير في الكنس.

(*) عيد الفصح: عيد الفطير، من ١٥ وحتى ٢١ من شهر نيسان العبري. يحتفل به بذكرى خروج بني إسرائيل من مصر بقيادة النبي موسى عليه السلام، ويسمى أيضاً חג פיסח.

(*) عيد الشعلة: يأتي في اليـــوم الثالث والثلاثين من بدء إحصاء العومر فور عيد الفصح، ويقع في يوم ١٦ أيار العبري، وهو حسب التقاليد يوم انتصار باركوخبا على الرومان، كما هو يوم عيد ديني ومهرجان في جبل الجرمك (ميرون) إحياءً لذكرى الحاخام شمعون بار يوحاى. في هذا اليوم يقطع الحزن فيمكن حلاقة الرأس والذقن وإجراء طقـــوس الزواج.

(٢) עמוס עוז : סומכי, שם, עמ'3.

<<.. وهنا على سبيل المثال، عندما جرى الحديث في الفصل عن الخروج من مصر وعن الضربات العشر، أعرب معظم الأطفال عن فزعهم الشديد والمبلبل، إلى حد ما، تجاه وحشية المصريين ومعاناة العبريين. (١)>>

أما " أحداث النازي " والتى كان لها نصيب الأسد في الأدب العبري المعاصر. فلم يتركها عوز وتحدث عنها في روايته מקום אחר (مكان آخر) من خلال " رأوفين حاريش " الذي عبر عن موت الأقارب والأصدقاء الذين سيقوا إلى المحارق النازية:

<< تحدث " رأوفين " عن الكارثة قائلاً: إن الكثير من أقاربكم، أجداد وجدات لاقوا الموت على أيدي الآثمين. ومن ذا الذي لم يكره شعب إسرائيل على مر الأجيال ؟ لقد نفذ الألمان عملهم ببرود، وطبقاً لخطة دقيقة وبوسائل علمية ليست بدافع قوة انفجار الغرائز الملتهبة... لقد سيقت طوائف اليهود إلى المحارق، ومن بينهم (أصبح صوت رأوفين قوياً جدا يهز القلوب)، أيضاً أبناء أسرتي: أبى، وأمي، وأخوتي. (٢) >>

وفى هذا الصدد يمكن القول، إن النازية لم تضع اليهود فقط نصب عينيها، بل كانت تتربص بكل الأقليات العرقية، التى يمكن أن تعوق تحقيق الوحدة الألمانية، وقد تساوت ألمانيا مع كل الدول الأوربية التى سعت لتحقيق قوميتها على حساب الأقليات الموجودة فيها (٣).

ويواصل عوز تأكيده على ما عاناه اليهودي الجيتوى من اضطهاد في بلاد الشتات في أغلب أعماله الأدبية، فيقول القاص في روايته פנתר במרתף (فهد في السرداب):

<< أما أمى فقد قتل " هتلر " والديها وأختها " تانيا " في بلاد أوكرانيا، مع كل اليهود الذين لم يتوقفوا عن المجيء إلى هنا في ذلك الوقت. (٤)>>

ويؤكد عوز في هذه الرواية على أن اليهود في بلاد الشتات كانوا يعيشون في عزلة دائمة، كانت سبباً في اضطهادهم وكراهية الشعوب لهم:

---

(١) עמוס עוז: מיכאל שלי, עמ' 185.

(٢) עמוס עוז: מקום אחר, שם, עמ'82.

(٣) د. أحمد حماد: "اليهود بين الإرهاب الصهيوني "و "الاضطهاد النازي "، رسالة المشرق، مجلة دورية تصدر عن مركز الدراسات الشرقية / جامعة القاهرة، العدد ٢ /٣ ديسمبر ١٩٩٣، (ص١١٩).

(٤) עמוס עוז: פנתר במרתף, שם, עמ'24.

<< قال أبى:.. في بولندا، على سبيل المثال، كانوا يكرهوننا لأننا كنا شيئاً غير مألوف، غرباء وغريبي الأطوار.. أما في ألمانيا، فقد كانوا يكرهوننا بصفة خاصة لسبب آخر: فقد كنا في ألمانيا نتحدث ونأكل ونلبس ونتصرف بالضبط مثل الجميع. (١)>>

لقد كانت النظرة إلى الأحداث التى مرت باليهود في الشتات، نظرة ترويج لاستعطاف العالم من جهة، ونظرة تكمن فيها المحاولة لتضميد الجراح وطى صفحة هذا الماضي المرير والخلاص منه من جهة أخرى. وانطلاقاً من هذه الرؤى ينظر الصهاينة إلى ماضي يهود الشتات على أنه ماضي بلا قيمة، إلا أنه لا يعبر عن الجوهر الخالص، ولذا يجب تصفية الشتات وماضيه.

ويمكن القول، إن الشعور بالاضطهاد كان إحساساً خلقه اليهودي بنفسه، وظل يطارده في كل مكان محاولاً التخلص منه بشتى الطرق، حتى أننا نجد عوز يصرخ على لسان " قديشمان " في رواية **מיכאל שלי** (عزيزي ميخائيل) منددأ بأن اليهود لن يكونوا كبش فداء بعد اليوم:

<< سوف تغير دولة إسرائيل من الآن صورتها. فهذه المرة، ستكون الفأس في النهاية في أيدينا، وقد جاء دور غير اليهودي لينوح ويسأل إن كان هناك عدل ومتى يظهر ؟ فلسنا قطيعاً مبعثراً، ولسنا كبشاً بين سبعين ذئباً، ولا قطيعاً للذبح. كفى، ولتكن ذئباً بين الذئاب.(٢)>>

---

(١) עמוס עוז: פנתר במרתף, שם, עמ'25-26.

(٢) עמוס עוז: מיכאל שלי, עמ' 154.

## (٢) الشعور بالاغتراب:

لازمــت سمة الاغتراب الشخصية اليهودية عبر جميع مراحل التاريخ الإنساني، ودفعتها دائماً إلى اعتزال المجتمعات التى عاشت بينهــا فيمــا يســمى بــالجيتو أو " القاهــال (*) " أو "الشتتل(*)" أو حارات اليهود... وبعد الهجرة إلى فلسطين شعر اليهودي بالاغتراب عــن ذلــك المكان، كما كان يشعر بأن جذوره تضرب في تربة أخرى غير تلك التى يعيش فيها، تلك التربة التى استفحلت فيها التناقضات الاجتماعية وتفاقم فيها الصراع بين الأجيال، واتسعت فيها الهوة بين المثالية المفرطة التى راودت اليهودي المهاجر والواقع المؤلم الذي صدم به فــي الــوطن الجديد[١].

وقد تناول عوز في العديد من أعماله الأدبية تلك السمة، وظهر (اليهــودي الجيتــوى) والمهاجر الجديد إلى أرض فلسطين وهو يتطلع إلى موطنه الأصلي، ويشتاق إلى الــبلاد التــى عاش فيها طوال حياته، وذلك بعدما اصطدم بأحلام الصهيونية الزائفة ووقع أسيراً بينها، فراح يحلم بذكرياته في بلاد الشتات ويندب قدره.

ولم يستطع الأدباء اليهود أيضاً الذين وفدوا إلى فلسطين التخلص من مشــاعر الغربــة التى لازمتهم طوال تواجدهم في أرجــاء العالــــم. فالانتقال إلى فلسطين كان انتقالاً جسدياً فقط [٢].

وقد أكد عوز على هذه السمة في العديد من أعماله الأدبية:

<< كان من بيننا، أحياناً، من يمتلئ أشواقاً إلى الأماكن التى جاءوا منها إلــى القــدس. فكانوا يغنون أغاني بلغات لا نعرفها. (٣)>>

فاشتاق (اليهودي الجيتوى) إلى روسيا وألمانيا، ومــــدن بولنـــدا:

---

(*) القاهال: كلمة عبرية تعني جمهوراً أو جماعة كبيرة من الناس في مكان واحد، أو طائفة يهوديــة في إحــدى مــدن الشتات اليهودي، ويعتبر "القاهال "تجسيداً للحكم الذاتي من قبل الحكومة.

(*) الشتتل: كلمة يديشية تعني "المدينة الصغيرة "، وهو عبارة عن تجمع سكاني من اليهود يتراوح بين ألف وعشــرين ألف، وكانت الحياة تدور فيه حول المعبد اليهودي والمنزل اليهودي، ثم السوق الذي يلتقي فيه اليهود بغير اليهود.

(١) د.زين العابدين محمود: جيــــل يبحث عن هــوية ، دراسة فى قصة " جبــل المكــبر " للكاتــب الإســرائيلي عامــــوس عــــوز ، كلية الآداب / جامعة القاهرة ، ١٩٩٠ . (ص٣٣).

(٢) د. محمد محمود أبو غدير: "صورة الإسلام والمسلمين في الكتابات العبرية الحديثة "، ورقة عمل ضمن مــؤتمر دولي بعنوان "الدراسات الإسلامية عند غير العرب "، جامعة الأزهر، مايو ١٩٩٧ م.

(٣) עמוס עוז: פנתר במרתף, שם, עמ'24.

<< فـــي " مائة شعاريم " توجد أركان بين السلالم الدائرية وحبال الغســيل المرتفعــة، جعلته يتذكر الأحياء الفقيرة في مدينة " رادوم " ببولندا. (١) >>

<< لقد مرت على في أحلامي، أيضاً، سهول روسية قاحلة. (٢) >>

وقد عبر عوز عن الانتقال الجسدي فقط لهؤلاء اليهود في هذه العبارة:

<< هناك سهول روسية، والـــ " نيو فاوند لاند " ، وجزر الأرخبيل. أما أنا فقد نقلت إلى هنا (٣) >>

وفى قصته דרך הרוח (اتجاه الريح) يشتاق " شينبوئيم " إلى روسيا وطبيعتها:

<< احتل شباب " الهخشارا " ، في تلك الأثناء، نقاط المراقبة في أعلـــى بـــرج الميـــاه، وجالوا ببصرهم في أرجاء الوادي. وقد جعل، ذلك المنظر، " شينبوئيم" يتذكر صـــورة الطبيعـــة الروسية.(٤)>>

ووصل الأمر بـــ " شينبـــــوئيم " إلى أنه كان يطفى على أى صـــوت يطربـــه الألحـــان الروسية:

<< ما هذا اللحن الروسي القديم الذي بدأ يخفق في صدره. (٥)>>

كما أن " روت " زوجة " كيفنيس " في رواية عوز القصيرة הר העצה הרעה (جبـــل المكبر) تمردت على الواقع التى وجدت نفسها فيه، واشتاقت إلى أوربا والليالي الصـــاخبة فـــي بولندا، ونظرت إلى الواقع الجــــديد علـــى أنه المنفى الحقيقي، فحسمت الأمر وهربـــت إلـــى أوربا دون عـــــودة تـــــاركة زوجها وابنها:

<< أليست هذه هي العزلة يا " هانز " ؟ إن هذا هو المنفى الحقيقي، والـــذل، والقمـــع، والاضطهاد(٦) >>

لقد تركت " روت " زوجها وولدها بعد حفل المندوب السامي، نكرتها فيهـــا الموســـيقى الصاخبة بليالي بولندا، فحنت إلى أوربا التى افتقدتها. وتشـــــير المأدبة إلى تحررها من القيود

---

(١) עמוס עוז: מיכאל שלי, עמ' 54.

(٢) שם, עמ'18

(٣) שם, עמ'80.

(٤) עמוס עוז: ארצות התן, עמ'54.

(٥) שם. עמ'54.

(٦) עמוס עוז: הר העצה הרעה, שם, עמ'30.

" الصهيونية " ، وفى نهايتها تختفي بمساعدة الآدميرال " ساترلند " دون عودة. وكأن عالمهـــا في أوربا وليس في فلسطين التى تعيش فيها، لأنها ارتبطـــت في صـــباها بالبيئـــة البولنديـــة، وكانت تستمع إلى أجراس الكنائس وترقص في القاعات الصاخبة ببولندا (١).

وتعبيراً عن هذه السمة، يتحدث القاص أيضاً في روايـــة פנתר במרתף (فهـــد فـــي السرداب)، كيف كـــــانت أمه تحكـــــي له حكايات عن أيامها في أوكرانيا، وذلك في إشارة إلى أشواقها إلى هذه البلدة التى نشأت فيها، وإحساسها بالاغتراب على هذه الأرض التى نقلت إليها:

<< كانت أمي، أحياناً.. تحكي لي عن ذكرياتها. فذات مرة، حكت لي كيف.. كانت تجلس في صباح يوم صيفي على شاطئ البحر الصغير بأوكرانيا (٢) >>

ويمكن القول أن هذه السمة قد شاعت في العديد من أعمال عوز الأدبية، ففـــي روايتـــه الصغيرة געגועים (أشواق) التى سميت بذلك لأن الدكتور " عمانونيل نوسباوم " كان يشتاق إلى فيينا فهجرها بعدما فشل في إعادة زوجته " مينا " التى تركته، لكنه لم يحقق له مكاناً في قدس المستقبل، لأنه ابن الجيل الماضي – القديم – الغريب والمنعزل وعديم الجذور (٣). كما أننـــا نجد في رواية מקום אחר (مكان آخر) مسألة " هنا " و " هناك " تحمل فـــي الروايـــة تعبيـــراً شخصياً خاصاً بعوز كأديب، فمن وجهة النظر الاشتراكية فإن ألمانيا هي المكان الذي تحدد فـــي عرين قصة الواقع، لذا فكل مكان بالنسبة لأطفال البلاد ليس هو فلسطين، فمن شأنه أن يكـــون قوة جذب... ولم تكن مشكلة " هنا وهناك " – كطرفين – يقف كل منهما في مقابل ، بل مشكلة "هناك " داخل الـــ " هنا " ، أو الـــ " هنا " التى هي مركز الـــ " هناك " كدائرتين تدخل كل منهما في الأخرى (٤). كما أننا نجد " شرجا أونجر " في الرواية القصـــيرة אהבה מאוחרת (حـــب متأخر) على الرغم مما حدث له في روسيا واتهامه بجريمة ظلماً، إلا أنه كان يشتاق إلى روسيا الواسعة والباردة، والتى كانت أحياؤها وثلوجها تخلب لب سكانها ولبه هو أيضاً، لكنه كان يخنق أشواقه هذه في نفسه (٥).وهنا نلاحظ وجود تناقض غريب في هذه الشخصية، إذ أنه بالرغم من أننا نلاحظ أنه قد وضع في اعتباره هدفاً رئيسياً سعى ليحققه وهو الانتقام من الروس جزاء ما

(١) יוסף שה לבן: עמוס עוז,הוצאת אור עם, תל אביב, 1978, עמ'31.

(٢) עמוס עוז: פנתר במרתף, שם, עמ'68.

(٣) יוסף שה לבן: שם, עמ'33.

(٤) יוסף שה לבן: עמוס עוז,שם, עמ'15-16.

(٥)עמוס עוז : שם, עמ'26.

فعلوه به، إلا أننا نجده يشتاق إلى روسيا بجمالها وثلوجها وصقيعها، فقد وجد أن كراهية الروس لليهود أفضل من الواقع الذي انتقل إليه.

## (٣) الميل إلى لغة الشتات:

واجه (اليهودي الجيتوى) مشاكل عديدة عند هجرته إلى فلسطين، كان من بينها اللغة المشتركة التى سيتعامل بها مع الجموع المهاجرة من البلاد المختلفة والتى تنتمي إلى ثقافات ولغات عديدة. وعلى الرغم من حسم هذه المسألة في التحدث باللغة العبرية، إلا أننا نجد هؤلاء اليهود يميلون إلى التحدث بلغة الشتات، ويرون أن اللغة العبرية تفتقر إلى المصطلحات، ولا تعبر تعبيراً كافياً عما يريدون قوله، ولذا فإن لغة البلد التى كانوا يعيشون فيها طغت على اللغة العبرية، في غالب الأحيان.

وقد حاول عوز إبراز ذلك في الكثير من أعماله الأدبية، فيطالعنا القاص في قصة אש זרה (نيران غريبة) بأن اللغة العبرية ضعيفة وتفتقر إلى تعدد المصطلحات:

<< كانت " ليلى دننبرج " تلقب هذا الشيء بالضخامة، وبذلك كانت تعود وتشير إلى ضعف اللغة العبرية التى تفتقر إلى تعدد المصطلحات (١) >>

لقد ظل (اليهودي الجيتوى) يتساءل عن كل شئ وما هو مقابله في اللغة العبرية، وهو ما يشير إلى افتقاد اللغة العبرية للكثير:

<< لقد سألت سؤالاً بلاغياً، كيف يكون ذلك بالعبرية يا " يائير " ، كيف يقولون في العبرية مسألة بلاغية ؟ >>(٢)

ويشير عوز إلى أن العبرية لم تف بمتطلبات (اليهودي الجيتوى) حتى يمكن الحديث بها دون حاجة إلى كلمات أجنبية:

<< هناك مشاعر عديدة، حول أن اللغة العبرية ما زالت لم تتطور بالقدر الذي يكفى لوصفهم... إن كلمة مثل " انحراف " لا توجد في العبرية. >>(٣)

---

(١) עמוס עוז: ארצות התן, עמ'120.

(٢) שם, עמ'121.

(٣) עמוס עוז: ארצות התן , שם, עמ'113.

ونظراً لافتقار اللغة العبرية في تلك الفترة، أى بعد هجرته إلى فلسطين، دأب اليهـودي الجيتوى على الحديث بلغة الشتات، تلك اللغة التى تعلمها وأحبها. فتحدث الألمانية:

<< حسن، الآن حسن، لا تنكر أنه حسن. قالتها بالألمانية. >>(١)

<< حدثت تلك الأفكار باللغة الألمانية. >> (٢)

ووصل الأمر إلى أن " كليننبرج " أحد شخصيات قصة **אש זרה** (نيران غريبة) يؤلـف شعراً باللغة الألمانية وهو يعيش في إسرائيل، وعلى الرغم من معرفته باللغة العبرية، مما يؤكد على أن لغة الشتات كانت هي اللغة المحببة لدى (اليهودي الجيتوى) عن اللغة العبرية:

<< كان يؤلف شعراً باللغة الألمانية. >>(٣)

وفى رواية **פנתר במרתף** (فهد في السرداب) يشير القاص إلى طغيان اللغة الألمانية على العبرية:

<<.. وسمعنا كيف كان السيد " لاتسروس " يتجادل مع الطيور باللغة الألمانية. >>(٤)

وعلاوة على اللغة الألمانية، تحدث (اليهودي الجيتوى) بعـد هجرتـه إلـى فلسـطين الروسية، والبولندية، واليديشية. وتقول " حنة " في رواية **מיכאל שלי** (عزيزي ميخائيل):

<< وقف الأطباء مـن حـولي... لـم أسـتطع النهـوض. كـان الأطبـاء يتحـدثون بالبولندية>>(٥)

<< أخذت السيدتان كل منهما بيدى، ودفعت كل منهما ى بلطف، ونادوا بعضهن باسـم "بانى جرينباوم " و " بانى الدكتوره " ، ودار بينهما نقاش بلغة بولندية سريعة.>> (٦)

(١)עמוס עוז: ארצות התן שם, עמ'116.

(٢) שם, עמ'112.

(٣) שם, עמ'133.

(٤) עמוס עוז: פנתר במרתף, שם, עמ'20.

(٥) עמוס עוז: מיכאל שלי, עמ'58.

(٦) עמוס עוז: מיכאל שלי ,שם, עמ'60.

<<.. وفى الظهيرة، وصلت العمة " جنيا " إلى المستشفى... وكانت تتحدث الألمانية والبولندية بصوت قوى. >>(١)

وتشير " حنة " كذلك ، في هذه الرواية، إلى أن العمة " جنيا " كانت تعانى من افتقار اللغة العبرية:

<< كانت تفتقر، فى غالب الأحيان، إلى أية كلمة عبرية... وتتحدث اليديشية، وتشتم نفسها ببولندية ذات صفير. >>(٢)

وتشير " حنة " إلى أن أمها كانت تتحدث البولندية:

<< كانت أمى طوال الطريق تنشد بانفعال نفسي وبصوت مدهش إحدى أغاني " ميتسكبيتش" باللغة البولندية. >>(٣)

وتحدث اليهودي الجيتوى الإنجليزية والروسية، كما طالعنا القاص في رواية **פנתר במרתף** (فهد في السرداب):

<<.. وأمام الباب تحدث أبى الإنجليزية المختلطة بالروسية... وقال: مرة أخرى، شكراً، وإلى اللقاء أو سلام . >>(٤)

وهكذا، طغت لغة بلاد الشتات اليهودي على اللغة العبرية حتى بعد الانتقال إلى فلسطين، وشعر (اليهودي الجيتوى) بضعف اللغة العبرية، أو عدم قدرتها في التعبير عما يريد أن يقول، فمال إلى الحديث باللغة التى تعلمها. وربما كان ذلك سبباً في أن اللغة العبرية تحتوى على العديد من الكلمات الأجنبية لترضى جميع الأذواق، وليكون ذلك عاملاً في إذابة الحواجز بين الثقافات المختلفة التى أتى منها (اليهودي الشتاتى)، وحلاً لضعف اللغة العبرية في التعبير عن مقصده. ويمكن القول كذلك أن طغيان لغة الشتات على اللغة العبرية، لم يرجع فقط إلى ضعف اللغة العبرية، بل إلى ارتباط ذلك اليهودي بمسقط رأسه واشتياقه إلى البلد التى تربى فيها وعاش بين أهلها.

---

(١)עמוס עוז: מיכאל שלי שם, עמ'55.

(٢) שם, עמ'177.

(٣) עמוס עוז: הר העצה הרעה, שם, עמ'52.

(٤) עמוס עוז: פנתר במרתף, שם, עמ'48.

## (٤) شخصية انعزالية:

ربما كانت حياة العزلة التى عاشها اليهود في بلاد الشتات سبباً في ميل هذه الشخصية إلى الانعزالية، حيث دأب الأدب العبري على إظهار هذه الشخصية في إطار من العزلة والوحدة. وظهر (اليهودي الجيتوى) في أعمال عوز الأدبية في صورة إنسان أرمل، وأعزب، ومطلق، وأحياناً عاقر، ويبتعد عن الناس، ويعشق الحياة الفردية:

<< من الممكن أن نقول عن " كلينبرجر " إنه إنسان عاقر. >>(١)

<< كانت " ليلى دننبرج " مطلقة، وهى تبلغ من العمر ستة وأربعون عاماً. >>(٢)

<< كان الدكتور " ألحنان " أعزب، وهو عالم في الآثار والحضارة المصرية القديمة.>>(٣)

<< كان " يوسف يردين " أرمل، وعلى وشك أن يزوج ابنه البكر " يائير " . >>(٤)

وهكذا، بدت أغلب شخصيات قصة אש זרה (نيران غريبة) تعيش في وحدة وانعزالية، كما نجد ذلك أيضاً في شخصية " فومرانتس " في رواية לגעת במיים לגעת ברוח (لمس المياه، لمس الرياح) الذي كان يفكر دائماً في خلوة مع نفسه:

<< جلس " فومرانتس " وحيداً في كوخ مهجور... وكان يختلي بنفسه نهاراً وليلاً، ويكثر من الأفكار المختلفة. >>(٥)

كما أن " فومرانتس " شخصية هامشية ليس لها دور، وإذا ظهر وسط جماعة يظل صامتاً:

<< ليست لديه مقترحات، ولا يتحدث منتقداً. وبصفة عامة، من الصعب أن تعرف ما لديه. >>(٦)

---

(١) עמוס עוז: ארצות התן, עמ'114.

(٢) שם,עמ'113.

(٣) שם,עמ'109

(٤) שם.

(٥) עמוס עוז : לגעת במים לגעת ברוח,שם, עמ'6.

(٦) עמוס עוז : לגעת במים לגעת ברוח, שם,עמ'84.

وقد يحدث أن يرفض (اليهودي الجيتوى) الزواج، ويفضل حياة العزلة عليه:

<< ألم أحك لكِ ذات مرة يا " حنة " ، أن العمة " جنيا " بذلت قصارى جهدها لتزوج أبى من امرأة أخرى ؟ وكانت في كل مرة من زياراتها تقريباً تحضر معها إلى بيتنا إحدى معارفها أو صديقاتها.. لقد كن ممرضات عجوزات مهاجرات حديثاً من بولندا، مطلقات ونحيلات. >>(١)

وهكذا بدا (اليهودي الجيتوى) يتسم بالميل إلى الانعزالية في أعمال عوز الأدبية، وبدا شخصية هامشية في المجتمع، تعيش على أطلال الماضي، وتميل إلى العزلة، منغلقة وغريبة، وتبتعد عن الناس. وقد يرجع هذا إلى حياة العزلة التى فرضت على اليهود في الشتات حتى صارت ثمة سيكولوجية في نفسية اليهودي تقترن به أينما كان. علاوة على أن الأدب العبري الإسرائيلي دأب على رفض (اليهودي الجيتوى) على اعتبار أنه شخصية الماضي الأليم بكل أهواله، فصارت لديه نمطاً لشخصية بلا دور في الحاضر تمثل القهر والذل. واتخذ هذا الأدب منها حجة لخلق شخصية جديدة تتفق ومتطلبات المرحلة الجديدة من الاستيطان الصهيوني على أرض فلسطين.

## " اليهودى الصهيونى " :

إذا كانت الصهيونية قد رفضت " اليهودى الجيتوى" من حيث كونه شخصية طفيلية هامشية، فما هى الصورة البديلة التى سعت إلى إحلالها مكانها ؟ ما هذا الكيان المثالى المطلق التى تبشر به الصهيونية، هذا النمط القومى الخالص أو " اليهودى الذى هو يهودى مائة فى المائة " على حد قول بن جوريون ؟. وعندما يحاول المرء الإجابة عن هذه التساؤلات، فإنه يواجه حقيقة أخرى غريبة، هى أن الصهاينة المعارضين للاندماج حاولوا إعادة صياغة الشخصية اليهودية، ووضع اليهود ليجعلوا منهم شعباً مثل أى شعب آخر، على حد تعبيرهم. ولتحقيق هذا الهدف سعوا إلى " تطبيع اليهود " حتى ينتموا للعصر الحديث، أى أنهم حاولوا تحديث الشخصية اليهودية مثلما حاولوا تحديث اليهودية [٢].

لقد كان من الأهداف الرئيسية التى سعى إلى تحقيقها رواد الهجرتين الثانية والثالثة، هى خلق نمط يهودى جديد على أرض فلسطين، رغبة منهم فى أن يكون أبنائهم بعيدين بقدر الإمكان

---

(١) עמוס עוז: מיכאל שלי, עמ' 111.

(٢) د. عبد الوهاب المسيرى: الأيديولوجية الصهيونية، دراسة فى علم اجتماع المعرفة، سلسلة عالم المعرفة، إصدار المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد (٦٠ – ٦١) يونيو ١٩٨٨، (ص ١٧٠).

عن صورة اليهودى القديم، " يهودى الشتات " [١] ذلك لأن هـــذه الشخصـــية – شخصـــية " اليهودى الجيتوى " – لا تتناسب مع الفكر الصهيونى الذى يتطلب شخصية قوية تتحلى بصفات مثل العنف، والرغبة فى التوسع، وفى الانتقام والقتل، وغير ذلك. وبالتالى سعت الصهيونية إلى خلق نمط جديد لشخصية اليهودى، مؤكدة رفضها لشخصية (اليهودى الجيتوى)، وذلك تمهيداً لظهور المارد الجديد وهو النمط الصهيونى الجديد.

إن الصهيونية واليهودية ليستا شيئاً واحداً، بل شيئين يختلف كل منهما عــن ، وربمـــا كانتا شيئين يناقض كل منهما . وهما على أية حال لــــــــم يكونا كذلك، وحينما لا يســـتطيع شخص أن يكون يهودياً فإنه يصبح صهيونياً [٢].

ويقول د. قدرى حفنى فى معرض تناوله للرفض الصهيونى للآخر (اليهودى الجيتـــوى) وظهور النمط الصهيونى الجديد: << قد تجبر تلك الأقلية على الإقامة قسراً فى أحيـــاء الجيتـــو ولكنها لا تجعل من ذلك محلاً مختاراً، وما أن تواتيها فرصة الانطلاق منه حتـــى تنطلـــق دون تردد. بل إنه لمن المفهوم تماماً من الناحية السيكولوجية أن تقدم تلك الأقلية، ما أن تجد سبيلاً إلى ذلك، على التمرد والثورة على كل ما يمت بصلة لتلك الحياة... نظامها الأسرى.. نظامهـــا الدينى.. نظامها التعليمى.. نظامها التشريعى. أى بعبارة أخرى، ولو شـــئنا اســـتخدام التعبيـــر الاصطلاحى فإن تلك الأقلية لابد من أن تتخذ صورة الجماعة الخارجة على التقاليد، والعـــادات، والقيم والأفكار، والأنماط السلوكية الشائعة لدى الجماعة الأصلـــية التى تمثل الأغلبية. وما أن تواتى الفرصة ذلك الخروج الجماعى، حتى يتخذ لنفسه صورة الجماعة الجديدة التى لا يربطهـــا بالجماعة القديمة الأصلية سوى العداء والتناقض [٣] لذلك كان الفكر الصهيونى حريصـــــــــــاً على طمـــــس ملامح (اليهودى الجيتوى)، والقيام بعملية " إحلال محل " ، بمعنى تجريد هذه الشخصية اليهودية الجيتوية من الخصائص النفسية السيئة العالقة بها، وخلق خصائص جديدة تتوافق وروح التحديث المخطط للأيديولوجية الصهيونية، ومن هنا خلقت شخصية " الصـــبار " Sabra التى أصبحت بمثابة الشخصية الرئيسية والمحورية فى الأدب العبري الحديث، وهـــى الشخصية التى حلم بها الأباء المؤسسون للاستيطان الصهيونى لتقوم بتحقيق أحلامهم، وألقـــوا

---

(١) د. رشاد عبد الله الشامى: عجز النصر – الأدب الإسرائيلي و حـــرب ١٩٦٧، دار الفكر ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، (ص ٢٣).

(٢) د. رشاد عبد الله الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص ٥٦).

(٣) د. رشاد عبد الله الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص ٦٧).

**على كاهلها مهمة أن تحقق فى حياتها نبوءة الأجيال الصهيونية [١] فما هى الملامح التى تتسم بها شخصية " اليهودى الصهيونى" ؟**

**إذا حاولنا أن نتعرف على الملامح الخارجية لليهودى الصهيونى الذى يتجلى فى صورة " الصبار" ، سنجدها تبدو فى الملامح الآتية: طويل، له خصلة شعر على جبينه، قوى ومتين أسود، ذو عينين لامعتين، شعره أصفر أو رمادى، والملابس: بساطة لا مبالية، صندل، بنطلون، قبعة تمبل [*] [٢]. ويتميز جيل الصابرا من الذكور، بصفة عامة، بأنهم طوال القامة وأقوياء، لفحتهم أشعة الشمس، ذوى اتجاه عدوانى إزاء الحياة والناس [٣].**

**وقد اختلفت السمات الشخصية التى تتسم بها هذه الشخصية الصهيونية عند بعض المحللين لهذا النمط الصهيونى. وعلى سبيل المثال يوردها أحمد محمد رمضان فى كتابه " إسرائيل ومصير الإنسان المعاصر " فى النقاط التالية [٤]:**

**(١) الميل إلى العنف.**

**(٢) التمركز حول إسرائيل زمانياً ومكانياً (الجيتو الجديد).**

**(٣) طموحهم منصب على الأمان المادى والحياة المريحة.**

**(٤) الانتماء القوى إلى إسرائيل ومجتمعها.**

**(٥) عدم الاهتمام بالتاريخ اليهودى الحديث والضيق بالحديث عن الرواد الأوائل.**

**(٦) احتقار المهاجرين القدامى والجدد (والعرب طبعاً).**

---

(١) د. رشاد عبد الله الشامي: مرجع سابق، (ص ٢٣).

(*) تمبل: هى كلمة عامية عبرية تطلق على غطاء الرأس المميز للشخصية الإسرائيلية "الصبار "، وهى من الكلمة العامية الإنجليزية "دومبل ".

(٢) د. رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص ١٠٦).

(٣) جون لافين: العقلية الإسرائيلية، دار نشر كاسل ليمتد، لندن، ١٩٧٩، (الهيئة العامة للاستعلامات، كتب مترجمة)، (ص ١٨٣).

(٤) أحمد محمد رمضان: إسرائيل ومصير الإنسان المعاصر، دراسة فى سيكولوجية التاريخ اليهودى وعلاقته بفلسفة التاريخ الإنسانى العام، دار الكرمل للنشر، ١٩٨٧، (ص ٢٤).

والمقصود بالطبع، فى هذه السمة الأخيرة، هم هؤلاء المهاجرون الشرقيون، ذلك لأن جيل الصباريم من " الإشكنازييم " (*) ينظرون إلى جيل الصباريم من "السفارديم"(*) نظرة فوقية. وعلى سبيل المثال، ذكر " هربرت روسكول " وزوجته "مارجاليت باتاى" - وهما من مواطنى إسرائيل - فى كتابهما (المليون الأول من الصابرا، صورة للإسرائيليين مولداً ووطناً) أن " الصابرا " هم الإسرائيليون الصغار من أبناء وبنات المهاجرين من كافة بقاع الأرض. وأن أكثر ما يقلقهم هو ارتفاع معدل مواليد اليهود الشرقيين الذى يبلغ ثلاثة أضعاف نظيره لدى اليهود القادمين من الغرب، مما سوف يجعل فى إسرائيل شعباً متخلفاً داكن البشرة [١].

وبالإضافة إلى التوق الدائم إلى القيم التى تلقاها من التضحية الذاتية (الأنا تنسحب أمام النحن)، وهى القيم التى تلقاها الشباب الصهيونى فى الحركة الصهيونية الاشتراكية وفى بيت الأباء [٢] يورد الأستاذ الدكتور رشاد الشامى سمات النمط اليهودى الصهيونى فى النقاط التالية [٣]:

(١) التمرد على اليهودية التقليدية والانجراف نحو العلمانية.

(٢) رفض الاندماج فى الشعوب أو نبذ العبودية اليهودية.

(٣) الرغبة فى الانتقام من الأغيار وتبنى العنف.

(٤) رفض الشخصية اليهودية الجيتوية.

وكل واحدة من هذه السمات التى تتصف بها شخصية " اليهودى الصهيونى " نلاحظ فيها محاولاتها لنفض غبار الماضى العالق بها، فأعطت ظهرها للجيتو، وشعرت أنها منعزلة عن

---

(*) إشكناز: كلمة تعنى بالعبرية ألمانيا. وهى تطلق على كل اليهود المنحدرون من أصول ألمانية وفرنسية، ويمتد شمول التسمية لتطلق كذلك على يهود أمريكا الشمالية والجنوبية.

(*) سفارديم: صيغة الجمع بالعبرية من الاصطلاح "سفاردى "نسبة إلى "سفاراد "(أسبانيا). وهو اصطلاح يطلق على اليهود الذين أقاموا فى أجزاء مختلفة من شمال أفريقيا (المغرب - تونس - الجزائر - ليبيا) وتركيا وإيران واليونان والبرتغال.

(١) د. قدرى حفنى: دراسة فى الشخصية الإسرائيلية "الإشكنازيم "، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، ١٩٧٥، (ص ١١١).

(٢) د. رشاد عبد الله الشامى: عجز النصر، الأدب الإسرائيلى وحرب ١٩٦٧، مرجع سابق، (ص ٢٤)

(٣)د. رشاد عبد الله الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص ٤٨).

البشر، وأن العالم كله دون استثناء معاد لها حتى أصبح ذلك الإحساس حقيقة سيكولوجية مؤكدة. ومن هنا تغلغل العنف والثأر إلى نفسية اليهودى الصهيونى، معتبراً أن ذلك هو الدواء الشافى له من أمراض (اليهودى الجيتوى). وكان ذلك هو الهدف الرئيسى من خلق شخصية "الصبار"، كمحاولة لصهر كل فئات المهاجرين إلى فلسطين من شتى بقاع الأرض فى بوتقة واحدة، تذيب الحضارات والثقافات المختلفة. وهى محاولة تقودنا إلى طرح سؤال حول هوية " اليهودى الصهيونى "، ومن يمثلها ؟

يقول الدكتور قدرى حفنى فى هذا الصدد: << قد ينتمى إلى جيل " الصابرا " وفقاً لحرفية التعريف شيخ يهودى ولد منذ تسعين عاماً مثلاً على أرض فلسطين، ونشأ عليها منذ ذلك الحين. وقد ينتمى إليه أيضاً شاب يهودى يبلغ العشرين عاماً. ولد على أرض فلسطين لأسرة نزحت من اليمن مثلاً، وأقامت فى إسرائيل. وقد يضم جيل " الصابرا " كذلك كهلاً يهودياً فى الخمسين من عمره ولد على أرض فلسطين لأسرة نزحت من ألمانيا مثلاً، وأقامت فى فلسطين منذ ذلك الوقت. ومن ناحية أخرى فإن أقراناً لهؤلاء يماثلونهم فى العمر أو حتى يصغرونهم قد لا يشملهم " جيل الصابرا " لأنهم ولدوا خارج إسرائيل، ثم نزحوا مع أبائهم أو بمفردهم إليها. وقد يكون من بين هؤلاء مثلاً شقيق لذلك الشاب اليهودى اليمنى الذى يبلغ العشرين، ولكنه كان رضيعاً حين نزحت الأسرة من اليمن، ولذلك فإنه لا ينتمى لجيل الصابرا فى حين ينتمى إلى ذلك الجيل شقيقه الذى يصغره ولو بعام واحد. بل قد يكون بين هؤلاء طفل يهودى هاجر مع أسرته إلى إسرائيل أثر مولده منذ خمس سنوات. " جيل الصابرا " إذن يضم شيوخاً وشباباً، ويستبعد أيضاً شيوخاً وشباباً من الإسرائيليين >> (١)

وهكذا، يمكن القول أن شخصية " الصبار " قد تضم بينها يهوداً إشكنازيم ويهوداً سفارديم مع اختلاف حضاراتهم وثقافاتهم، إلا أن العامل المشترك بينهم الذى يمكن التسليم به فى هذا الصدد وعلى قدم المساواة، هو أنهم ولدوا وتربوا على أرض فلسطين. غير أن أغلب هذا الجيل هو من اليهود الإشكنازيم أصحاب الحضارة الأرقى. وهناك فى إسرائيل ميل لهذه الفئة عن الفئة ى من اليهود السفارديم، على اعتبار أنهم من الصفوة الإسرائيلية، وينتمى إليهم قادة الدولة الإسرائيلية. وأغلب الشخصيات المتناولة فى الأدب العبرى الحديث من جيل " الصابرا " نجدها تنتمى إلى جذور إشكنازية. لقد اهتم الأدب العبرى بتركيز الضوء على هذه الفئة بعينها،

---

(١) د. قدرى حفنى:دراسة فى الشخصية الإسرائيلية، مرجع سابق، (ص ١٠٢، ١٠٣).

على أساس أنها تمثل حضارة غربية عريقة تتوافق والهدف الحقيقى لخلــق هــذه الشخصــية الجديدة.

وإذا حاولنا أن نعرف أى نوع من هذه الشخصيات تناولها " عوز " فى أعماله ؟ ســنجد أنه تناول " اليهودى الصهيونى الإشكنازى " . وقد يكون سبب ذلك لأنه يمثل حضارات غربيــة عريقة وثقافة غزيرة تختلف عن " اليهودى الصهيونى السفارادى " . وقد يرجع سبب ذلك أيضاً إلى جذوره الأسرية حيث أنه إشكنازى الأصل - روسيا - علاوة على أنــه ولــد علــى أرض فلسطين بالقدس.

## " اليهودى الصهيونى " فى أعمال " عوز " الأدبية:

سار " عوز " فى تناوله لشخصية " اليهودى الصهيونى " على نهج الهدف الذى خلقــت من أجله ووضعته فيه الأيديولوجية الصهيونية، فجــاءت هــذه الشخصــية مناقضــــة تمامـــاً لـــ(اليهودى الجيتوى)، فصارت ترمز لليهودى المنتصب القامة والقوى، والذى يضحى بنفســه من أجل ين، ويقوم بأعمال بطولية بمفرده، ويخشى على مصالح الدولة.

ويمكن تتناول هذه شخصية " اليهودى الصهيونى " من خلال المحاور الآتية:

### أولاً: الملامح الخارجية:

يطالعنا القاص بأول ملمح من ملامح هذه الشخصية فى قصة אש זרה (نيران غريبــة) قائلا:

<< كان ياثير يردن فتى صغيراً ووسيماً، لا يتسم بطول القامة، ولكن كتفيه قويتين، قوى البنية، ومربع الظهر >>(١).

وجاءت الملامح الخارجية للأنا الممثلة لــ " اليهودى الصهيــونى " فــى قصــة מנזר השתקנים (دير الصامتين)، لتعطى إحساساً بالقوة والغلظة:

<< أطلق " ايتشه " لحية غير مستوية، وكان شعر رأسه سميكاً مجعداً، كما لو أنه مليئ دائماً بالغبار. وكانت لحيته تخرج من صدغيه، وتكاد تختلط بحاجبيه الثقيلين، وينبت شعره على

(١) עמוס עוז: ארצות התן, עמ'120.

خديه ورقبته، بحيث تحول بلا أى فاصل إلى فروة للدب غطت صدره وذراعيـــه، وربمـــا كـــل جسده>>(١)

وتعلق " نوريت جريتس " الناقدة الإسرائيلية على هذه الشخصية قائلة: << إن " ايتشه " يحظى بإعجاب القاص والأبطال الثانويين الأقل منه. وتبرز نظرات الإعجاب إليه من كل جانـــب قدرته البدنية والروحانية، وهكذا كانت العادة فى أدب " البالماح " ، وهى إبراز القدرة البدنيـــة للبطل الرئيسى >> (٢).

وفى روايته מקום אחר (مكان آخر) يصف عوز " عزرا " أحد أبطـــال هـــذه الروايـــة بالأوصاف الآتية:

<< كان ذا جسم بدين ومشعر، وله كرش صغير، وأطراف عريضة وقوية للغاية، وأكتافه مفتولة العضلات. >>(٣)

وفى هذه الرواية نجد أن الفتاة اليهودية الصهيونية تكاد تتقارب فى ملامحها مع الفتـــى اليهودى الصهيونى فى بنية جسمها وقوامها. فنجد عوز يصـــف " نوجـــه حـــاريش " إحـــدى شخصيات هذه الرواية على لسان القاص بهذه الملامح التى تدل على الغلظـــــــة والخشـــونة والقوة:

<< كانت " نوجه حاريش " فتاة تبلغ من العمر ستة عشر علماً، طويلة القامة، ممشوقة القدّ مثل الشباب، قوامها قوام فتى وليس امرأة، ساقيها رفيعتان طويلتان للغاية، خصرها صغير، فخذاها صغيرتان يتدلى عليهن قميص رجالى واسع، ويتدلى على كتفيها ضفيرة مـــن شـــعرها الناعم الكثيف تصل إلى منتصف ظهرها. وبنية جسمها ملفوفة وحادة، مما يجعلها تبـــدو فـــى صورة وحشية فى كل واحدة من رموزها النسائية. >> (٤)

وكذلك، كانت نفس هذه الملامح هى أوصاف الفتاة اليهودية الصهيونية فى قصـــته כל הנהרות (كل الأنهار)، حيث جاءت ملامح " طوفاه " عل هذا النحـــو الذى يتفق وملامح " نوجه حاريش " فى رواية (مكان آخر):

---

(١) עמוס עוז: ארצות התן, שם, עמ'90.

(٢) נורית גרץ: עמוס עוס, מונוגרפייה,הוצאת ספריית פועלים, הקיבוץ הארצי, השומר הצעיר, תל אביב, 1980, עמ'100.

(٣) עמוס עוז: מקום אחר, שם, עמ'26.

(٤) שם, עמ'29.

<<.. كذلك، كان جسدها كبيراً بعض الشئ... إنها فتاة إلا أن جسدها جسد أم، وكان فى خاصرتها وكتفيها زيادة كبيرة لا تخلو من الطراوة. وجلد ذراعيها بدين إلى حد ما، ولم تكن أبداً فتاة رقيقة... فقد كان لها شعر أسود قاتم وجاف قليلاً، وعينان لا أستطيع بأى حال أن أتذكر لونهما، لكننى لم أنس إعيائهما... أما أنفها فكانت كبيرة بعض الشئ. >>(١)

ويستمر القاص على مدار هذه القصة فى وصف هذه الفتاة بتلك الملامح التى تدل على وحشيتها وفظاظتها:

<< وبدا لى ذراعها إلى حد ما بديناً، أكثر مما كنت أتصور عن شاعرة شابة>>(٢)

وهكذا حتى الفتاة اليهودية الصهيونية حرص عوز على إسباغ ملامح القوة والغلظة والوحشية على شخصيتها، حتى تكاد تتقارب فى ملامحها مع فتى شاب وفظ. وقد يكون عدم الفصل فى الملامح بين شخصيتى الفتى والفتاة يرجع إلى أن شخصية " الصبار " جاءت لتعبر عن ملامح جيل بأكمله، ولم تفرق بين الجنسين فى الملامح والخصال، وذلك على أساس أنهما نتاج بيئة خاصة وواحدة، عاشا عليها معاً وأثرت فيهما.

ويستمر عوز فى وصف ملامح شخصية " اليهودى الصهيونى " على نفس النهج فى بقية أعماله الأدبية، فهو يصف " شمشون " فى قصة דרך הרוח (اتجاه الريح) - الذى اعتقد أن اسمه اختير بعناية ليعبر عن ملامح وسمات هذه الشخصية دون وصف - بهذه الملامح القوية التى تدل على تحمل المسئولية:

<< لقد كان فى صباه يملأ الشيب خصلات شعره الغزيرة، وتركت أشعة الشمس على وجهه تقاطعات ساحرة من الخطوط والفجاج، أما ظهره فكان مربعاً، وكتفاه قويتان >> (٣)

ويستمر القاص على مدار القصة فى وصف شخصيات القصة بملامح القوة والغلظة:

<< كان قائد الوحدة ضابطاً أشقراً ووسيماً، دارت حوله الأساطير فى جلسات الليل حول حلقات النيران، ذو عين حادة، هى عين القائد الأسطورى الأشقر التى استطاعت أن تميز ذلك الوريد الذى انتفخ فى عنق الفتى.. >>(١)

---

(١) עמוס עוז: ארצות התן, עמ'135.

(٢) שם, עמ'144.

(٣) שם, עמ'47.

الوريد الذى انتفخ فى عنق الفتى.. >>(١)

ونفس هذه الملامح يصف بها القاص " جونيل " فى قصة (سومكى):

<< كان " جونيل " هو فتوة الفصل والحى، شاباً مفتول العضلات عنيفاً.. >>(٢)

أما ملبس شخصية " اليهودى الصهيونى " فكان عادياً:

<< لم أتذكر لون سروالها جيداً، فقد كان سروالاً مصنوعاً من النسيج الخشن ومهلهل قليلاً، وكان لونه ما بين الأزرق القاتم والرمادى القاتم. >>(٣)

<< كان يتدلى على فخذيها الصغيرتين قميص رجالى واسع.. >> (٤)

وهكذا بدت الملامح الخارجية لهذه الشخصية الصهيونية نتاج المشروع الصهيونى الاستعمارى لتتسم بالغلظة والقوة والخشونة، وهى ملامح تجئ لتدل على سمات هذه الشخصية من ناحية، ولتعبر عن رفض (اليهودى الجيتوى) ربيب الشتات والذل والخنوع، وذو الظهر المحنى والضعيف، ونحيل الجسد من ناحية أخرى.

وتقول " نوريت جريتس " عن هذا النمط الصهيونى الجديد: << يكثر القاصون فى القصص الأولى لعوز ويهوشواع من استخدام صورة نمطية فى وصف أبطالهم... وهذا الأسلوب الوصفى عبارة عن " باروديا " (*) حول الأساليب الوصفية وتشخيص ملامح جيل "البالماح". ويبرز هذا الأمر، بصفة خاصة، عندما يكون موضوع " الباروديا " عبارة عن حقائق مقبولة لأدب ذلك الجيل. فعلى سبيل المثال، هناك رؤية خاصة بشأن العلاقة الوطيدة بين الجسد والروح: " مربع الظهر، وكتفاه يشيران إلى حكمته " (اتجاه الريح، لعوز)، أو بشأن طابع الصورة النمطية الصبارية: " جميعهم سود، وذوو خصال شعر شقراء، أو ضفائر شقراء، وأيديهم قوية " (مكان آخر، لعوز). حيث إن هناك دوراً رئيسياً بالنسبة للأسلوب النمطى فى وصف الشخصيات سواء أكانت هذه الملامح تبدو فى صورة نمطية محددة أم كانت تبدو كصورة

---

(١) עמוס עוז: ארצות התן, שם, עמ'51.

(٢) עמוס עוז: סומכי, עמ'9.

(٣) עמוס עוז: ארצות התן, עמ'135.

(٤) עמוס עוז: מקום אחר, שם, עמ'29.

(*) باروديا: تأليف تقليدى ساخر، محاكاة هزلية (لقصيدة أو تأليف موسيقى).

نمطية لأى إنسان. ويعتمد هذا الانطباع على استخدام الأوصاف المزدوجة والمحددة، والتى تصف الشخصيات بأسلوب مُزيّن بعيداً عن الحقيقة. >> (١)

وهكذا كان ذلك الأمل الذى راود الأباء فى أن يكون لديهم جيل جديد تماماً، ينفض ضعف الماضى وذله، وهو ما عبر عنه عوز على لسان القاص فى روايته (فهد فى السرداب) قائلاً:

<< كان أمل الأباء أن ننشأ نحن الأطفال لنكون يهوداً جدداً تماماً، محسّنين، عريضى الكتفين، محاربين وفلاحين. لذلك كانوا يملأون أفواهنا بالمزيد والمزيد من الطيور، وأحلى الفواكه.. >>(٢)

## ثانياً: السمات الشخصية:

إذا كان المظهر الخارجى لليهودى الصهيونى قد جاء ليعبر عن ملامح تتسم بالخشونة، وقوة البنيان، والعيون اللامعة. فما هو طابع شخصيته ؟

قام البروفيسور " تامرين " بإجراء بحث حول التصور الذاتى " للصابرا " بين تلاميذ المدارس الثانوية. وقد أكد بحثه هذا ما كان راسخاً لدى كل صهيونى، وهو أن " الصبار " ينسب لنفسه صفات إيجابية قائمة على أساس المقارنة القطبية فى مواجهة (اليهودى الجيتوى). وقد أجاب " الصباريم " الذين طلب منهم إعطاء ملامح مميزة لشخصية " الصبار " بطريقة أشارت بوضوح إلى نظرتهم لأنفسهم. فانحصرت السمات الشخصية للصبار فى أنه: فعال (يقظ، وأحياناً هائج)، وعدوانى (عنيف ومتمرد) يفتقد إلى الذوق والتهذيب، ومتعجرف، ومتبجح، ووطنى، ومؤثر، وصفيق ومقبول، وصاحب موقف وطيب القلب، وجاد ومتزن، ويقظ وذكى، وحر ورقيق، ورائد وساخر (لديه حاسة السخرية) (٣).

وتتوافق شخصية " اليهودى الصهيونى " عند عاموس عوز، إلى حد كبير، مع بحث " تامرين " . فجمعت بين صفات القوة، والعدوانية، والعجرفة، والوطنية، وإلى أخر هذه الصفات التى جاءت لتقول إن الشخصية الجديدة هى رد فعل لشخصية (اليهودى الجيتوى). وهى الصورة البطولية للصهيونى الجديد، وقد تجسدت فى المظاهر التالية:

---

(١) נורית גרץ: חירבת חזעה והבוקר של מחרת, הוצאת הקיבוץ המאוחד, תל אביב, 1983, עמ'139-140.

(٢) עמוס עוז: פנתר במרתף, שם, עמ'24.

(٣) د. رشاد عبد الله الشامى: الفلسطينيون والإحساس الزائف بالذنب فى الأدب الإسرائيلي ، دار المستقبل العربى القاهرة ، ١٩٨٨(ص١٤٤).

(١) استعراض القوة:

يطالعنا القاص بإحدى السمات التى تتميز به هذه الشخصية الصهيونية، وهى القوة فى رواية (مكان آخر) قائلاً:

<< إننى أستطيع أن أثنى هذه المرّشة بكلتا يدى، لأننى أملك يدين قويتين فى مقدرتهما أن تلينا الحديد.. >> (١)

وهكذا، يتفاخر اليهودى الصهيونى بقوته أمام ين، ويحاول أن يستعرض قوته أمام البشر. فـ " ايتشه " فى قصة(دير الصامتين) يمسك بـ " بروريا " بكف يده وكأنها طائر صغير، ويطيح بها فى الهواء:

<< ضم " ايتشه " بكفى يديه التى تشبه الدب خاصرة " بروريا " ضابطة الإدارة فى الجيش، وأطاح بجسدها فى الهواء محدثاً حركة دائرية كاملة.. >>(٢)

(٢) الأعمال البطولية:

يتسم اليهودى الصهيونى كذلك – كما صوره عوز – بالشجاعة والأعمال البطولية التى تجعله فخر المجتمع والناس، وتدور من حوله الأساطير عن أعماله وقوته:

<< كان اسم " ايتشه " يتردد فى المراتب العليا. فشاهدوه عدة مرات فى مجلة " كأس" ، ومرة أخرى كانت صورته فى صدر الصحيفة العسكرية " فى المعسكر"..>>(٣)

ولمزيد من الأعمال البطولية وإلقاء الضوء على شجاعة وبطولة هذا النمط الصهيونى الجديد، يقول القاص فى قصة (دير الصامتين):

<<.. قفز بمفرده داخل نفق تحصن فيه العشرات من الأعداء المسلحين، فتجمد دمهم حين صرخ صرخات وحشية، وأنزل عليهم رعباً أسود حتى فروا من أمامه. فمر كالبرق بين الكهوف المظلمة، وألقى عليهم القنابل اليدوية، فتحجر جنود الأعداء من فرط الفزع أو

---

(١) עמוס עוז: מקום אחר, שם, עמ'213.

(٢) עמוס עוז: ארצות התן, עמ'87.

(٣) שם, עמ'90

الوحشية، واستسلموا كالمقبوض عليهم لدفعات الرصاص المنهمرة من مدفعه. لقد دخل وحيداً إلى هذا النفق، وخرج أيضاً منه بمفرده. >>(١)

ولهذا كانت الكتيبة تفخر بـ " ايتشه " كبطل مغوار وكقائد عظيم:

<< من شأن كتيبتنا أن تتفاخر بأى قائد مغوار، وبكثير من الضباط الشجعان. لكن "ايتشه" كان فخرنا، فقد كان ملكاً >>(٢)

وترى " نوريت جريتس " الناقدة الإسرائيلية أن هذه الشخصية كانت مطلب جيل الأبناء، فهى تقول: << هذا البطل يستجيب بكل قدراته إلى المطالب التى يتطلبها الأدب الخاص بالجيل السابق من بطل فى فن أدبى، فهو قوى وشجاع، ووسيم، ومقاتل، ونشيط، وهو إيجابى ويعتبر شخصية رئيسية فى قصص الجيل السابق. >> (٣)

أما " أبراهام بلفان " الناقد الأدبى الإسرائيلى فيقول: << إن " ايتشه " لم يوصف كإنسان عادى. فعلى الرغم من أنه ليس قائد الكتيبة، فإنه يلقب بـ " الملك " و " السيد " ، وكل الذين يحيطون به هم " أعوانه الخاضعون " . وهو يوصف كـ " ساحر " ، وذو " صدر إنسان عملاقة " ، وظهر " شريف " . والجانب المثير فى شخصيته تساهم فيه أيضاً فكرة أن العربة الجيب التى كان يقودها موصوفة كـ " سيكلوب " (*)، والسيكلوبيون هم أبناء الجيل الأول من الآلهة فى الأساطير اليونانية، كانوا طبقاً لإحدى الأساطير مساعدى " زيوس " ، وطبقاً لأسطورة أخرى كانوا مساعدى " هابيا ستموس " >> (٤)

ويؤكد عوز أيضاً فى قصته (اتجاه الريح) على أن حكايات البطل الأسطورى من نصيب اليهودى الصهيونى، وذلك فى وصفه لشمشون أحد أبطال هذه القصة:

<< لقد حيكت حوله الإشاعات عندما أنقذ أحد أطفال " الكيبوتس" . ودارت حوله الأساطير فى أماكن أخرى. >>(٥)

---

(1) עמוס עוז: ארצות התן, שם, עמ'90.

(2) שם, עמ'89.

(3) נורית גרץ: עמוס עוס, מונוגרפייה, עמ'100.

(*) سيكلوب: عملاق ورد ذكره فى الأساطير اليونانية ذو عين واحدة فى وسط جبينه.

(4) אברהם בלבן: טעם האימה והכאב, עיון בסיפורו של עמוס עוז (מנזר השתקנים), מאזניים, ירחון לספרות, מרץ /אפריל 1985, עמ'30.

(5) עמוס עוז: ארצות התן, עמ'47.

## (٣) العدوانية:

واليهودى الصهيونى كذلك هو شخصية عدوانية تستهزئ بمشاعر البشر، وتتعامل معهم بقسوة وفظاظة. فيقول القاص فى قصة (سومكى):

<< أمسك " جوئيل جرمانسكى " قميصى من الخلف... ودفعنى منفضاً إياى مـرتين أو ثلاث مرات... كما لو أننى معطف شتوى، يرغب " جوئيل " أن ينفض منـه الغبـار أو رائحـة النفتالين. >>(١)

و " رامى " الذى يعتبر من جيل " الصابرا " فى روايـــة (مكان آخر) لا يؤمن إلا بلغة واحدة فقط، هى لغة القوة والعدوانية:

<<.. ما كان لمثل هذه الأمور أن تحدث ليوآش، ولكنها حدثت لى. فالمـرأة لا تفهم إلا أمراً واحداً، هو القوة والغلظة >> (٢)

وربما جمع عوز كل هذه الصفات العدوانية التى يتسم بها اليهودى الصهيونى على لسان " ايلانه " وهى تخاطب " الكسندر " فى رواية קופסה שחורה (صندوق أسود) مستخدماً كافة الأفعال الدالة على العدوانية:

<<.. إن حدود عالمـك هـى الهـدم، والضـياع، والـدمار، والإضـطجاع، والقمـع، والتطهـــير، والقـــتل، والحرق، والشك، والتصفية، وإضرام النيران، والاحتراق. >>(٣)

وتعلل " شولاميت شميدط " الناقدة الإسـرائيلية ظهور هذه الشخصية بتلـك الأوصـاف قائلة: << نشأ " الكسندر " بدون أم.. وعاش حياته منطوياً فى وحدانية غريبة واستمر سـخطه وغضبه على العالم، واستمرت وحدته أيضاً فى المستوطنة. وذات يوم انفجر غاضباً وكسر أنف مدرسة بالكرسى.. واعتاد فى طفولته أن يعض بوحشية ظهر يده، ويحطم الأمتعـة.. وعنـدما صارت سنوات زواجه جهنم ضرب " ايلانه " بقبضته، وعضها فى كتفها، وصفعها بكف يديـه وأطاح برأس ابنه فى الحائط. >> (٤)

---

(١) עמוס עוז: סומכי, עמ'10.

(٢) עמוס עוז: מקום אחר, שם, עמ'213.

(٣) עמוס עוז: הר העצה הרעה, שם, עמ'35 .

(٤) שולמית שמידט: 9 בספרות, עיונים בתשע יצירות בסיפורת העברית החדשה,קשת הוצאת לאור, תל אביב , 1989, עמ'35.

وهكذا، تسود روح العنف فى نفسية هذه الشخصية كتعبير عن طاقة مكبوتة، وعن ظروف وقعت أسيرة فيها. وروح العنف يمكن الإحساس بها كقوة تحريرية كتنفيس عن طاقة مكبوتة، لتخفف من نير العبودية التى لم يعد ضغطها محتملاً. كانعتاق. كتحرير. (١) وهو أمر تنبه إليه جيل الأباء، فحاولوا غرس العداوة والعدوانية فى جيل الأبناء، وفى نفوس أطفالهم لتكون نشأتهم نشأة عدوانية تحميهم من أية محاولة يتذكرون فيها الماضى وذله. وعلى سبيل المثال، نجد " سومكى " بطل قصة (سومكى) يتذكر الهدايا التى كان يهديها له خاله، وكلها أشياء ترمز إلى العنف والعدوانية يحاولون غرسها فى طفل يبلغ من العمر الحادية عشرة:

<< فقد أحضر لى ذات مرة مسدساً أسود يرسل فيضاً من المياة فى وجه العدو... وذات مرة، أحضر لى بندقية من الخشب... وأحضر لى أيضاً هدية عبارة عن ستة فئران بيضاء فى قفص. >> (٢)

وهكذا، فإن العنف يصبح هو الأداة التى يتوسل بها الصهاينة لإعادة صياغة شخصية اليهودى، فاليهودى – فى هذا التصور – يحتاج إلى ممارسة العنف لتحرير نفسه من نفسه، ومن ذاته الطفيلية الهامشية. إن العنف يصبح هنا مثل الطقوس الدينية التى تستخدمها بعض القبائل البدائية حينما يصل أفرادها إلى سن الرجولة، لأن اليهودى حينما يمارس العنف والقتل يتخلص من مخاوفه ويصبح جديراً بالحياة (٣).

ولاشك أن الأدب الصهيونى ساعد كثيراً فى صياغة هذه النمط الصهيونى الجديد، من خلال الأعمال المختلفة لكثير من الأدباء الصهاينة، الذين راحوا ينسجون شخصية جديدة مناقضة لـ (اليهودى الجيتوى) تتفق وروح الفكر الصهيونى القائم على التوسع والعدوان. وفى رأينا أن تعدد المصادر المختلفة لليهودى الصهيونى، أدت إلى تولد ظاهرة العنف والعدوانية كخاصية من خصائص هذه الشخصية. ذلك لأنه من المعروف فى بحوث علم النفس الاجتماعى أن قلة التفاعل بين أعضاء حضارات أو قوميات مختلفة، يؤدى إلى تكوين أفكار قومية نمطية **National Stereotypes** تتضمن اتجاهات عدائية (٤).

---

(١) د. قدرى حفنى: دراسة فى الشخصية الإسرائيلية، مرجع سابق، (ص ٢٥٩).

(٢) עמוס עוז: סומכי, עמ'4.

(٣) د. رشاد عبد الله الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص ١٨٤).

(٤) السيد ياسين: الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم ، مكتبة مدبولى، ١٩٩٣، (ص ١٧٥).

## (٤) ازدراء العاطفة:

كانت من السمات الشخصية التى يتسم بها اليهود الصهيونى، أنـه نشـأ علـى ازدراء العاطفة واعتبارها عرضاً من أعراض الضعف، ولذا فهو لا يبالى بأى مشـاعر إنسـانية (١). وعلى سبيل المثال، نجد " ايلانه " تخاطب " الكسندر " فى رواية (صـندوق أسـود) فـى أحـد خطاباتها منكرة حبه لها ولابنهما:

<<.. وكان الحب أيضـاً بمثابة مساهمة منى رفضتها. فهل حقاً أحببتنى ذات مـرة ؟ أو حتى ابنك ؟ >> (٢)

وتقول له أيضاً معبرة عن استيائها من قساوة قلبه:

<< هل نجحت طوال أيام حياتك فى أن تخلق، ولو ابتسامة واحدة، تعبر عـن السـعادة على وجه رجل أو امرأة ؟ أو أن تمسح دمعة من أية عين ؟ >>(٣).

## (٥) الولاء الوطنى للدولة:

يتسم اليهودى الصهيونى، بالإضافة إلى كل هذا، بالولاء الوطنى والخوف على مصـالح وشئون الدولة. فتقول " حنة " فى رواية (عزيزى ميخائيل):

<< لقد رفض " ميخائيل " شراء حبة ملح واحدة من السوق السوداء. لقد ورث هذا عن والده " يحزقائيل " ، ولاء بهيج وحماسى لقوانين دولته >>(٤)

وفى رواية (صندوق أسود) يرفض " بوعز " الهجرة من إسرائيل، لأن الدولة فى حاجة إلى قوى بشرية جديدة تستعين بها فى القضاء على مشاكلها:

<< خسارة لأنه هاجر من البلاد، فأنا ضد الهجرة طالما أن الدولة تعيش فى مشـكلات.

حتى ولو خطرت ببالى فكرة السفر، فسوف أسافر بعد أن تتخلص الدولة من مشكلاتها. >>(٥)

---

(١) د. رشاد عبد الله الشامى: الفلسطينيون والإحساس الزائف بالذنب فى الأدب الإسرائيلى، مرجع سابق، (ص ١٤٩).

(٢) עמוס עוז: קופסה שחורה, רומן, הוצאת עם עובד, תל אביב,1987, עמ'109.

(٣) שם, עמ'41.

(٤) עמוס עוז: מיכאל שלי, עמ' 47.

(٥) עמוס עוז: קופסה שחורה, עמ'127.

وترى " شولاميت شميدط " الناقدة الإسرائيلية فى اليهودى الصهيونى أنه جمع كل صفات " اليهودى الصبارى " قائلة: << إنه " الصبار " الثائر الذى يركل قيوده، ويطالب بصياغة حياته طبقاً لأسلوبه هو. فهو قريب من الأرض، ولذلك فهو يطالب بالعيش فى الحاضر والعزوف عن الماضى، ويكتفى بالعمل اليومى البدنى فى تمهيد الأرض، وبوجود الحب يمنح مـلاذ للحـائرين مثله... وهو لا يريد أن يهبط إلى جذور الصراعات القومية، وإلى جذور الإحسـاس بالإحبـاط والفشل. وفى نهاية الأمر يبدو على " بوعز " الفضول والنزعة القومية... فهو يقول (ليس لـى شأن إلا بنفسى وبالدولة.. فأكتفى بأنى صهيونى). >> (١)

(٦) العلمانية:

يعتبر البعد عن اليهودية والانجراف نحو العلمانية من السمات التى تميز بها اليهـودى الصهيـونى. فقد حاول التخلص من نير المثاليات والتقاليد الدينية القديمة. وعلى سبيل المثال، تقول " حنة " فى رواية (عزيزى ميخائيل) أن زوجها لم يراع فى أسلوبه اليومى محاكاة التقاليد الدينية:

<< لم نعتد على إضاءة شموع السبت، لأن " ميخائيل " كان يرى أن ذلك هو نفاق مـن جانب الناس الذين لم يختاروا مبادئ الدين.. >>(٢)

وقد كانت النتيجة الطبيعية لهذه السمة، أن الصهيونية وجدت فرصتها للنمو على أثـر فقدان الدين اليهودى لطاقته. وقد عبرت انتاجات الأدب الصهيونى عن هذا الاتجـاه، وطرحـت قضايا مازالت تجعل من هذه الإنتاجات الأدبية إنتاجات معاصرة. ومن بين هذه المسائل مسـألة من هو اليهودى المعاصر ؟ أو بصورة أخرى، ما هى علاقة اليهودى المعاصر أو الصـهيونى بالتراث الروحى لليهودية التقليدية (٣).

وهكذا، نظر الإنسان العبرى الجديد إلى التقاليد اليهودية على أنها قيود تكبله، وتحـول دون انفتاحه نحو العلمانية التى رأى فيها أنها تواكب المرحلة الجديدة التى وضع فيها، وتتطلب منه سمـات جديدة، ولابد وأن يتسم بها حتى يبعد تماماً عن الإنسان اليهـودى القـديم بكـل مساوئه، ويصبح الإنسان العبرى الجديد. فقطع روابطه مع الماضى، ونظر إلى نفسه على أنـه النقيض المطلق لآبائه - (اليهودى الجيتوى) - الذين عجزوا عن تحقيق ما يفعله هو الآن.

---

(١) שולמית שמידט: 9 בספרות, עיונים בתשע יצירות בסיפורת העברית החדשה, שם, עמ' 33.

(٢) עמוס עוז: מיכאל שלי, עמ' 116.

(٣) د. رشاد عبد الله الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص ٤٩).

## (٧) الثقافة والتعليم:

يتسم اليهودى الصهيونى أيضاً بالثقافة والتعليم وحب العمل بلا حدود. وقد ركزت الصهيونية على هاتين السمتين، لأن المرحلة التى خلق فيها الإنسان العبرى الجديد، كانت تتطلب شخصية تفنى نفسها فى العمل، لأنها مرحلة تمهيد الأرض وإعدادها، وخلق كيان يهودى جديد. وبالتالى فإن كل هذا كان يتطلب أيضاً أن تكون هناك شخصية مثقفة لتوظف علمها وثقافتها فى خدمة الوطن الجديد، وأن تكون هناك شخصية متعلمة تعرف اللغات، وتواكب العصر والتطور والتحديث.

ويبدو ذلك الأمر فى شخصية " ميخائيل " بطل رواية (عزيزى ميخائيل) فهو شخصية صهيونية إسرائيلية، كان يعمل عالماً فى الآثار، وكان شغله الشاغل هو البحث والتنقيب. وكان عمله فى الجامعة أهم بكثير من زوجته وابنه مما أثر بالسلب على حياتهم الأسرية:

<< كنت أمل الأسرة ومازلت حتى الآن أملها... وكما لو كان التعليم الجامعى هو مضمار المتسابقين. >>(١)

وفى محاولة للتأكيد على أن اليهودى الصهيونى يتمتع بالقدر الكبير من الثقافة والتنوير، ويساعد فى القضاء على التخلف والجهل، يقول عوز على لسان القاص فى قصته الصغيرة בוקר אחד בקיץ בכפר (ذات صباح صيفى فى القرية):

<< ومازلت أخرج كل يوم عند المساء لرش مياه المستنقع بالمواد المعقمة، ولأوزع على السكان المشتبه فى مرضهم حامض الكاربول ومراهم للجلد، وألقى عليهم التعليمات الصحية الأولية، وأعطى لهم مادة الـ DDT وماء الكلور. >>(٢)

ويقول القاص أيضاً فى هذه القصة فى إشارة إلى وجود الفئات الصهيونية المختلفة المتعلمة والمثقفة:

<< إننى فى آن واحد، الصيدلى والمعلم والمحامى والوسيط، ومهدئ المشاجرات>>(٣)

---

(١) עמוס עוז: מיכאל שלי, עמ' 22.

(٢) עמוס עוז: בוקר אחד בקיץ בכפר,סיפורים, מבחר עיתון 77 סדרת ספרים בעריכת יעקב בסר, הוצאת דומינו, ירושליים, 1984, עמ'248.

(٣) עמוס עוז: בוקר אחד בקיץ בכפר, שם, עמ'248.

وفى نفس القصة، يقول القاص أيضاً كما لو أنها محاولة لعقد مقابلة بين ثقافة وتنــوير الشخصيات الصهيونية، وجهل وتخلف القرية العربية:

<<.. وجـــاء مع الحاكم الضباط، والليبراليون، ورجال المساحة، ورجال الدين، ورجل القانون، ومطرب، ومؤرخ رسمى، وممثلو أجهزة الخدمات السرية. >>(١)

وهكذا، تسبغ على صورة " النمط اليهودى الجديد " أرقى الدرجات العلمية، وقدر كبيــر من الثقافة والتعليم والتنوير ومعرفة اللغات، وهو أمر كانوا يفتقدونه فى (اليهودى الجيتــوى القديم):

<<.. كانت على شفتيها دائماً أبيات من الشعر لشعراء معاصرين ومحببين بالنسبة لها، وأيضاً قصائد خاصة بها. >>(٢)

ويطالعنا القاص فى قصة (دير الصامتين) قائلاً عن " روزنتال " أحد أبطال هذه القصة:

<< كان يكثر من استخدام بعض اللغة الإنجلــيزية والتعبيرات الأمريكية، حتى يجــذبها إليه>>(٣)

## (٨) التضحية بالذات، وروح الجماعة:

كانت التضحية بالنفس والعمل من أجل الآخرين تحت شعار " روح الجماعة " وإنكــار " الذات " من أجل ، سمة جديدة من السمات الشخصية لليهودى الصهيونى والتى أسبغت عليه من قبل الأيديولوجية الصهيونية، فظهر اليهودى الصهيونى وهو يهتم بمشاكل المجتمــع، ويبــذل قصارى جهده من أجل حلها، ويساعد ين، ويهتم بالجيل القادم، ويفكــر للمجتمــع وللآخــرين ويضحى بنفسه من أجل كل هذا:

<< أنتِ مقدسة يا ابنتى، فأنت تختارين التضحية بالنفــــــس مــن أجـل إنـــاس لا يحبونك، أنت مقدسة للغاية. >>(٤)

وهو يتسم بالشهامة والموافقة على مساعدة ين، دون معرفتهم، ودون معرفة نوع هذه المساعدة:

---

(1) עמוס עוז: בוקר אחד בקיץ בכפר, שם, עמ'248.

(2) עמוס עוז: ארצות התן, עמ'32.

(3) שם, עמ'89.

(4) עמוס עוז: מקום אחר, שם, עמ'365.

<< جاءت إلى حجرتى واستنجدت بى أن أذهب بسرعة إلى المكان، لكى أوقف هذه الفضيحة التى تحدث هناك. ولم أسألها من ؟ وماذا حدث ؟ بل أسرعت، وراءها. >>(١)

وهو شخصية لا تفكر فى نفسها فحسب، بل تفكر وتشغلها أمور الآخرين دائماً، فيقول القاص فى قصة (دير الصامتين) عن " شمشون " :

<< كالعادة دائماً، أخذ يفكر فى أمور الرجال والنساء، وليس فى المخلوقات ى التى امتلأت بهم هذه الليلة >>(٢)

واليهودى الصهيونى – كما صوره عوز – يهتم بأمور الجيل القادم، ولا يفكر للغد أو اليوم فحسب. فيقول القاص فى قصة (اتجاه الريح):

<< عندما بلغ " شمشون شنبونيم " من العمر ٥٦ عاماً، قرر أنه من واجبه إنجاب ولى عهد يحمل طابعه واسمه للجيل القادم. >> (٣) .

ويغرس الفكر الصهيونى فى هذه الشخصية الجديدة " روح الجماعة " ، ووحدة المصير المشترك:

<< إننا جميعاً أسرة واحدة... لأن العلاقات بيننا تظهر عندما... وهى علاقات قوية أقوى من روابط الدم، لأنه تربطنا علاقات مصيرية. >>(٤)

ويمكن القول، أن الأساس الاجتماعى والشخصى، والتضحية بالذات، هو الخط الأساسى الأول فى شخصية اليهودى الصهيونى החלוץ (هيحالوتس (*)). إن " هيحالوتس " هو شخص

---

(١) עמוס עוז: ארצות התן, עמ'47.

(٢) שם, עמ'89.

(٣) שם, עמ'47.

(٤) עמוס עוז: מקום אחר, שם, עמ'342.

(*) هيحالوتس: (الرائد – الطليعى)، وتعنى ذلك الجزء من الجيش الذى يسير فى المقدمة، وتعنى فى المجال الاستعارى أول من يقوم بالاحتلال أو من يشق الطريق أمام من يأتون بعده وهو اصطلاح أطلق على المجموعة اليهودية التى هاجرت إلى فلسطين من أجل تحقيق الحلم الصهيونى عن طريق العمل اليدوى الشاق. ويشيع استخدام هذا الاصطلاح فى المصادر العربية بكلمة (رائد – طليعى) والإشارة إلى "دور الحالوتسيم "على أنه "جيل الرواد.

(أنظر: د. رشاد عبد الله الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، ص ٨١)

على استعداد لأن يكتفى بالقليل، وعلى استعداد لحياة التقشف. وتنازله ليس لمجرد التنازل، بل من أجل تحقيق مهمة هامة للمجموع، وعلى الأخص بالنسبة للمجموع الآتى فى المستقبل ذلك المجموع الذى سيهاجر وينمو من بين نويات الجماعات الطليعية. ومن هنا عدم اهتمام " هيحالوتس " بالمكافآت الفورية للموقف، وبالآجر، وبوسائل الراحة المادية، لأن مكافآته هى الرضا الذى يشعر به عندما ينفذ مهمة ذات أهمية مصيرية من أجل مستقبل المجموع [١].

وهكذا، جاءت السمات الشخصية لليهودى الصهيونى كما بلورها الفكر الصهيونى لتكون هى الصورة الوطنية البطولية للنمط الصهيونى الجديد. لقد كان من الضرورى حدوث انفصال مطلق عن الإطار اليهودى القديم.. ورأى الصهاينة أن هناك حاجة لخلق وعى جديد، وعى خاص بالإنسان الذى ينتمى إلى أمة إقليمية، وليس بالإنسان الذى ينتمى إلى طائفة منغلقة. وكان من الصعوبة بمكان، أو ربما كان من المستحيل خلق هذا الوعى دون خلق نموذج مثالى يرغبون فى محاكاته من أجل التخلص من الوضع السابق والمرفوض. أى أنه كان من الضرورى إيجاد أسطورة قومية جديدة، مع إيجاد صورة جديدة للإنسان تجئ على عكس النموذج القديم المعروف. وبطبيعة الحال، فإن التخلص من القديم، كان يجعلهم يحاولون التمسك بما هو على النقيض [٢].

---

([١]) د. رشاد عبد الله الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص ٧٣).

([٢]) د. رشاد عبد الله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، سلسلة عالم المعرفة، إصدار المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أغسطس ١٩٩٧، العدد ٢٢٤، (ص ٦٣).

## " اليهودى الإسرائيلى " :

قبل أن نحاول تبين معالم وملامح شخصية " اليهودى الإسرائيلى " ، لابد وأن نشير إلى أن تعدد الأصول الحضارية للمجتمع الإسرائيلى هو من أكثر العوامل تأثيراً على تكوين هذه الشخصية، وذلك لأن تعدد الأصول والمجتمعات لايمكن، بالطبع، أن يؤدى إلى خلق شخصية سوية بل يخلق شخصية بلا هوية تكثر بها التخبطات والتناقضات.

إن وحدة العامل الجغرافى واللغوى وحتى الدينى بالنسبة لظروف تكوين المجتمع الإسرائيلى، لا يمكن أن تؤدى إلى أى تشابه فى التكوين السيكولوجى لشخصية " اليهودى الإسرائيلى " [1].

لقد أصبحا التعبيرين: " جالوت " (المنفى وفق التصور الصهيونى)، و"إسرائيلي " بمثابة نقيضين ميزا طريقة التفكير فى المجتمع الإسرائيلى، حيث أصبح الإسرائيلى يرمز للجديد المتألق صحة والمنتصب القامة، بينما يرمز " الجالوتى " للقديم محنى الظهر [2].

غير أننا وقبل أن نتطرق إلى السمات الأساسية والملامح الخاصة بشخصية " اليهودى الإسرائيلى " ، لابد وأن نشير إلى أن هناك خطوطاً فاصلة ودقيقة تفصل بين السمات التى يتميز بها اليهودى الإسرائيلى، وبين السمات التى يتميز بها اليهودى الصهيونى. وبمعنى آخر، قد تكون هناك ملامح مشتركة أو متشابهة بينهما، ولكن هذا لايمنع أن هناك " شخصية يهودية صهيونية " تختلف تماماً عن " الشخصية الإسرائيلية " .

ويمكن القول أن السؤال المطروح حول هوية " اليهودى الإسرائلي " ، يعتبر من أعقد الأسئلة التى تواجه من يتصدى لدراسة الشخصية اليهودية الإسرائيلية. ولكننا إذا طبقنا قوانين الجنسية المتبعة فى العالم، فإن " الإسرائيلي " ، وفقاً لهذه القوانين، يكون هو الشخص الذى يحمل بطاقة هوية إسرائيلية بما ينطوى عليه هذا الأمر من حقوق وواجبات تربط الإسرائيلي بسائر الإسرائيليين بنظام الدولة التى يعيش فيها. وهنا يكمن الفارق بين تعريف اليهودى الذى يرتبط بالإيمان الدينى من ناحية، والحياة داخل إطار " الجيتو " من ناحية أخرى، وتعريف " الصهيونى " الذى يؤمن بحق اليهود فى إقامة دولة يهودية فى فلسطين ويعمل من أجل

---

(1) د. رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص ٩٣).

(2) د. رشاد عبد الله الشامي: عجز النصر، الأدب الإسرائيلي وحرب ١٩٦٧، مرجع سابق، (ص ٢٣).

تحقيقه، وتعريف " الإسرائيلي " الذى يرتبط باطار إقليمى للوجود اليهودي محدد ببلـد، ولغـة، وإطار اجتماعى مستقل [١]. وهكذا، تتداخل هويات عديدة يمكن أن تنصب داخل هوية واحدة، هو الهوية الإسرائيلية، غير أنها هى ى غير واضحة المعالم.

وعن السمات الشخصية لليهودى الإسرائيلي، يقول الدكتور قدرى حفنى فـى معـرض دراسته لها: << إنه يشعر كما لو كان محاطاً بتهديد مستمر بالإفناء. وتبـدو واضحـة لديـة خواص الخشونة، والواقعية، والتصميم، والنشاط، والاعتماد على النفس، والثقـة المطلقة فـى قدرته على الدفاع عن حقوقه. وإنه يرفض العاطفية والنعومة.. إنه لا يهتم كثيراً بما إذا كان ون يحبونه، ولا يعنيه تصورهم لـه.. إنه يرى كل شئ بوضوح قاطع: أبيض وأسود، وهو فيما يتعلق بهذا الوضوح القاطع يبز أباه.. إنه لا يؤمن بالمناقشات، فالعـالم لديـه لـن تنقـذه المناقشات، بل أن الكلمة الأخيرة للقوة والسيطرة. >> [٢]

لقد نفذ إلى لب مكونات اليهودى الإسرائيلي والتى تكمن فى الحقيقة السيكولوجية، حقيقة أن أولئك الذين سبق أن عوملوا باستخفاف من الآخرين يفقدون الثقة فى أنفسهم عـن طريـق الإدراك اللاشعورى. إنهم قد يحاولون إخفاء هواجسهم الداخلية عن الأشخاص الآخرين باتخـاذ الغطرسة، إلا أن افتقارهم الخفى للثقة فى أنفسهم يظل قائماً [٣]. كما أن العناد، والاسراع إلـى الارتداد عن طريق الخـيـر من السمات المميزة أيضاً لشخصـيـة اليهودى الإسرائيلي [٤].

أما شخصية جيل " الصابرا " المـولـودين فى الكيبوتـسـات، فقد أظهرت دراسـات "ميلفورد " و" برونوبتلهايم " أن سماته الرئيسية الخمس هى: العدوان، والإنطوائية، والبـرود الإنفعالى (الفتور العاطفى)، والحقد، والشعور بالدونية [٥]. ويمكن أن يبدو الإسرائيلى كذلك فى أول لقاء به، أنه ليس فقط صريحاً، وإنما فظ أو حتى غير مهـذب. والحقيقـة أن كثيـراً مـن الإسرائيلين لايعرفون أشكال الأدب الخطابى [٦].

---

(١) د. رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص ٩٢).

(٢) د. قدرى حفنى: دراسة فى الشخصية الإسرائيلية، مرجع سابق، (ص ٢٥٩).

(٣) د. رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص ١٤١).

(٤) د. حسن ظاظا: الشخصية الإسرائيلية، دار القلم، دمشق، ١٩٩٠، ط ٢، (ص ١٠٤).

(٥) أحمد محمد رمضان: إسرائيل ومصير الإنسان المعاصر، مرجع سابق، (ص ٢٥).

(٦) جون لافين: العقلية الإسرائيلية، مرجع سابق، (ص ١٨٨).

وتكاد تتفق ملامح وسمات شخصية " اليهودى الإسرائيلى " فى بعضها مع ملامح وسمات شخصية " اليهودى الصهيونى " ، إلا أننا سنجد أن اليهودى الإسرائيلى يختلف عن اليهودى الصهيونى فى أنه وجد نفسه فى مفترق طرق، وراح يتخبط بين قيم الأيديولوجية الصهيونية التى غرست فيه منذ الصغر، وبين رغبته فى نقد ذاته، ومحاولة اتخاذ موقع له على خريطة الحياة الإنسانية. وبدلاً من (الأنا تنسحب أمام النحن) أصبحت هناك مركزية (الأنا)، والبحث عن الذات، وأصبح الفرد الإسرائيلى أسير الصراعات الداخلية، والتوترات التى تجابه المجتمع. وقد نشأ ذلك نتيجة اصطدامه بالواقع الحقيقى وزيف الادعاءات والأحلام الصهيونية التى نشأ فى أحضانها، وكانت سبباً فى عيش الفرد الإسرائيلى حالة من عدم الإتزان، والشكوكية، والتوتر النفسى.

لقد أصبح الأدب الإسرائيلى فى أفضل صورة يعبر عن توترات المجتمع، والصراعات الداخلية التى يعانى منها الفرد الإسرائيلى. فالشك المريع، والسخرية، والشعور بالمرارة، والاغتراب، وحلول الفردية محل الجماعية كلها سمات أخذ تهيمن على الواقع الإسرائيلى ووجدت طريقها إلى الأدب الإسرائيلى [١].

كما أدت كل هذه التوترات التى اجتاحت المجتمع الإسرائيلى إلى معايشة الفرد الإسرائيلى لشبح الانهيار. وشعوره بعدم الأمان أدى إلى سخطه على نظم الدولة وعلى الدولة نفسها – كما سنرى فيما بعد – وأدت كذلك إلى تفكيره فى السلام والقلق بشأنه، وهو ما يؤكد عليه " جون لافين " قائلاً: << تم توجيه أسئلة لعدة آلاف من عامة الشعب، ليقولوا: أى سمة من السمات المختلفة للشعب الإسرائيلى، تعتبر من وجة نظرهم من أكثر الخصائص المميزة لهذا الشعب، فجاء على رأس هذه القائمة (القلق بشأن السلام بين الشعوب). >> [٢]

## " اليهودى الإسرائيلى " فى أعمال عوز الأدبية:

كانت قيم الصهيونية وتحقيقها عند أدباء الهجرة الثانية أهم بكثير من الإنسان، فحاولوا تصوير الشخصية اليهودية الصهيونية على أنها حققت كل هذه القيم بالكامل، وهو الأمر الذى

(١) د. رشاد عبد الله الشامى: عجز النصر، الأدب الإسرائيلى وحرب ١٩٦٧، مرجع سابق، (ص ١١).

(٢) جون لافين: العقلية الإسرائيلية، مرجع سابق، (ص ١٨٥).

كشف فيما بعد، عن تناقض بين المطالب الطبيعية للهجرة الصهيونية والواقع النفسى لهـؤلاء المهاجرين الصهاينة، الذين لم يكونوا قد تكيفوا بعد مع هذا الواقع [١].

وقد ظهر ذلك الوضع النفسى الجديد فى أعمال عوز الأدبية، وقام الكثير من النقاد بإثبات وجود البعد السيكولوجى فى قصص عوز، بمفهوم ما هو مسموح بذلك فى الواقعية الأوربيـة. وقد حاولوا إيجاد علاقة سببية سيكولوجية بين أحداث قصصه ورواياته وبين وضـع مبـررات لأعمال شخصيات مثل: " زكريا " و " نحميا " و " نوجا " فى روايته (مكان آخر)، و" متتياهـو دمقـوف " و " جيئـولا " و " شمشـون " و " داف سيـرقين " و"باتياهوبينسكى " و" ليلى دينبرج " فى قصته (بلاد ابن آوى). وقد أرجعوا كل هـذا لأسـباب سيكولوجية [٢].

ومن هنـا فإننا سوف نكتشف أن ملامح أو سمات شخصية " اليهودى الإسـرائيلى " ، ذات البعد الاشكنازى، كما تجلت فى أعمال عوز الأدبية قـد ترتبـت معظمهـا علـى أسـباب سيكـولوجية، ما بين المعاناه النفسية والشعور بالقلق الوجـودى، والانطوائيـة، والتشـاؤم، والشكوكية، والقسوة، وبين التأرجح بين الرغبة فى السلام والخوف منه.. وسوف نكشف عند تعرضنا لكل حالة من هذه الحالات عـن الـدوافع والظـروف الموضـوعية والسيكولوجيـة والاجتماعية التى أدت إلى بروز ووضوح هذه السمات دون غيرها بالتحديد. وبناء على ذلـك، فقد ظهـرت سمـات " اليهودى الإسرائيلى " فى أعمال عوز الأدبية من خلال الأبعاد التالية:

**(١) المعاناة النفسية والشعور بالقلق الوجودى:**

جاءت هذه السمة نتيجة للوضع الجديد الذى وجدالفرد الإسرائيلى نفسه فيه، وعبر عوز عن تلك المعاناه النفسية فى قصته הנוודים וצפע (البدو الرُحَّل والأفعى) من خلال شخصية " جيئولا " ، والتى يرمز اسمها إلى " الخلاص " ، فهى شخصية تتمتع بصـفات حسـنه وتقـوم بواجبها على أكمل وجه:

---

(١) د. رشاد عبد الله الشامى: خطوط عريضة لاتجاهات الأدب العبرى المعاصر فى إسرائيل، مجلة إبداع، يناير ١٩٩٥، العدد الأول، (ص ٢٠).

(٢) גרשון שקד: גל חדש בסיפורת העברית,מסות על סיפורת ישראלית צעירה, הקיבוץ הארצי, תל אביב, 1971, עמ'183.

<< لم يكن هناك أحد فى " الكيبوتس " ينكر مميزاتها الحسنة، مثل الإخلاص فى العمل حيث تبذل قصارى جهدها فى حل المشاكل الاجتماعية، وفى أعمال الثقافة المحلية. >>(١)

وعلى الرغم من كل هذه المميزات التى تتمتع بها " جيئولا " بين أقرانها، إلا أنها تعيش القلق الوجودى، وتعبر عن رفضها لكل هذه القيم الصهيونية من خلال معاناة نفسية تجيئ فى صورة أعمال غريبة ومكبوتة فى داخلها، مثل محاولاتها المستميتة لتفجير الزجاجة:

<< رأت " جيئولا " بجوار شجرة الأردارخت زجاجة ملوثة... فركلتها مرة تلو ى، ولكن الزجاجة لم تنفجر، بل تدحرجت فى بطء بين أشجار الورد. وعندئذ، أمسكت " جيئولا " بحجر كبير وحاولت رميه على الزجاجة، حيث كان لديها رغبة كبيرة فى تفجيرها، ولكن الحجر أخطأ الهدف. بعدها بدأت الفتاة فى إصدار نغمة مبهمة.. >>(٢)

وهكذا، نلاحظ أن " جيئولا " على الرغم من إخلاصها ومجهوداتها الكبيرة فى حل مشاكل " الكيبوتس " ، إلا أن داخلها رغبات مكبوتة تعبر عنها فى ركلها للزجاجة بالحجر عدة مرات، ولكنها لم تحظ بما تريد ولم تنفجر الزجاجة، ولم تحظ كذلك بالخلاص الذى تريده. وقد يكون عوز آثر أن يطلق عليها " جيئولا " (الخلاص) رغبة منه فى التعبير عما تشعر به فى " الكيبوتس " من روح جماعية تندثر بين طياتها الذات الفردية، ومتطلباتها فى حق الحياة الخاصة دون قيود تكبلها. وقد يكون هذا تعبيراً عن ملل هذه الشخصية من الواقع التى تعيشه فى " الكيبوتس " ، وعدم قدرتها على التنفيس عما يجيش فى صدرها تجاه الواقع القيمى والاجتماعى فى الكيبوتس، ولذلك فإنها تنفس عن ذاتها فى صورة محاولات عديدة لتفجير الزجاجة. لعل هذا التفجير لهذا الشئ المادى يخفف عنها عبء الواقع الذى تعيشه، ولكنها غالباً ما تلقى فشلاً كبيراً لمحاولاتها.

غير أنها ظلت فى حاجة إلى التعبير عن سخطها على المجتمع، والواقع التى تعيش فيه، من خلال أعمال غريبة تعبر أبلغ تعبير عن تلك المعاناه النفسية التى تعيش فيها، وعن ذلك القلق الوجودى من جدوى الحياة والقيم التى تتلقاها، ولكنها فى النهاية لا تحظى بالخلاص:

<<.. ومن فرط حقدها صوبت " جيئولا " حجراً ثانياً تجاه تلك الزجاجة، وفى هذه المرة لم تخطئ الهدف، ولكنها لم تحظ بسماع صوت الانفجار التى تشتاق إلى سماعه... لكنها أتت بحجر ثالث أكبر وأثقل من سابقيه، وألقت به وهى على مقربة من الهدف بشكل يدعو للسخرية،

---

(1) עמוס עוז: ארצות התן, שם, עמ'32.

(2) שם, עמ'31

وداست الفتاة على الحوض الزراعى الرخو ووقفت فوق الزجاجة تماماً. وكان الانفجـار هـذه المرة مكتوماً مدوياً، ولم يكن مصحوباً بأى تخلص من العقدة النفسية أو الراحة. >>(١)

إلا أنها مازالت تعيش هذه المعاناه النفسية التى تبرز فى تلك الأعمال الغريبـة، والتـى تعبر عن الواقع النفسى المؤلم الذى اصطدم به الفرد الإسرائيلى، وحـاول الفكـاك منـه دون جدوى:

<< بعد ذلك... أمسكت بجذع يابس، وأخذت ترسم صـوراً علـى التـراب، وخطوطـاً، والتواءات، وزوايا حاده بلا معنى. >>(٢)

كما أننا نجد " هليل " الابن فى قصة (جبل المكبر) يتمرد على الواقع من حوله محـاولاً الخلاص منه، ويبدى اعتراضه على الأم والأب والعم " ميتيا " وكل اليهود. ويعبـر عـن ذلـك بالاختفاء بين أغصان شجرة التين، ويحاول الجميع مناشدته بأن ينزل من فوق الشـجرة دون جدوى. لقد اقتنع تماماً بسلامة موقفه، وقرر التمرد والتخلص من الواقع:

<< حاول أبى بكل قوته متوسلاً: إنزل يا " هليل " . أرجوك، من فضلك، إنزل يا بنـى. سوف تعود أمك مرة أخرى، والكل سيكـــون كما كان من ذى قبل >>(٣)

وتقول " نوريت جريتس " : << إن الفرق بين هذه القصة وقصص عوز ى، أن البطـل هنا ليس ضحية البشر الذين يقمعون تطلعاته، وغرائزه، وأحلامه. ولكنه بصفـة خاصة، هـو ضحية نفسه والواقع الخارجى، وضحية نقص الإمكانيات للعيش فى عالم " سام " أو فى عـالم " صغير " يحقق الأحلام. >> (٤)

وهكذا، نجد أن عوز يكشف صراعات النفسية الإسرائيلية التى عانت من حقيقة الإطـار التى وضعت فيه، والذى لم يراع الحد الأدنى للذات الإسرائيلية، وفور الاصطدام بالواقع المرير تحاول الشخصية الإسرائيلية أو الذات تحطيم هذا " الإطار " ، إلا أنها سرعان ما تعود إليه كأمر واقع لا مناص منه.

---

(١) עמוס עוז: ארצות התן,שם, עמ'33.

(٢) שם, עמ'34.

(٣) עמוס עוז: הר העצה הרעה, שם, עמ'52.

(٤) נורית גרץ: עמוס עוס, מונוגרפייה, עמ'170.

## (٢) الانطوائية:

يؤكد عــوز فى قصصه، على أن الإنســـان الــذى يتعلــق بالمثاليــة فــى المجتمــع الإسرائيلى، فإن هذه المثالية تسحقه تماماً عندما يواجه الواقع بمرارته. وحــين يفشــل هــذا الإنسان فى التسامى روحياً مع هذا الواقع، فإنه يتحول إلى ذاته الداخلية، فيــرى فيهــا الشــئ الوحيد الجدير بالإدراك، ويشعر بالرفض المتبادل بينه وبين مجتمعه. وينتهى الأمر بإدراكه بعدم الوجود فى هذا المجتمع، فيبدأ رحلة البحث عن البديل (١).

لقد نشأ الفرد الإسرائيلى مرتبطاً بروح الجماعة فى " الكيبوتس " ، ومع اشتداد المحــن والمشاكل التى جابهته بدأ يميل إلى العزلة، وهى السمة التى تضرب بجذورها فى أعماق النفس اليهودية فى الشتات اليهودى، حتى أصبحت بالنسبة لهم حقيقة نفسية يلجــأون إليهــا كمــلاذ يهرعون إليه ويحتمون به.

إن " جيئولا " فى قصة (البدو الرُحّل والأفعى)، على الرغم من أنها فتــاة " كيبوتســية " تربت على روح الجماعة وعلى التفكير الجماعى، إلا أنها كانت تميل إلى الإنطوائية والعزلة:

<< لقد اعتادت " جيئولا " فى مثل هذه الأيام أن تخرج قبيــل المســاء إلــى البســاتين بمفردها، وكانت تذهب وتعود بمفردها. >>(٢)

وعاش " فيما " بطل رواية **המצב השלישי** (الحالة الثالثة) طوال حياته بمفرده، وفى عزلة عن البشر حائراً ومنطوياً يفكر فى الواقع الذى يحيط به:

<< كان يبلــغ من العمر ٥٤ عاماً، وخلال سنوات عزلته كان معتــاداً علــى التحــدث، أحياناً، إلى نفسه. >>(٣)

## (٣) التشـــاؤم:

تتسم شخصية " اليهودى الإسرائيلى " بصفة التشاؤم، فهى تنظر للحياة نظرة تشاؤمية معتمة، وترى أن الحياة تسير بلا هدف، وأن الإنســان مخلوق غريب وجد فى عــالم لا معنــى لوجوده، أو ربما لا يعرف مغزى العيش فيه.

---

(١) د. زين العابدين محمود أبو خضره: جيل يبحث عن هوية، مرجع سابق، (ص ٣٥).

(٢) עמוס עוז: ארצות התן,שם, עמ'33.

(٣) עמוס עוז: המצב השלישי,הוצאת כתר, ירושלים, 1991, הדפסה שמינית, עמ' 11.

إن " فيما " بطل رواية (الحالة الثالثة) شخصية إسرائيلية تنظر إلى الواقع من حولها بنظرة تشاؤمية كلها تساؤلات حول الهدف من الحياة، وما هو المغزى منها. وتبقى الصهيونية دائماً سبباً فيما يعترى النفسية الإسرائيلية من تساؤلات، وذلك بعدما أصبح الحلم المزين واقع مرير اصطدم به الفرد الإسرائيلى، فأصبح كابوساً ينطوى على كثير من التساؤلات حول هدف الحياة ومعناها:

<<.. فى النهاية نجح فى النهوض، ووقف مشتتاً بماء المطر كإنسان لا يعرف من أين جاء، وما هى وجهته. >>(١)

و" فيما " شخصية تعبأ بما حولها ولا ترضى به، وترى الإنسان يسير بلا هدف:

<<.. إن الإنسان يا عزيزى " بردوكس " مخلوق غريب، فريد فى غرابته، يضحك حين ينبغى أن يبكى، ويبكى حين ينبغى أن يضحك. يعيش بدون عقل، ويموت دون رغبة منه فى ذلك. >>(٢)

وهو يرى أن الأيام تمضى دون معنى أو هدف:

<<... سلم، فجأة، بكلام الرجل المسن، ليس حول مسألة هوية الهنود بل حول الأيام التى تمضى بهم دون بهجة، ودون غاية. >>(٣)

وعلى مدار الرواية يظل " فيما " يفكر فى مغزى الحياة وهدفها، وينظر إليها نظرة تشاؤمية:

<<.. وفى الحقيقة، كان السؤال الحقيقى هو: ما هو مردود الثمن، أى ما هو معنى الحياة، وما هى غايتها. >>(٤)

حتى أنه لا يرى أهمية لأى شئ. أين يسير ؟ أو يذهب ؟ ويستقل أتوبيساً دون أن يعرف وجهته:

---

(١) עמוס עוז: המצב השלישי, שם, עמ' 11.

(٢) שם, עמ' 63

(٣) שם, עמ' 73.

(٤) שם, עמ' 96.

<<.. وبعــــد مــرور لحظات معدودة، استقل " فيمـــا " أول أتوبيس توقف أمامه فى المحطـــــة، دون أن يبذل جهداً فى التأكد من رقم الخط أو اتجاه الرحلـــــــة. >>(١)

## (٤) الشكوكية وعدم الإتزان النفسي (التوتر):

نفذت إلى لب النفسية الإسرائيلية حالة من التــوتر والشــكوكية، وصــارت الشخصــية اليهودية الإسرائيلية نتيجة لهذا " أنا " متشككة فيما حولها، الأمر الذى أصابها بــالتوتر وعــدم الثقة. ويرجع ذلك إلى أن هذه الشخصية كانت تعتبر عنصراً متلقياً، ولم تعط لها فرصة الانفراد بالذات، حتى شبت عن الطوق فوجدت نفسها أسيره لتساؤلات عديدة أرهقتها، وجعلتها تعــيش حالة من عدم الاتزان.

وتلك السمة يعانى منها " فيما " أيضاً فى روايــة (الحالة الثالثة):

<< ... لكنه هيئ له مرة أخرى، أن هناك إنساناً أعمى يتجول فـــى الخـــارج بالزقـــاق الخالى، ويتحسس بعصاه الطريق والأسوار الحجرية. >>(٢)

ويصل الأمر بـــ " فيما " إلى إصابته بحالة من النسيان الدائم حتى لأهــم الأمور حساسية بالنسبة له:

<< تذكر " فيما " بصعوبة أن عليه هذا الصباح أن يهتم بأمر ما لا يحتمل التأجيل، لكنه لم يستطع، بأى حال، أن يتذكر ما هو هذا الأمر، ولماذا كان ملحاً>>(٣)

وممـــا يدعو للدهشة، أن " فيما " يدعو اثنتين من صديقاته - ســـهواً - فى آن واحد، وفى مكان واحد على الرغم من أنه يرغب فى واحدة فقط منهن:

<< حاول " فيما " عبثاً أن يتذكر هل وعد " نينا " بأنه سوف يأتى بعد العمل ليأخذها من مكتبها، أم أنهما اتفقا على المقابلة بجوار السينما ؟ وبعد لحظة تردد، أخذ يفكر هل هو اتفـــق على ذلك مع " نينا " أم مع " أنط تدمور " . وهل من المحتمل أن عقله تشتت فدعاهما معاً عـــن طريق الخطأ ؟ >>(٤)

---

(١) עמוס עוז: המצב השלישי, שם, עמ' 217.

(٢) שם, עמ' 132.

(٣) שם, עמ' 141.

(٤) שם, עמ' 177.

ويظل " فيما " يتساءل فى داخله متشككاً فى كل شئ حوله:

<< إلى أين يمكن التقدم ؟ وما هو الأمر الذى عليه أن يواصله ؟ أليست الحقيقة هو أنه لم يبـــدأ بعد. ولكن ما الذى عليه أن يبدأه ؟ وأين ؟ وكيف ؟ >>(١)

ويصل أمر ذلك التوتر الذى يعيش فيه " فيما " إلى حد أن طفلاً صغيراً يثير لديه الرعب والفزع:

<<.. ولم يكن هناك أحداً فى الشارع، إلا طفل غامق اللون يبلغ من العمر عشر سنوات، وجه إليه مدفعاً رشاشاً من الخشب، فاضطر " فيما " إلى رفع يديه علـــى الفـــور تعبيـــراً عـــن الاستسلام التام. >>(٢)

ووسط هذه الحالة من الشكوكية والتوتر النفسى، فإن " فيما " على استعداد لـــرهن كـــل ميراثه مقابل راحته النفسية:

<< حوالى الثالثة ليلاً، استعد " أفرايم " ليرهن على الفور كل ميراثه فـــى مقابـــل يـــوم واحد، أو ساعة من الحرية الداخلية الكاملة فى إحساسه الداخلى. >>(٣)

وهكذا، جاءت هذه السمة نتيجة لهذا الإطار الذى وضع فيه الفرد الإسرائيلى، وهو إطار حددته له الأيديولوجية الصهيونية سلفاً، متناسية فى ذلك حرية الفرد الإسرائيلى، ورأت أنه من الأفضل أن يكون فى إطار من الحرية المستعبدة.

## (٥) القسوة والعنف والعدوانية:

كانت إحدى النتائج التى ترتبت على تقاليد الروح العدوانية فى الفكر الصهيونى وتواصل الحروب، أن ثبتـــت عبادة القســـــوة بين الشباب الإسرائيلين. ويقول الكاتب " عاموس ايلون" موضحاً الكيفية التى تتم بها عملية زرع روح عبادة القـــوة والقسوة: << لقد نمـــا نـــوع مـــن القسوة الإسبرطية على مر السنين، وأصبحت تميز الآن أقساماً كبيرة من الإسرائيلين الراشدين. وهذه القسوة الإسبرطية الوحشية، تبدأ منذ سنوات مبكرة فى حياة الفتى الإسرائيلى من خـــلال

---

(١) עמוס עוז: המצב השלישי, שם, עמ' 181.

(٢) שם, עמ' 238.

(٣) שם, עמ' 258.

اختبارات قاسية لقوة الاحتمال فى مناخ وظروف وأرض قاسية جداً أثناء تدريبات "الجدناع(*)"(١) وكثيراً ما تظهر الشخصية الإسرائيلية بمظهر استفزازى، تدعو السوقة والغوغاء من المتضررين بالعبث اليهودى إلى استعمال العنف، والعنف قوة جنونية إذا أفلتت وجمحت لا يدرى أحد كيف تنتهى (٢).

وقد ظهرت هذه السمة فى أعمال عوز لتعبر عن مدى العنف لدى الفرد الإسرائيلى. ففى قصته (البدو الرُحّل والأفعى) كان العنف هو السبيل الوحيد للتعامل مع كل شئ:

<< جاء عدد من الشباب الصغار واقترحوا القيام بهجوم على هؤلاء البرابرة فى إحدى الليالى، لتلقينهم درساً قاسياً. >>(٣)

وإذا لم تتم الموافقة على الاقتراح الجماعى الذى يدعو إلى العنف، فإن الأعمال الفردية قائمة لا محالة، ولابد من إظهار العدوانية والعنف:

<< ومن منطلق قيود الذوق الرفيع، لن أذكر هنا تفاصيل تلك الأعمال الانتقامية الفردية غير المألوفة التى قام بها عدد من الشباب ممن نفذ صبرهم، مثل القاء الحجارة على أحد شباب البدو الرحل المشتبه فيه، وكذلك ضرب أحد الرعاة حتى الإغماء >>(٤)

ويحث " ميتيا " المتطرف ابن أخيه " هليل " فى قصة (جبل المكبر) على العنف والعدوانية:

<< يجب علينا أن نخضعهن ونجامعهن بالقوة، وبالغضب المقدس.. >>(٥)

ويميل " ميتيا " فى داخله إلى الخراب والتدمير، حتى أن الورود والزهور لم تسلم من يده:

---

(*) الجدناع: هى اختصار الكلمات العبرية גדודי הנוער (كتائب الشباب). وتعتبر منظمة عسكرية للشباب ما قبل سن الثامنة عشرة، أى ما قبل دخول الجيش. وفيها يتدرب الشباب الصغار على استعمال الأسلحة، والعمل متطوعين فى المستوطنات اليهودية المختلفة.

(١) د. رشاد عبد الله الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص ٢٠٠).

(٢) د. حسن ظاظا: الشخصية الإسرائيلية، مرجع سابق، (ص ٨٩).

(٣) עמוס עוז: ארצות התן,שם, עמ'31.

(٤) שם, עמ'28.

(٥)עמוס עוז: הר העצה הרעה, שם, עמ'34.

<<.. وبدأ يطأ فى تلك الإثناء أحواض الزهور واحداً تلو . يقتلع ويقلع، يرمـــى خلــف ظهره بالسيقان والفروع. >>(١)

ويميل " بوعز " أحد أبطال رواية (صندوق أسود) إلى العنف ويعشقه، لدرجة أنه يصبح نهجاً له فى شتى المواقف، فتقول له أسرته فى خطاب إليه:

<<.. بدأت أخشى ألا يتمخض عنك ذات مرة إنسان، فربما كان هذا هو قدرك، وهو أن ينمو فيك إرهابى طائش. وربما لم تكن الصفعات التى تلقتها منك المدرسة فى مدرسة " تلاميم "، والرأس التى فتحتها للحارس الليلى الخاص بهم، حادثاً مخزياً، بل هى إشارة تحذيرية بأنه قــد بدأ ينمو لدينا بغل >>(٢)

ولم يعبأ " بوعز " بمحاولات والديه فى إثناءه عن العنف والقسوة:

<< لقد أعطتك السماء قوة كبيرة. وأنت تعتقد، بسبب حماقتك، أن هذه القوة من أجــل الضرب. إن هذه القوة من أجل أن تتغلب أيها الحمار ! ومن أجل أن تسيطر على غرائزك... أما أن تفتح رأس إنسان فهذا من الممكن أن يفعله لوح خشبى أو حجر >>(٣)

ويستمر " بوعز " فى التعامل بمنتهى القسوة مع أى موقف، مهما كان الثمن:

<< تدخل " بوعز " فى هذا الحادث، وبمساعدة إطار عربة مربوط بحبل، تصرف بطيش وأصاب تسعة جنود، وخمسة من رجال شرطة الأوبرا >>(٤)

وتقول " شولاميت شميدط " عن هذا الصبى: << إن ذلك الصبى الذى شاهد أحداث العنف التى حدثت مع أبيه، ومظاهر الكراهية بين والديه، تحول إلى صبى عنيــف وثــائر وعجيــب. ويطالب " سومو " برعايته وتلقينه تعليماً دينياً وصهيونياً. >> (٥)

---

(١) עמוס עוז: הר העצה הרעה, שם, עמ'52.

(٢) שם, עמ'46.

(٣) שם, עמ'48.

(٤) שם, עמ'80.

(٥)שולמית שמידט: 9 בספרות, עיונים בתשע יצירות בסיפורת העברית החדשה, שם, עמ'36.

أما " يوسف أورون " فيقول عنه: << إنه يجسد شخصية اليهودى العلمانى، ويجسد أيضاً شخصية صبارية مبالغ فيها للغاية، ومن المستحيل أن تتوقع منه فائدة ولو بسيطة>>(١)

وليس فقط أن عدوانية الإسرائيليين تتجه إلى البشر، بل إن الحيوانات لم تسلم من عدوانيتهم وقسوتهم:

<< ذات مرة، وبجوار بئر " تامادا " فى سيناء، دخل جمل تائه إلى منطقة خط إطلاق النار الخاص بى... فأطلق المدفعجى قذيفتين تجاهه فأخطأ الهدف، ثم طلب جندى الاتصال المحاولة، فأخطأ هو . واشتركت أنا فى المباراة، واتخذت موقع المدفعجى، ثم أطلقت النيران عليه فأخطأت أيضاً. وفى القذيفة الرابعة فصلت رأسه عن رقبته، ورأيت بوضوح من خلال المنظار بركة من الدماء ارتفعت مترا أو اثنين >>(٢)

ولعل قصة " خربة خزاعة " للأديب الإسرائيلى " ساميخ يزهار " جاءت لتعبر عن هذه النزعة العدوانية تجاه الحيوانات، فهى شخصية تمارس أحط الغرائز العدوانية تجاه كل ذى نفس حية من بشر وحيوانات، وهذه القصة زاخرة بالعديد من المواقف التى تعكس هذه الصفات، والتى تجعل هذه الشخصية سعيدة بصورتها القبيحة اللاإنسانية تجاه الحيوانات (٣).

إن العدوانية غالباً ما تأتى نتيجة إحساس بعدم الأمان، والخوف من الهزيمة. ويلجأ الفرد الإسرائيلى إليها لعدم الثقة فى أو فيما حوله، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى لأنه تربى عليها وتشربها واقتنع بها جيداً، فهى ملاذ له من الأخطار المحيطة به من كل صوب. وهو الأمر الذى يعطى له علم النفس التفسير المقبول: (إذا ما تعرض الفرد لعدوان لا قبل له بمواجهته، وأصبحت الهزيمة خطراً يهدد اتزانه النفسى، فإنه كثيراً ما يلجأ إلى اتخاذ مصادر العدوان مصادر له يقتدى بها ومثلاً عليا يسير على هديها حفاظاً على اتزانه النفسى) (٤).

---

(١) יוסף אורן: ציונות וצבריות ברומן הישראלי, הוצאת יחד, תל אביב, 1995, עמ' 47.

(٢) עמוס עוז: קופסה שחורה, עמ'202-203.

(٣) د. رشاد عبد الله الشامى: الفلسطينيون والإحساس الزائف بالذنب فى الأدب الإسرائيلى، مرجع سابق، (ص ١٤٨).

(٤) د. رشاد عبد الله الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص ١٤٦).

## (٦) التأرجح بين الرغبة في السلام والخوف منه:

بالرغم من نزوع الشخصية اليهودية الإسرائيلية أحياناً نحو السلام كرد فعل لفظائع الحرب، ورغبة في الحياة الهادئة بلا تهديد، مهما كان الثمن الذى سيدفع فى مقابل هذا (دولة فلسطينية، وتنازل عن الأراضى، وإزالة المستوطنات... إلخ)، إلا أنها تظل بشكل مستمر فى حاجة إلى الشخصية القوية التى تختزن فى داخلها كل مقومات العدوانية والقسوة، لأنها هى الدرع الوحيد التى يثقون فى قدرتها على الدفاع عن وجودهم، ومن هنا كان هذا التنازع الرهيب فى النفسية الإسرائيلية بين الرغبة فى السلام والخوف منه [1]. وقد جاء ذلك نتيجة أن الفرد الإسرائيلى قد وجد نفسه فى مفترق طرق، إما أن يجنح نحو السلام، وإما أن يواصل ميله نحو العنف والعدوانية. لكن العنف والعدوانية لا يولد إلا إحساساً بعدم الشعور بالأمن والأمان.

ويقول السيد ياسين عن هذا التأرجح الذى يقع فيه الفرد الإسرائيلى: << إن العقل الإسرائيلي يمر بمحنة لا شك فيها، ولعل أبلغ ما يعبر عنها ذلك الانفصام الحاد الذى ظهر تجلياته فى السنوات الأخيرة بين نزعة العنف والعدوانية واتجاه ينحو إلى الخضوع لمتطلبات السلام، كحل للصراع العربى الإسرائيلى الذى بقى مشتعلاً لعشرات السنين >> [2].

لقد بات السلام بالنسبة للإسرائيلين أملاً يراودهم بعد كل حرب يخوضونها. وبعدما يتساقط عشرات القتلى من الأقارب والأبناء يصبح السلام غاية ينشدونها، إلا أنهم يعزفون على أوتاره ألحان الخوف والقلق، فيعودون مرة أخرى استعداداً للحرب القادمة.

وتؤكد عالمة النفس الإسرائيلية " عاميا ليبليخ " هذا الواقع بقولها: << إن الحرب فى إسرائيل هى جزء من الماضى، ومن الحاضر، ومن المستقبل. إنهم يأملون فى السلام، ولكن لابد من الاستعداد للحرب القادمة >> [3]

وتعتبر حرب أكتوبر (١٩٧٣) نقطة البداية والعامل الرئيسى فى اتجاه المجتمع الإسرائيلى إلى التغيير. فقد رسخت هذه الحرب فى الذهنية الإسرائيلية أن مبدأ القوة واللجوء إلى العنف والحرب فى معالجة الصراع فى الشرق الأوسط قد سقط سقوطاً مروعاً، وأن

---

([1]) المرجع السابق، (ص ٢٥٥).

([2]) السيد ياسين: محنة العقل الإسرائيلى، صحيفة الأهرام ١١-٩-١٩٩٧، (ص ٢٤).

([3]) د. رشاد عبد الله الشامى: عجز النصر، الأدب الإسرائيلى وحرب ١٩٦٧، مرجع سابق، (ص ١٠).

الاعتماد على التفوق العسكرى لا يحقق الأمن الذى ينشده الإسرائيليون [١]. وهناك من ينظر إلى هذا الإحساس القدرى الحتمى بتوالى الحروب على أنه أفقد اليهودى الإسرائيلى الأمن والأمـان والحياة الطبيعية بأكثر مما كان وضع (اليهودى الجيتوى) بين المجتمعات التى عـانى معـاداة اليهودية وسـطها، ويرفعون شعاراً يبدى الاسـتعداد للتنازل عن الأرض فى مقـابل السلام [٢]. ووضعوا تساؤلات دون أن يجدوا لها الإجابة، وهل الحرب هى الـدرع الـواقى لهـم ؟ أم السلام؟ خاصة وقد دأبت الأيديولوجية الصهيونية على ترسيخ مفهوم الحـرب لـدى الإنسـان الإسرائيلي.

ذلك لأن الحرب هى التى تخلق بينه وبين سائر أفراد جماعته روح التماسك والـتلاحم، وهى التى تذيب التناقضات الداخلية والتى بسببها يتم تجاوز كل الخلافات السياسـية والدينيـة والاجتماعية [٣]. وفى داخل هذا العبث وفقدان الاتجاه، تسيطر السوداوية والحتمية والإحسـاس بأن حالة الحرب هى حالة دائمـة، وهو الأمر الذى دفع " مـوشية ديان [*] " إلـى القـول: <<إننا جيل من المستوطنين، لا نستطيع غرس شجرة أو بناء بيت دون الخوذة الحديدية والمدفع، علينا ألا نغمض عيوننا عن الحقد المشتعل فى أفئدة مئات الآلاف من العرب حولنا، وعلينـا ألا ندير رؤوسنا حتى لا ترتعش أيدينا. إنه خيار جيلنا، أن نكون مستعدين ومسـلحين، أن نكـون أقوياء وقساة، حتى لا يسقط السيف من قبضتنا وتنتهى الحياة [٤] >>.

لقد وجد المحارب الإسرائيلى نفسه وجهاً لوجه أمام الموت، حيث أن الموت يحيط به من كل جانب وفى كل لحظة، وهو الأمر الذى يجعله يتساءل لماذا يذهب بنفسه إلى الحرب ؟ ولماذا يكون هو الضحية ؟ [٥].

وهكـذا، تصبح النتائج السياسية لأية حرب ليست هى الأهم، فهناك نتائج أكثر جدة، هى نتائج الآثار التى تتركها الحرب نفسها فى الفكر الإنسانى والتى قد تستمر لمدة أطول. وممـا لا

---

(١) د. محمد خليفة حسن: الشخصية الإسرائيلية واتجاهاتها نحو السلام، صحيفة الأهرام ١٤-٨-١٩٩٧.

(٢) د. رشاد عبد الله الشامي: نفس المرجع، (ص ١٠).

(٣) د. رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (٢٢١،٢٢٠).

(*) موشية ديان: وزير الدفاع فى حربى ١٩٦٧، ١٩٧٣، ووزير الخارجية الإسرائيلى السابق.

(٤) د. عبد الوهاب المسيرى: أرض عطشى للدماء، الأزمة الصهيونية من منظور إسـرائيلى، صحيفة الأهـرام ١٧-١٠-١٩٩٧.

(٥) سامية جمعة على: رواية "أيام تسكلاج "والتساؤلات الكابوسية لجيل محاربى ١٩٤٨ تجاه الحرب، مجلة إبداع، العدد الثانى فبراير ١٩٩٥، (ص ٢٨).

شك فيه، بالنسبة لتاريخ الحضارات، أن الأثر الذى تتركه بعض الحوادث الاجتماعية فى أذهاننا يبدو أكثر أهمية من الحوادث نفسها، وذلك لأن الحوادث تنسى بسرعة أكبر من التقاليد، وخاصة إذا تداولتها الألسن (١).

وهكذا، تصبح الحرب سبباً فى محنة التأرجح بين الرغبة فى السلام والخوف منه بالنسبة للفرد الإسرائيلى، وهل يمضى تجاهه أم يجنح له الطريق ؟ وهو تناقض أوقعته فيه مفاهيم الدولة نحو الأمن والأمان. وهو أيضاً تناقض لم يملك له حسماً، فبقى متأرجحاً بين الالتزام الصهيونى وبين البحث عن الذات والأمن والسلام، يمسك بغصن الزيتون فى يد والمدفع فى اليد ى، ولا يدرى أيهما يقدم ؟!.

وقد عبر الأدب الإسرائيلى عن هذه الهوة، ويعتبر عوز أحد هؤلاء الأدباء الإسرائيلين الذين عبروا عن تساؤلات الفرد الإسرائيلي تجاه السلام. ففى روايته (الحالة الثالثة) نجد " فيما " بطل هذه الرواية وقد ظهر متمرداً على الواقع الذى ظهر فيه، وعلى الدولة ومفاهيمها نحو السلام، ويؤرقه ما يجرى فى الأراضى المحتلة، وما يحدث داخل إسرائيل والمجتمع الإسرائيلى.

هذا البطل يقول فى نهاية الرواية لأبطال الفيلم الذى يشاهده فى السينما، وكأن كل ما يشاهده فى الواقع هو مشهد سينمائى: << إذا أردتم أن تستريحوا وتريحوا فليترك كل منكم فى حاله، وكونوا خيرين. >> (٢) كما تكثر فى هذه الرواية تساؤلاته نحو ماهية السلام، وكيف يحدث؟ وعلى أى صورة يكون ؟ ولكنه، فى نفس الوقت، يخشى تداعيات هذا السلام:

<< رأى نفسه فى خياله يجمع وزرائه فى جلسة لمجلس الوزراء المصغر فى منتصف الليل... وفى الفجر سوف يمرر قراراً بأغلبية الأصوات، يقضى بإخراج قواتنا فى المرحلة الأولى من قطاع غزة دون إتفاقية. أما إذا أطلقوا من هناك النيران تجاه مستوطناتنا فسوف أدمرهم من الجو. وإذا حافظوا على الهدوء وأثبتوا توجههم نحو السلام فسوف ننتظر عاماً أو عامين، وبعدها نبدأ فى المفاوضات حول مستقبل نابلس والخليل. >>(٣)

لقد اعتاد " فيما " ، خلال هذه الرواية، تصور نفسه أنه المسئول الأول عن الدولة، لذلك كان يجمع مجلس وزراء من أصدقائه، ويعرض عليهم مقترحاته حول بعض الأمور التى

---

(١) د. رشاد عبد الله الشامى: الفلسطينيون والإحساس الزائف بالذنب فى الأدب الإسرائيلي، مرجع سابق،(ص٧).

(٢) أحمد عمر شاهين: الرواية الإسرائيلية المعاصرة، مجلة إبداع، العدد الثانى فبراير ١٩٩٥، ص (١٥).

(٣) עמוס עוז: המצב השלישי، שם، עמ' 13.

تشغله. ونلاحظ هنا أن " فيما " يفكر فى السلام، ولكنه يخشى عواقبه. فهو يقترح الانسحاب من الأراضى مع وضع تصورات لما يمكن أن يحدث، فإذا حافظ الفلسطينيون على الهدوء وأثبتوا توجههم نحو السلام، فسوف ينتظر عامين حتى يطمئن إلى ذلك، وهو ما يبين قلقه تجاه حقيقة السلام، فيتنازع مع نفسه حول الرغبة فيه أو الخوف منه.

ويرى " فيما " أن الدولة تبدد فرص السلام السانحة أمامها، ويصف زعمائها بالعصابة:

<<... وانتهى إلى أن هذه الدولة وقعت فى أيدى عصابة من المختلين. مراراً وتكراراً يدفعون نحو فقد وتدمير كل فرص السلام، لأن السلام يبدو لهم كخدعة نازية تضمر إبادتهم.>>(١)

وهكذا، يرى " فيما " أن الدولة وقعت فى أيدى عصابة تخشى السلام على الرغم من أن الشعب يطلبه، وذلك لأن الماضى يرفرف أمامهم، وأحداث النازى عالقة فى أذهانهم، ويخشون من ألا يحقق لهم السلام الأمن المنشود.

وينظر " فيما " إلى حرب (١٩٦٧) على أنها سبب ذوبان هويتهم، وسبباً فى إحلال الكثير من المشاكل:

<< توجه " فيما " إليهم بكلمات معدودة وقوية حول ضرورة الاختيار ما بين الأراضى التى احتلت فى حرب الأيام الستة وبين هويتنا... وقبل حرب الأيام الستة، كان " فيما " يفكر فى أن الوضع القومى كان أقل خطورة ودماراً مما هو عليه اليوم. أو ربما ليس أقل خطراً، بل فقط أقل إزعاجاً وكآبة. >>(٢)

وهكذا، تبدو الصورة لدى " فيما " ، وهى أن التخلى عن الأراضى المحتلة فى حرب (١٩٦٧)، هو الذى سيحفظ لهم هويتهم، أى أن هذا هو الذى سيحافظ على يهودية الدولة، كما يشير إلى أن الحرب هى السبب فيما هم عليه الآن من كآبة وعدم الشعور بالأمان أو الاستقرار، على الرغم من انتصارهم فى حرب (١٩٦٧). وذلك لأن احتلال الأراضى العربية فى هذه الحرب وضعهم أمام إشكاليات صعبة.

ويرى " فيما " أنه حان الوقت لوضع حد لدائرة الدماء، وفتح صفحة جديدة، لأن ذلك هو السبيل الوحيد للسلام:

---

(١) עמוס עוז: המצב השלישי שם, עמ' 13.

(٢) שם, עמ' 29-30.

**<<.. ومع ذلك سوف يقترح من الآن وضع حد لدائرة الدماء، والبدء سوياً في بناء مستقبل فكرى من خلال الحل الوسط والمصالحة، والشرط الوحيد للبدء في المفاوضات سوف يكون التوقف النهائى عن أعمال العنف من كلا الطرفين. >>(١)**

**وإذا لم تمتثل الدولة لمطالب الشعب فى السلام فإن " الثورة " هى الحل الوحيد فى رأى " فيما " :**

**<<.. ومن الآن سيسمى مجلس الوزراء المصغر بمجلس الثورة. وستتم العملية الانقلابية خلال ستة أشهر. وحينئذ، سوف يكون هناك سلام، بعدها على الفور نعود جميعاً كل منا إلى شئونه، ولن نواصل التدخل مرة أخرى فى شئون السلطة المنتخبة. >>(٢)**

**وهنا يحلم " فيما " بتغيير السلطة وقيادة مسيرة السلام حتى يتحقق، بعدها ينسحب ويعود إلى عمله هو ورفاقه بعد إتمام مهمة إحلال السلام. ويمكن القول - من خلال الفقرة السابقة - أن السلطة الحاكمة فى إسرائيل قد لا تعبر عن متطلبات الشعب، خاصة نحو السلام الذى ينشده، لذلك نجد أن هناك العديد من حركات السلام فى إسرائيل، التى تعبر عن مطالب قطاعاً عريضاً من الشعب الإسرائيلى، وعوز نفسه هو أحد أعضاء حركة " السلام الآن (*) " ، وهى إحدى الحركات التى تنظر إلى السلام على أنه أمر حيوى لابد وأن ينطوى على حل يرضى جميع الأطراف. ولعل ذلك يشير إلى أن قطاعاً عريضاً من الشعب الإسرائيلى بمختلف طوائفه يرغب فى السلام، وينتمى إلى حركات تدعو إليه، وتعبر عن متطلباته. وهذا ما يفكر فيه " فيما " :**

---

(١)עמוס עוז: המצב השלישי، שם، עמ' 70.

(٢) שם، עמ' 70.

(*) <u>السلام الآن</u>: تعتبر هذه الحركة هى حركة ذات طابع صهيونى ليبرالى معتدل، وتعتبر امتداداً لحركة السلام الإسرائيلية بعد حرب (١٩٦٧)، وتضم فى صفوفها العديد من أبرز رموز الثقافة والفكر فى إسرائيل، وشخصيات متنوعة تضم أساتذة جامعات، وأدباء مشهورين، ورجال أعمال، وقادة سابقين فى جيش الدفاع الإسرائيلى، وشخصيات عامة قيادية من بينهم وزراء سابقون فى الحكومات الإسرائيلية، والآلاف من المتعاطفين مع الحركة وأهدافها.

(أنظر: د. رشاد عبد الله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، ص ١٨٦)

<< من الممكن أيضاً أن أنضم إلى إحدى الحركات الحالية... وأوجه ضوءاً جديداً إلى الوضع القومى حتى تتحرك القلوب الصلدة للغاية. وهكذا، نصل إلى الدفة التى ستقودنا إلى إقرار السلام فى البلاد. >>(١)

ولكن " فيما " بعد كل هذا يرجئ النظر فى أمر السلام، معلناً تردده نحوه والخوف من جدواه:

<< دعا " فيما " مجلس الثورة فى لقاء صباحى قصير، وأعلن أمامه أنه غير رأيه، وأرجأ رحلته الجوية إلى تونس. فمسيرة السلام يجب أن تبدأ هذه المرة ليست بحدث استعراضى على طريقة السادات وبيجن، بل تتم تحديداً بتبادل التوجهات الصغيرة التى ربما تكون فى قدرتها أن تذيب تدريجياً أسوار الكراهية والغضب >>(٢)

وهكذا، يمكن القول أن الفرد الإسرائيلى قد يتردد نحو السلام، فهو يرغب فيه ويخشى أثاره، ولا يثق فى التداعيات التى ستترتب بعد إقراره. فبعد أن قرر " فيما " السفر إلى تونس ليخطب أمام المجلس القومى الفلسطينى، سرعان ما غير رأيه، ورأى أن الحقد والكراهية مازالا يسيطران على النفوس، ومن شأن ذلك أن يكون له أثراً سلبياً على أمن المجتمع الإسرائيلى. فهو يرى أن تحقيق السلام، فحسب، لا يمكن أن يحافظ على أمن إسرائيل، فمن الممكن أن يحدث سلاماً فى الوقت الذى تبقى فيه أسوار الحقد والكراهية بين الشعبين، وبالتالى لن يكون ذلك سلاماً شاملاً. فيعود للدوران فى الحلقة المفرغة ما بين الرغبة فى السلام والخوف منه.

وتبقى الحرب دائماً وفقد الأموات وزيادة عدد الثكالى، وموت الأبناء هى بمثابة جرس إنذار، قد يدفع الفرد الإسرائيلى للتفكير فى السلام رغم التشكك فى جدواه. فتقول " شنيد مان" إحدى شخصيات هذه الرواية فى حديث لها مع " فيما " :

<< فليأت فحسب السلام لدولتنا الغالية، فصعب علينا أن نعانى طوال الزمن من فقد الأموات. >>(٣)

وهكذا، بدأ الإحساس بالدوران فى الحلقة المفرغة من الحروب والسأم من كابوس الحروب المتعاقبة والتشكك فى جدواها يعم الكثيرين، وبدأت تتسرب المشاعر والانطباعات التى

---

(١) עמוס עוז: המצב השלישי، שם، עמ' 73-74.

(٢) שם، עמ' 99.

(٣) שם، עמ' 159.

تعبر عن مناخ الرفض لاستمرار أهوال الحرب والتمرد على الموت بلا ثمن، والافتقار إلى الأمل فى حياة هادئة فى المستقبل، ورفض التوالد يأساً من المستقبل، ورفضاً لأن يكون الأبناء وقوداً لمزيد من الحروب. وقد شهدت فترة حرب الاستنزاف مجموعة من ردود الفعل العارمة التى اجتاحت قطاعاً عريضاً من المجتمع الإسرائيلى، مطالبة بوضع حد لهذه الحروب، وبالسعى إلى السلام بأى ثمن مع العرب، ولو على حساب التنازل عن الأراضى التى احتلتها إسرائيل فى حرب يونيو (١٩٦٧) [١].

ووسط هذا الخوف من السلام والرغبة فيه فى آن واحد، يرى البعض أن توكيل الزعماء للبت فى شأن السلام هو أفضل حل، فهم يعرفون أكثر:

<< قرر " فيما " فى النهاية أن يكتفى بهذا السؤال: ماذا يجب فى رأيها أن نفعل من أجل تقريب السلام ؟ فانتابت السيدة " شينمان " حالة من الشك... ثم قالت: ما الذى نفهمه نحن ؟ فلنترك القرار للكبار والجنرالات فى حكومتنا، وليمنحهم الرب الصحة، ويمنحهم المزيد من العقل، يجب أن نتنازل قليلاً للعرب. >>(٢)

وهكذا، يظل " الفرد الإسرائيلى " متأرجحاً بين الرغبة فى السلام الذى يتطلب التنازل عن الأرض وبين الخوف منه، لكن التنازل يجب أن يكون مبنياً على الثقة، والفرد الإسرائيلى لا يثق فى (العرب)، والسلام لن يتحقق إلا بإعادة الأراضى المسلوبة، وهو ما يدركه جيداً، لذلك فهو يتردد تجاه السلام أحياناً، ويقع فى تناقض مابين الرغبة فيه والخوف منه مقابل التنازل عن الأرض:

<< هناك مغزى، حينئذ، فى محاولة صياغة ثقة تصف بالضبط أين هى الحدود الصحيحة والمتزنة الخاصة بنا من أجل أن نقدم تنازلات للعرب. >> (٣)

وعلى الرغم من أن قطاعاً كبيراً من الشعب الإسرائيلى يرغب فى السلام حتى وإن كان يخشى منه، إلا أن البعض منهم حسم الموقف وحدد أطراً عديدة لمفهوم السلام الذى يحلم به، والتى بدونها لا يرضى به. والبعض رفضه تماماً أملاً فى أن القوة ستحقق لهم الأمن، ويرون أن العرب لا يريدون السلام، بل يريدون إبادتهم وتدميرهم. فيقول الأب إلى " فيما " فى رواية (الحالة الثالثة):

---

([١]) د. رشاد عبد الله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص ١٨٢).

([٢]) עמוס עוז: המצב השלישי, שם, עמ' 160.

([٣]) שם, עמ' 196.

<<.. إنهم يريدون أيضاً ذبحنا. إن كل ما يريدونه هو إبادتنا. >>(١)

كما أن فكرة الحل الوسط غير واردة، عند البعض، على الإطلاق. فهو يمكن أن يكون مع أى أحد إلا العرب:

<< حل وسط، حقاً، هذا أجمل ما قلت. فالحل الوسط أمر ممتاز لا يوجد له مثيل. فالحياة كلها قائمة على الحل الوسط.. لكن مع من تصنع حلاً وسطاً ؟ مع الذين يطلبون دماءنا، ومع الذين يتطلعون فقط إلى إبادتنا ؟ >>(٢)

وهكذا، يرفض الأب السلام ويحدد رأيه فيه بحسم، ويرى أن هناك انعداماً للثقة فى الطرف الذى لا يريد السلام، وإنما يريد فقط إبادتهم وذبحهم. وهذا الحسم نجده أيضاً لدى أحد السائقين فى حديثه مع " فيما " :

<< لنقتلهم فهم مازالوا صغاراً. ولا نسمح لهم برفع رؤوسهم، فلنجعلهم يلعنون ذلك اليوم الذى فقدوا صوابهم فيه معنا... وعند خروجه من التاكسى سأل " فيما " السائق: حينئذ، ماذا سيحدث ؟ وإلى متى فى رأيك سوف نستمر فى قتل كل منا للآخر ؟ فقال السائق: حتى مائة عام. هكذا حدث أيضاً فى عصر التوراه. لم يكن هناك ثمة سلام بين اليهود وغير اليهود. >>(٣)

وهناك من رأى أن السلام دون ضمانات كافية، مثل الأمن الشامل، لن يصبح سلاماً:

<<.. إننى من أجل السلام الحقيقى، الذى يقولون عنه، مع الأمن والالتزام وكل الضمانات والأمن الشامل. >>(٤)

وهناك من حسم الموقف من منطلق القوة والتشكك فى مؤتمرات السلام، ودعى إلى التريث وعدم الاستعجال حتى يكون هناك ردع إسرائيلى يحقق الأمن:

<< أوصى أحد الخبراء القدامى فى القانون الدولى الحكومة بعدم التسرع فى الجرى وراء مؤتمرات السلام المختلفة والمشكوك فيها. فعلينا أن ننتظر حتى يحدث على الأقل ردع إسرائيلى. وعلينا ألا نقترب، معاذ الله، من مائدة المفاوضات من خلال موقف ضعف واستعجال،

---

(١) עמוס עוז: המצב השלישי، שם، עמ' 64.

(٢) שם، עמ' 64.

(٣) שם، עמ' 127.

(٤) שם، עמ' 183.

بينما سيف الانتفاضة موجه إلى رقابنا. فالمفاوضات ربما تكون جادة فقط عندما يدرك العرب فى النهاية أن ليس لديهم أى أمل سياسى أو عسكرى، أو أى أمل، فيأتون للتوسل أمامنا وهم مستسلمون حتى نصنع معهم سلاماً >>(١)

وهكذا، يمكن القول من خلال ما سبق، أن السلام أصبح أمراً شائكاً ومحيراً شأنه شأن المجتمع الإسرائيلى، اختلفت الرؤى والتوجهات نحو مفهومه. وربما يرجع ذلك إلى طبيعة تكوين المجتمع الإسرائيلى، فهو مجتمع يضم بين عناصره أيديولوجيات عديدة، وطوائف شتى يصعب أن تتجه جميعها ناحية هدف واحد.

إن إسرائيل تتكون من عدة أمم تتعدد فيها الأعراق والثقافات والاتجاهات الفكرية. فبالإضافة للبنية التقليدية للمجتمع الإسرائيلى من عناصر السفارديم والإشكيناز والصابرا والمهاجرين الجدد والعرب الفلسطينيين، تتزاحم داخل المجتمع الإسرائيلى وتتناحر الأيديولوجيات المختلفة، حيث ينقسم الإسرائيليون إلى يهود متشددين وقوميين ودينيين وتقليديين وعلمانيين وغير ذلك من الفئات، مما أدى إلى تشرذم المجتمع الإسرائيلى وتفتته إلى عدة ثقافات ولهجات (٢). وهو ما جعل التعامل مع السلام بالنسبة للمجتمع الإسرائيلى على اختلاف طوائفه واتجاهاته، يتم من خلال رؤى غير واضحة المعالم يملؤها التردد والشك. كما أن الأيديولوجية الصهيونية تدخلت فى صنع النفسية الإسرائيلية، وجعلت الفرد الإسرائيلى يتشكك حتى فى أهم متطلبات الحياة وهو الأمن والاستقرار. وأصبح الشك وعدم الثقة فى الطرف من أهم السمات التى فرضتها الأيديولوجية الصهيونية على الفرد الإسرائيلى منذ نشأته، لذلك فهو يفكر فى السلام لأنه يفتقد الأمن، لكنه سرعان ما يعود ويحيد عنه عندما يصطدم بفرضيات التوجه الصهيونى الذى يجرى فى دمه، حتى أن حركات السلام فى إسرائيل تضع فى حسبانها دقة المحاولة.

إن قضايا الأمن الإسرائيلي لدى حركات السلام لها أهمية خاصة لا تختلف كثيراً عن سائر القوى الصهيونية اليمينية، وخاصة في مسألة القوة النووية الإسرائيلية، وسياسة الردع بالإضافة إلى أن معظمها يؤكد على مبدأ " القدس الموحدة " ، و" العاصمة الأبدية لإسرائيل " (٣). لذلك حتى و إن كان هناك قطاعاً عريضاً من الشعب الإسرائيلي يفكر في السلام، إلا أن مفهوم

---

(١) עמוס עוז: המצב השלישי, שם, עמ' 231.

(٢) د. محمد خليفة حسن: الشخصية الإسرائيلية واتجاهاتها نحو السلام، صحيفة الأهرام ١١ – ٩ – ١٩٩٧.

(٣) د. رشاد عبد الله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص ١٩٨).

السلام لديه هو السلام المشروط الذي يضمن له الأمن، وعدم التعرض لخطر الإبادة، حتـــى وإن ضمن ذلك فيبقى حاجز عدم الثقة في أمراً هاماً وضرورياً يتراجع من خلاله عن رغبتـــه فـــي السلام ، ليعيش في تناقض غريب ما بين الرغبة في السلام والخوف منه مـــن ناحيـــة، وبـــين الرغبة في السلام مع الاحتفاظ بالأراضي العربية من ناحية أخرى..

## " اليهودى الإسرائيلى المتدين " و" اليهودى الإسرائيلى اليمينى المتطرف " :

كان اهتمام " عوز " بنفسية الفرد الإسرائيلى وصراعاته، سبباً فى إثارة الكثير من قضايا المجتمع الإسرائيلى فى مقالاته السياسية التى تعتبر امتداداً، وأحياناً تفسيراً لإنتاجاته الأدبية.

لقد عبر " عوز " فى مقالات عديدة عما يدور فى المجتمع الإسرائيلى بكل تياراته الدينية والعلمانية، واقترب من الحصون التى قلما أن نجد أحداً من الكتاب الإسرائيليين يقترب منها، وأجرى مقابلات مع فئات مختلفة من المجتمع الإسرائيلى، رصد خلالها خريطة الانقسامات حول قضية الصراع العربى الإسرائيلى، وحول الثقة فى السلام مع العرب، وحول الصراع بين اليهود الدينيين واليهود العلمانيين، وغيرها من القضايا.

وإذا حاولنا، فى البداية، أن نعرف ما هى أنماط شخصية " اليهودى الإسرائيلى" التى تناولها عوز فى كتاباته السياسية، يمكن القول بأن عوز إدراكاً منه بحسه السياسى بأن قضية الصراع العربى الإسرائيلى، هى قضية كيان ووجود بالنسبة لإسرائيل، وأنها الشراع الذى يحدد وجهة المجتمع الإسرائيلى، فقد تناول فى هذه الكتابات كلاً من النمطين التاليين:

(١) شخصية " اليهودى الإسرائيلى المتدين " .

(٢) شخصية " اليهودى الإسرائيلى اليمينى المتطرف " .

وذلك إدراكا منه بأن هذين النمطين هما اللذان يقفان فى الجانب الآخر من المجتمع الإسرائيلى العلمانى، ولأنهما أصبحا بفعل عوامل كثيرة أثر حرب أكتوبر (١٩٧٣) يؤثران فى توجهات المجتمع الإسرائيلى بقوة، سواء على المعيار الخاص بطبيعة الدولة أو فيما يخص الموقف من قضية العرب الفلسطينيين ورؤيتهم للصراع حول الأرض والحقوق التاريخية والدينية المدعاة.

غير أننا لابد وأن نميز بالنسبة للنمط الأول ما بين الجماعات اليهودية الدينية المتشـددة (الحريديم (*)) وبين الجماعات اليهودية الدينية المتطرفة، حيث أن الأولى تسـعى إلـى خلـق " جيتو" يهودى داخل الدولة، يحافظ على خصائص يهودية الشتات من حيث الثقافة فـى اللغـة والتشدد فى تطبيق الشريعة اليهودية. وتقف موقفاً معادياً من الصهيونية العلمانية.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن على العضو الذى ينتمى إلى هذه الجماعات أو هـذه الطائفـة الحريدية أن يمتثل للأسس (الثمانية عشر) التى تعتبر دستوراً للطائفة والتى تحدد أيضاً واجباته تجاه الطائفة، وأهم هذه الأسس: الانصياع لأوامـر حاخاميـة ومحكمـة الطائفـة، ومعارضـة الصهيونية وجميع نشاطاتها، ومقاطعة مدارس ومعاهد تعليم اللغات الأجنبية، ومقاطعـة حـزب "أجودات يسرائيل" لتعاونه مع الصهيونية، وعدم الاشتراك فى انتخابات الكنيست أو الانتخابـات المحلية، وعدم تناول أى طعام أو شراب غير مصرح به من قبل محكمـة الطائفـة، والإيمـان القاطع بأن إقامة الدولة الصهيونية قبل قدوم " المسيح المنتظر " إنما هو عقاب خطير مـن الله، وأن الكنيست تدنيس لأوامر الله، وإهانة للتوراه، لأن قوانينه تتناقض مـع شـريعة موسـى، والمحافظة على اللباس العفيف، وإرسال الأبناء للتعلم فى مدارس مجازة من قبل الطائفة والتى غالباً ما تستخدم اللغة البيديشة فى التعليم، ولا تنتمى إلى أى تيار تعليمى آخر يتلقى مساعدات حكومية (١).

---

(*) الحريديم: يطلق على اليهود المتدينين المغالين فى التشدد، والذين يعادون الصهيونية، ويكفرون الدولة ويعيشـون فى عزلة جيتوية .و "الحريديم "ليسوا كالمتدينين العاديين الذين يرتدون "الطاقية اليهـودية "، فهم خلافاً لهؤلاء جميعـاً يرتدون ملابس ذات لون أسود اياً كانت درجة حرارة الجو، ويرتدون غطاء أسود للرأس أسـفل قبعـة سـوداء، ويرسلون ذقونهم. ويعيشون فى جو القرون الوسطى، ويتحدثون "اليديش ". وهم واثقون أن طريقهم هو الطريـق الصائب الوحيد، ويستخدمون وسائل "الإكراه الدينى "والتدخل فى حياة ين ، وكل الوسائل بالنسبة لهم مشروعة بما فى ذلك استخدام سلاح الاعتداء والمتفجرات ضد اليهود ين الضالين، ويشنون حرباً على الثقافة العلمانية للمجتمع الإسرائيلى.

(أنظر: د. رشاد عبدالله الشامى: القوى الدينية فى إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، سلسلـة عالم المعرفـة، إصدار المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يونيو ١٩٩٤، العدد ١٨٦، ص٣٠١، ٣٠٢).

(١) د. رشاد عبدالله الشامى: القوى الدينية فى إسـرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، مرجع سابق، (ص٣٠٣)

أما الثانية الجماعات اليهودية الدينية المتطرفة فهى من أصحاب المواقف الصهيونية السياسية القومية المتطرفة التى تسعى لاستيطان الأراضى المحتلة باعتبارها ضمن حدود الوعد الإلهى أو ضمن الميراث الدينى والتاريخى لليهود.

لقد اختاروا على عكس المتدينين الحريديم طريق التكيف مع الوضع القائم ولخصوا موقفهم قائلين: << نحن لم نتوقع قيام دولة يهودية ذات طابع علمانى، لكنها على أية حال، وفى وضعها القائم تمثل من وجهة نظرنا هدية معجزة من الله، على الرغم من بعض النواقص التى تتصف بها، وينبغى أن نفهم جيداً أن وظيفتنا التاريخية تتمثل الآن فى المشاركة فى بناء الدولة، ودفعها نحو مستويات روحية أعلى >> (١).

أما الجماعات اليهودية اليمينية المتطرفة فهى من أصحاب الموقف القومى المتطرف الذى لا يرى للنزاع العربى الإسرائيلى أية نهاية، ويتخذ إجراءات شديدة اللهجة ضد الجانب الفلسطينى، ويؤمن بخلود النزاع العربى الإسرائيلى، ويتسم بالكراهية المفرطة تجاه العرب ويتبنى الكثير من الإجراءات التعسفية المتعنتة تجاه الفلسطينيين.

## (ا)" اليهودى الإسرائيلى المتدين ":

هدد " عوز " المجتمع الإسرائيلى والدولة خلال تناوله لنموذج اليهودى الدينى فى كتاباته السياسية، من خطر هذه الجماعات الدينية، ورأى أنها تجر الدولة إلى حافة الهاوية. وكان لاهتمامه بالمجتمع الإسرائيلى وتساؤلاته حول مستقبل الصراع الدائر بين اليهود الدينيين والعلمانيين، ومغزى هذا الصراع وهدفه، أثره البالغ فى تناوله القوى الدينية فى إسرائيل، وإلقاء الضوء عليها وكشف حقيقة هويتها وأهدافها الحقيقية، التى يرى عوز أنها قد تقوض أركان الدولة بأثرها، ودعا إلى كبحها قبل أن تكبح هى الدولة.

وما يبدو الآن على سطح المجتمع الإسرائيلى، أن هذه القوى تتزايد بشدة وتتداخل فى الشئون الحياتية للمجتمع وتفرض مبادئها بالقوة إلى حد يصل إلى العنف والمواجهة، وهو أمر ينذر بوجود خطر قريب يهدد الدولة ويفرض تساؤلات عديدة حول هوية الدولة فى السنوات القادمة. ومع هذا التزايد لهذه القوى الدينية نشأ انقسام داخلى وصراع بين كل من التيار الدينى والتيار العلمانى، وهو أمر مثيراً للدهشة، حيث أن إسرائيل قد مر على إقامتها خمسون عاماً، ومن المفترض أنها تمثل أحد الأسس الرئيسية للمجتمعات الحديثة، وهى الديمقراطية. إلا أننا

(١)د. رشاد عبدالله الشامى: القوى الدينية فى إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة ، نفس المرجع، (ص٩٣).

نجد أن هذه القوى الدينية ما زالت تمارس نفوذها من خلال جماعات الضغط الدينية على الشئون الحياتية وعلى القرار السياسى فى إسرائيل، ولم يقتصر نفوذها وتداخلها على الشئون التى تمس الديانة اليهودية فقط، بل تدخلت فى شئون المجتمع ى مثلما حدث مع " عوز نفسه حين طالبت القوى الدينية المتمثلة فى حزب " المفدال (*) " الدينى بسحب جائزة إسرائيل فى الآداب التى حصل عليها فى مارس (١٩٩٨)، " كما حدث من قبل مع الصحفى الإسرائيلى " شموئيل شنستر " من صحيفة " معاريف " فى عام (١٩٩٧)، وذلك لأنه عارض فى مقال له هجرة يهود الفلاشا، لأنهم يحملون أمراضاً معدية ولأنهم غيّروا ديانتهم " (١). وهو أمر يقودنا إلى طرح سؤال فى غاية الأهمية حول هوية ومستقبل إسرائيل فى " الخمسينية " الثانية؟ مع تزايد وتنامى جماعات الضغط الدينى فى إسرائيل وفرض نفوذها بالقوة، وهو سؤال يجئ بعدما تفاقم الصراع بين اليهود الدينيين والعلمانيين، وتزايدت فجوة الانقسامات الداخلية داخل المجتمع الإسرائيلى.

وعلى هذا الأساس يمكن دراسة شخصية (اليهودى الإسرائيلى المتدين) فى كتابات عوز السياسية من خلال الأبعاد التالية:

## (أ) أهداف ومبادئ (اليهودى الإسرائيلى المتدين):

يفند عوز فى كتاباته الأهداف الحقيقية لهؤلاء اليهود الدينيين قائلاً:

<< إن الأهداف الحقيقية لهذه الجماعة هى، فرض سلطة عنيفة وقبيحة ومشوهة لليهودية على دولة إسرائيل... إن الهدف الحقيقى لهذه الجماعة هو طرد العرب من أجل قمع اليهود بعد ذلك، وإخضاعنا جميعاً لإدعاءات أنبيائهم الكاذبين المتوحشين >>(٢)

ويشير عوز فى نفس المقال (١٩٩٨) إلى أعمال العنف والوحشية التى يقوم بها هؤلاء اليهود، والهدف الحقيقى من وراءها ودور إسرائيل فى هذه المذابح قائلاً:

---

(*) المفدال: تأسس فى عام (١٩٥٦)، وهو حزب تجميعى يستهوى مجموعات شديدة التباين بين جمهرة الناخبين، وقد كان هذا الحزب منذ تكوينه عضواً فى كل ائتلاف حكومى سواء مع العمل (عدا فترة ٥٨، ٥٩ حيث انسحب فيها بسبب إثارة قضية: من هو اليهودى ؟) أو مع الليكود، وينادى بتطبيق تعاليم التوراة بكل دقة إلى جانب تنظيم الشئون العمالية وفقاً لهذه التعاليم.

(١) פרס לעמוס עוז، עיתון הארץ، 11/3/1998.

(٢) עמוס עוז: בשם החיים והשלום، עיון ידיעות אחרונות، 10/3/1998، עמ' 4.

<< علينا أن نتذكر: أن هذه الرصاصات والبنادق والرشاشات، تلقتها هذه الجماعة من دولة إسرائيل، ومن أيدينا. لأن دولة إسرائيل لم تدرك أن هدفهم النهائى ليس هو تصفية العرب، بل هو تصفية دولة إسرائيل، وإقامة مملكة يهودا الدينية المتطرفة بدلاً منها. >>(١)

وهكذا، ينوه عوز إلى خطر هذه الجماعات الدينية، وهدفها الحقيقى فى تحويل إسرائيل من دولة علمانية إلى مملكة دينية يهودية متطرفة، ويؤكد على هذا الهدف فى كثير من مقالاته السياسية، ويرى أن هؤلاء الدينيين يريدون تحويل الدولة إلى " جيتو " وينظرون إلى العلمانية فى صورتها الديمقراطية على أنها نبت غريب، كما أشار فى مقال نشر له فى نوفمبر (١٩٩٦):

<< إن كان هؤلاء أو هؤلاء فهم يريدون سحق الدولة، ويرغبون فى تحويلها إلى مملكة، ويتطلعون إلى تشكيلها كالجيتو. إنهم يدعون ضدى، وضدنا جميعاً، بأن الديمقراطية هى نبت غريب >>(٢).

ويرد عوز فى نفس المقال على هذه الأفكار، بأن الدولة خلقت علمانية ومنذ الإرهاصات الأولى للحركة الصهيونية:

<< ليس مصادفة، أن يكون عنوان كتاب هرتسل هو " دولة اليهود " وليس " الدولة اليهودية " . فالدولة لا تستطيع أن تكون يهودية " مثلما أن الكرسى لا يمكن أن يصبح يهودياً " إن الأحزاب الدينية تحاول منذ خمسين عاماً، أن تعضد ما يطلقون عليه الطابع اليهودى للدولة، ولكن ذلك مسمى عبثى >>(٣)

ويؤكد عوز أيضاً على أن القوة لن تصنع شيئاً وأن إسرائيل دولة علمانية قائلاً:

<< إن أى محاولة لزيادة " الطابع اليهودى " بالمعالجة السياسية والقوانين التعسفية، وأية محاولة لتقريب مجىء المسيح عن طريق جيش الدفاع الإسرائيلي، من شأنه أن يعمق فقط التصدع، فمن المستحيل تهويد إسرائيل بالقوة >>(٤)

---

(١) עמוס עוז: בשם החיים והשלום, שם, עמ' 4.

(٢) עמוס עוז: מוכרחים להתעורר סוף סוף מהיפנוזה של המפה, עיתון מעריב, 18/11/1996, עמ' 6.

(٣) שם.

(٤) עמוס עוז: מוכרחים להתעורר סוף סוף מהיפנוזה של המפה, שם, עמ' 7.

ويواصل عوز تأكيده ، منذ الستينيات، على خطر جنوح إسرائيل نحو التيـار الـدينى، وهدف هذه الجماعات لتحويلها إلى دولة دينية، ويحذر من ذلك ومن تدهور هذا الوضع فى ظل الظروف الراهنة، وذلك فى مقال له نشر فى أكتوبر (١٩٦٧):

<< إن إسرائيل الجديدة ليست نموذجاً من سوق مملكة داود وسليمان ولا دولة الهيكـل الثانى. إن هذه الدولة غارقة فى وضع معوج ومرتبط بكل مـا هـو " مقابـل" أو " معـارض " فالتوراه والأنبياء والمشنا والجمارا و البيوط والهالاخاوت والصلوات، كل هـذا حاضـر هنـا ويحملق فينا من كل صوب دون أن نكون وسطهم ودون أن نكون بعيداً عنهم.. >>(١)

ويرى عوز فى نفس ذلك المقال أن إسـرائيل كدولـة علمانيـة، تسـتطيع أن تواكـب المجتمعات الحديثة وأن إسرائيل كدولة علمانية هى التى صنعت إسرائيل كدولة وكمؤسسات:

<<.. ولكن لا ننسى ولا يجب أن نسمح بأن ننسى أنه: لا يقيم إله ولا مسيح ولا معجزة ولا ملاك استقلال اليهود فى أرضهم. بل فعلت هـذا الحركـة العلمانيـة السياسـية، صـاحبة الأيديولوجية الحديثة والتكتيك المعاصر.. >> (٢)

وهكذا، يرى عوز أن إسرائيل كدولة علمانية تستطيع أن تتقدم وتنفـتح علـى العـالم، وتستطيع أن تكون من الدول المتقدمة فى إشارة إلى أن إسرائيل كدولة يهودية دينية ستعيد أيام " الجيتو " والانغلاق وتسلط الدين اليهودى على كل المجالات الحياتية إلى الشعب اليهودى مرة أخرى ليعيش فى غياهب الظلمة والرجعية من الانعزالية الجيتوية.

## (ب) الأعمال العدوانية التي يقوم بها (اليهودي الإسرائيلي المتدين):

يشير عوز فى مقالاته السياسية إلى الأعمال التى تقوم بها هذه القوى الدينية، من قتـل ومذابح وقمع، حتى فى يوم السبت الذى من المفترض أنه يوم مقدس بالنسبة لهم، حيث يشير إلى ذلك فى مقال له نشر بأبريل (١٩٩٨) قائلاً:

<< ماذا تبقى لنا ؟ تعصب صاخب وغاضب من أجل تقديس السبت، حتى ولو كان بإضرام النيران ورشق الحجارة فى يوم السبت لمدنسى السبت. أو طرد صاخب ومذل لمتهودين لم

---

(١) עמוס עוז: באור התכלת העזה, מאמרים ורשימות, הוצאת כתר, ירושליים, הדפסב שביעית, 1990, עמ' 78.

(٢) שם, עמ' 76.

يراعوا دقة الشرائع فى التهويد >>[١]

ويقول عوز أيضاً فى إشارة إلى الأعمال الحقيرة التى يقوم بها هؤلاء الدينيون فى مقال كتبه عام (١٩٨٩):

<< إن كل من يقوم بتعذيب الأطفال والنساء والرجال تعذيباً سادياً أو من يقوم بعمل مذبحة فى قرية، أو يحرق باب أحد الصحفيين، أو يضرب جندياً فى جيش الدفاع الإسرائيلى، أو يقتل معارضاً سياسياً، فإنه " لا يأخذ القانون بالأيدى " بل هو حقير ومجرم، يجب أن تناله يد القانون. " >>[٢]

ويواصل عوز تهكمه على هذه الأعمال فى نفس المقال قائلاً:

<< إن سلطة الاحتلال الإسرائيلى فى المناطق تنهار وتتعفن، ليس بسبب أن الأطفال يرشقون الحجارة والزجاجات الحارقة، فالقدس المتشددة أيضاً هناك من يلقى فيها الحجارة فى أيام السبت، كما أن العالم السفلى فى تل أبيب قد أصبح خبيراً فى الزجاجات الحارقة >>[٣]

ويواصل عوز هجومه الشديد على هؤلاء الدينيين فى مقال له عام (١٩٩٨):

<< إن الحريديم يلوموننا على أن النشيد الوطنى والعلم وصفارة يوم ذكرى أحداث النازية وأكاليل الزهور، هى من عادات الأغيار. هم على حق تماماً فى الوقت الذى يظهرون فيه أمامنا متنكرين فى صورة من الإقطاعيين البولنديين (*) التى ترجع إلى القرن الـ ١٧. هم على حق فى الوقت الذى يرقصون فيه رقصات الكفر، هم على حق فى الوقت الذى يغنون فيه أنغام

(١) עמוס עוז: בלי גאווה בלי תקווה, עיתון תל אביב, 29/4/1998, עמ' 64.

(٢) עמוס עוז: בשם החיים והשלום, שם, עמ' 5.

(٣) שם.

(*) كناية عن إقطاعى بولندى كان يهود بولندا يقدمون له الضرائب لإرضائه.

الأكارينا (*). هم على حق فى الوقت الذى يتناقشون فيه معنا طبقاً لقواعد الفكر الخاصة بأرسطو عن طريق رمبام (*) >>(١)

## (جـ) موقف (اليهودى الإسرائيلى المتدين) من (الفلسطينيين):

تتعامل هذه الشخصية مع " الفلسطينى " ، وكأنه عدو لابد من قمعه، وترفض الحل الوسط وإقامة الدولة الفلسطينية، ولا تغير من نظرتها إلى العربى بدعوى أنه ليس شريكاً فى السلام، فيقول عوز موجهاً حديثه إلى اليهود الدينيين، فى مقال كتبه عام (١٩٨٩):

<< .. ومن المستحيل أن نستمر فى استخدام الحجة القديمة التى تقول: إنه لا يوجد من نتحدث معه، وإنه لا يوجد شريك للسلام، وأنه بدون المناطق سيقوم أعداؤنا بقذفنا فى البحر. إن هذه الحجة قد ماتت >> (٢)

ويسخر عوز من هؤلاء الدينيين لصلفهم ضد العرب الفلسطينيين إلى حد تهكمه على الوصايا العشر والتوراه، فى مقال له كتبه عام (١٩٩٨):

<< إننى لا أعرف: ربما كان مكتوباً فى الوصايا العشر: لا تتنازل، لا تصفح، لا تعطى، لا حكم الذاتى، لا دولة فلسطينية، لا حل وسط، العربى سيبقى عربياً.. >>(٣)

ويشير عوز كذلك في مقاله هذا إلى مسألة القمع والترحيل التى تتبناها هذه الجماعات الدينية، ساخراً من هذا الموقف المتعنت تجاه (الفلسطينى):

<< .. ربما إذا أتى أحد إلى " هليل الشيخ (*) " وطلب منه أن يقول له الشريعة كلها باختصار شديد، فقد يجيب عليه ببشاشة وبكل لطف قائلا: (إقمعهم قمعا، ورحلهم ترحيلا) >>(٤)

---

(*) الاكارينا: آله طرب نفخية من خزف أو معدن بيضوية الشكل ذات أنبوبة وثمانية ثقوب Ocarina.

(*) رمبام: هو "ربى موشيه بن ميمون "ولد فى قرطبة فى مارس عام (١١٣٥). كان من أشهر علماء اليهود فى القرون الوسطى، استخدم اللغة العربية فى أكثر مؤلفاته الفلسفية، وإن كان قد كتب معظمها بحروف عبرية، شأنه فى ذلك شأن معظم علماء اليهود فى القرون الوسطى.

(١) עמוס עוז: בלי גאווה בלי תקווה, עיתון תל אביב, 29/4/1998, עמ' 64.

(٢) עמוס עוז: בשם החיים והשלום, שם, עמ' 5.

(٣) עמוס עוז: בלי גאווה בלי תקווה, שם, עמ' 64.

(*) هليل الشيخ: من الأباء المفسرين للمشنا، وهو من أكبر المفسرين (٧٠ — ١٠ ق.م) وكان معاصراً لميلاد المسيح، كما كان أول من أطلق عليه لقب "ربى ".

(أنظر: د. ألفت محمد جلال: الأدب العبرى القديم والوسيط، مطبعة عين شمس، ط١، ١٩٧٨).

(٤) עמוס עוז: בלי גאווה בלי תקווה, שם, עמ' 64.

ويرى عوز فى موقف هذه الشخصية الدينية ومحاولاتها لتوجيه ضربة قوية ضد الفلسطينيين كالترحيل الجماعى، أنه أمر يصعب تحقيقه كما ذكر فى مقاله عام (١٩٨٩):

<< إذا كان هناك بينكم من تعلل بالأمل فى تنفيذ ضربة واحدة - مثل الترحيل الجماعى أو ارتكاب جرائم حرب جماعية أخرى - فليكن واضحاً لكم أن هذه الضربة لن تقوم. ولن تحدث>>(١)

وتقف هذه الشخصية الإسرائيلية الممثلة لليهودى الدينى موقف الرافض للسلام مع (الفلسطينى)، وترى أن أرض إسرائيل لابد وأن تكون كاملة وأنها غير قابلة للتفاوض:

<<.. أنتم إسرائيليون ترغبون فى أرض إسرائيل الكاملة، ولا تؤمنون بالسلام مع العرب.. >> (٢)

وتنظر هذه الشخصية إلى (الفلسطينى) نظرة فوقية، عبر عوز عن استيائه منها فى مقال له كتبه عام (١٩٩٨) قائلاً:

<<.. فى الحقيقة عندما يقول الحاخام الأول السابق، راب الياهو، " إننا رفعنا العرب من الزبالة، وهم ناكرون للجميل " ، فإن هذا الأمر يثيرنى، ولدى حساب مرير مع رجال مثله.. >>(٣)

وهكذا، تقف الشخصية الإسرائيلية الممثلة لليهودى الدينى موقف الرافض للسلام، وعدم الاعتراف إلا بأرض إسرائيل الكاملة، وتتبنى مواقف متزمتة ضد (الفلسطينى) مثل القمع، ومحاولة الترحيل الجماعى، ولا تؤمن بالسلام معه أو حتى بالحل الوسط، على اعتبار أن (الفلسطينى) يعيش فى كنف دولة إسرائيل ويتمتع بما فيها، ولا يحق له أن يطلب أكثر من ذلك وإلا اعتبر ناكراً للجميل.

## (د) موقف المجتمع الإسرائيلى من (اليهودى الإسرائيلى المتدين):

أدرك عوز حقيقة هذه القوى الدينية المتشددة والمتطرفة، لذلك كانت خطبه وأحاديثه ومقالاته السياسية المختلفة تتضمن تحذيرات شديدة اللهجة إلى كل من المؤسسات فى الدولة، وإلى الحكومة والمجتمع، محذراً من استقطاب هذه الجماعات الدينية لجزء كبير من الشعب فى

---

(١) עמוס עוז: בשם החיים והשלום, שם, עמ' 5.

(٢) שם.

(٣) אורנה קדוש עם עמוס עוז, עיתון מעריב, סוף השבוע, 29/4/1998, עמ' 30.

ظل التزايد والتنامى الملحوظ لهم، ومحذراً من تأثيرهم على القرار السياسى وعلـــى المجتمـــع، على اعتبار أنـهم خطر قائم على دولة إسرائيل:

<<.. إنهم بالتأكيد يمثلون خطراً على كل ما هو غـــــال ومقدس لدينا. فـــ " جـوش امونيم (*) " والمستوطنون هم بصفة عامة، فى رأيى، خطر قائم على دولة إسرائيل. >>(١)

ويواصل عوز حديثه، فى مقال له نشر فى مارس عـام (١٩٩٨)، محـذراً مـن هـذه الجماعات الدينية التى تحاول فرض معتقداتها بالقوة لترهب المجتمع وتمهد لقمعه:

<< جماعة صغيرة، جماعة دينية، منحطة ومتوحشة، انقضت علينا منذ بضع سنوات من إحدى الزوايا المظلمة لليهودية، تهدد بتخريب كل ما هو غال ومقدس لـــدينا، لتفـــرض علينـــا طقوس دموية وحشية ومجنونة.. >>(٢)

ويقول عوز فى خطاب له أمام حركة " السلام الآن " فى عام (١٩٨٩) محذراً الدولـــة منهم:

<<.. إذا لم تنهض دولة إسرائيل لتصدهم الآن، فإن اليوم الذى سـيقفون فيـــه حيالنـــا قريب>>(٣)

ويواصل عوز تحذيره محدداً موقفه فى نفس هذا الخطاب قائلاً:

<<.. إذا لم ننتفض الآن، فإن الجنون سيكون معيار الغد، ذلك المعيار الذى سيكون مصير من يعارضه السجن. لقد حانت اللحظة لننهض ونعلن من هنا عن النذر القاطع وهو: إنـهم لــن ينجحوا. >>(٤)

ويوجه عوز كلمته إلى جميع فئات المجتمع من صقور وحمائم دون اســتثناء، محـــذراً إياهم من جنوح اليهودية على أيدى هؤلاء إلى الظلمة والحيوانية:

---

(*) גוש אימונים (كتلة الإيمان): هى حركة استيطانية من شباب المتدينين، تكونت بعد حرب أكتوبر (١٩٧٣) بقيادة الحاخام "دوركمان "، ويعتبر أعضاؤها أن دولة إسرائيل هى بداية الخلاص، ويعد العلم السياسى الدينى لجوش امونيم هو أحد المراجع الرئيسية للمجتمع الإسرائيلى المتدين.

(أنظر: د. رشاد عبدالله الشامى: القوى الدينية فى إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، مرجع سابق، ص١٠٤، ١٣٧).

(١) אורנה קדוש עם עמוס עוז, שם, עמ' 30.

(٢) עמוס עוז: בשם החיים והשלום, שם, עמ' 4.

(٣) שם, עמ' 4.

(٤) עמוס עוז: בשם החיים והשלום, שם, עמ' 4.

<< إذا لم تهبوا جميعاً - أيها الصقور والحمائم، الـدينيون والعلمـانيون، الحاخامـات، والمستشارون القضائيـون - لتسموا السادية بأنها سـادية والمذبحـة بأنهـا مذبحـة، فـإن اليهوديـــة نفسهـــا سوف تنساق إلى سراديب الحيوانية والقذارة. >>(١).

ويرى عوز أن الديانة اليهودية فى خطر مهيب على أيدى هؤلاء المتعصبين الـدينيين، وأنهم يستخدمون الديانة كساتر يخفى نواياهم البغيضة والحقيرة، حتى أننا نجده يطالب بفصـل الدين عن هؤلاء الدينيين وليس عن الدولة، كما ذكر فى مقال له عام (١٩٩٨):

<< إننى أفكر فى أننا لسنا فى حاجة إلى فصل الدين عن الدولة، بل إلى فصل الدين عن الدينيين >>(٢).

وربما كان عوز صادقاً إلى حد كبير عندما حذر " رابين (*) " و " شامير (*) " ، آنـذاك، من أن رصاص القتلة سوف ينال منهم، وهو ما تحقق بالفعل مع رابين، وذلك فى خطاب له أمام حركة " السلام الآن " فى عام (١٩٨٩):

<< هناك من يحشو فى خزنة بندقيته الرصاصة المخصصة لكم يا سيد شامير، ويا سـيد رابين.. وقد تلقى منكم تصديقاً مسبقاً بأن قتلكم سيكون فى مجمله تعبيراً عن " فرض القـانون بالقوة " . >>(٣)

ولم يكتف عوز بذلك بل أكد لهم، فى نفس هذا الخطاب، على أن رصاص هؤلاء القتلـة سوف ينال منهم ولن يكونوا فى منأى عنه إذا لم يهموا بعمل شئ لكبح جماحهم:

<< إن لم تهبوا انتم يا سيد شامير، ويا سيد رابين، وأنتم أيضاً أيها الحاخاميون الكبـار وغير الكبار، لتدعون القتل قتلاً، فلن تكونوا أنتم أيضا محصنين ضد رصاص القتلة >>(٤)

---

(١)עמוס עוז: בשם החיים והשלום שם, עמ' 5.

(٢)עמוס עוז: בלי גאווה בלי תקווה, שם, עמ' 63.

(*) **اسحاق رابين**:رئيس الوزراء الإسرائيلى الأسبق، وهو من اليسار الإسرائيلى، وينتمى إلى حزب العمل، وقد تم اغتياله فى عام (١٩٩٥) على يد "يجال عامير "أحد المتطرفين الإسرائيليين بسبب اتفاقيات السـلام الـتى أجراهـا مـع الفلسطينيين.

(*) **أسحاق شامير**: رئيس الوزراء الإسرائيلى الأسبق، الذى تولى الوزارة عام (١٩٨٣) بعد استقالة "مناحم بيجين".

(٣) עמוס עוז: בשם החיים והשלום, שם, עמ' 5.

(٤) שם.

ويدرك عوز أن الصراع بين اليهود الدينيين والعلمانيين حول أمور عديدة، ومن بينهـا حدود الدولة، من شأنه أن يزيد من التصدع الداخلى فى المجتمع الإسرائيلى، لذلك فهو يؤكد لكلا الطرفين على أن الخريطة الداخلية أهم بكثير، وذلك فى إحدى مقالاته لعام (١٩٩٦):

<< لقد حررت حرب الأيام الستة المارد من الزجاجة، ومنـذ ذلـك الحـين والـدينيون والعلمانيون يتساءلون إلى أين ستصل حدود الدولة، ولكننى أنا الصغير أقول لكم:. إن الخريطة الداخلية هى الأهم بالفعل >>(١)

كما أنه أكد على ذلك أيضاً فى مقال آخر له كتبه عام (١٩٩٨) قائلاً:

<< يجب أن نخرج من استحواذ الخريطة علينا، كما يجب أن نكسر استهواءها>>(٢)

ومن المعروف أن حدود الدولة كانت مثار اهتمام الدينيين منذ حـرب يونيـو (١٩٦٧)، حيث كانت سبباً رئيسياً فى زيادة عدد اليهود الدينيين داخل إسرائيل، حيث أرجعوا هذا الانتصار الكبير واحتلال إسرائيل لأجزاء كبيرة من أراضى الدول العربية إلى معجزة إلهيه حققهـا لهـم الرب مكافأة لهم، واستغل الدينيون هذا الموقف واستقطبوا عـدداً كبيـراً لـديهم مـن اليهـود العلمانيين، بالإضافة إلى ما حققوه من مقاعد فى الكنيست.

ويقف عوز أيضاً موقفاً شديداً من هذه القوى الدينية بجماعاتها المختلفة، ويـرى أنهـا تزيد من خطر الانقسام الداخلى والذى من شأنه أن يقضى على الدولة ويمزق الشعب، ويحـذر من ذلك فى مقالات عديدة، حتى أنه يطلق صرخة مدوية يعبر فيها عن مخاوفه وتوجسه تجـاه هذا التمزق والتصدع الذى هو فى طريقه إلى الشعب الإسرائيلى، قائلاً فى خطابه أمام حركـة " السلام الآن " عام (١٩٨٩):

<< إننا نطلق تحذيراتنا هذه بلغة لا تحتمل إلا معنى واحداً: نحن لا نريد تمزق الشـعب، ولكننا لن نسلم بأى حال وتحت أى ظرف كان بتحويل ذلك الوطن إلى وحش، ولن نسـمح لكـم باستخدامنا للقيام بدور أسنان ومخالب هذا الوحش .>> (٣)

---

(١) עמוס עוז: מוכרחים להתעורר סוף סוף מהיפנוזה של המפה, שם, עמ' 7.

(٢) עמוס עוז: בלי גאווה בלי תקווה, שם, עמ' 64.

(٣) עמוס עוז: בשם החיים והשלום, שם, עמ' 5.

ترى هل تصدق مخاوف عوز من أن إسرائيل تجنح نحو منحنى التمزق الداخلى، مثلما صدق حين تنبأ باغتيال رابين، وقد حدث ذلك ؟ وهل ستصبح إسرائيل داخليا " غابة " كما يقول؟

إن كل الحقائق والمؤشرات التى تطفو الآن على سطح المجتمع الإسرائيلى داخلياً، تقول إن القلق يعتمل فى نفوس الإسرائيليين حول المستقبل بسبب الصراعات القائمة بين فئات الشعب، وخاصة مع اليهود المتشددين المتعصبين، وذلك فى ظل تزايد وتنامى هذه القوى الدينية المتعصبة، ومحاولة فرض سيطرتها بالقوة لا بالاختيار، ومواجهاتها الدامية مع اليهود العلمانيين من ناحية، ومع العرب الفلسطينيين من ناحية أخرى.

وعلى المستوى السياسى، فإذا كان هناك مشكلة سياسية قابلة لأن تهدد دولة إسرائيل، فهى تتعلق بما يمكن أن نسميه التشرذم أو التفتت الحزبى الذى تعود مقدماته الأولية إلى انتهاء نظام الحزب المهيمن فى عام (١٩٩٧)، دون أن تتوافر إمكانيات لاستقرار نظام حزبين (العمل والليكود). فقد أخذ هذان الحزبان فى التراجع دون أن يفقدا مكانتهما المميزة كلياً، فيما ازدادت أهمية أحزاب صغيرة صارت متوسطة الحجم، قوية النفوذ مثل حزبى "شاس [*] " و" المفدال " الدينيين [١].

لقد كان اليهود المتدينون ينظرون إلى الصهيونية ودولة إسرائيل بوصفهما من تعاليم الكفار التى نشرها المرتدون، واغتصاباً وقحاً لوعد الرب بخلاص الأرض على يد المسيح المخلص. لكن الاتجاهات الصهيونية العلمانية فى الدولة حاولت، ولو على حساب القيم العلمانية، تهدئة روعهم وحماية حقوقهم الدينية ومنحهم مزايا. وهو الأمر الذى جعل اليهود المتدينون ينتهزون الفرصة التى أتاحتها الديمقراطية الإسرائيلية، وشكلوا الأحزاب السياسية لزيادة هذه الامتيازات، ولكنهم مع هذا ظلوا بمنأى عن مفاهيم الصهيونية، وعملوا على تقويض الدولة، وتحويلها إلى دولة شريعة، وكثفوا حملاتهم لتطبيق تفسيراتهم الخاصة، بصدد مسألة

---

(*) شاس (اتحاد حراس التوراة السفارديم): شكل هذا الحزب فى عام (١٩٨٣)، وظهر فى انتخابات عام (١٩٨٤) لأول مرة كقائمة طائفية تمثل اليهود الشرقيين فى الأحزاب الدينية. والزعيم الروحى لهذا الحزب هو الحاخام "عوفاديا يوسف "رئيس مجلس كبار علماء التوراة السفاردي. ويؤكد هذا الحزب على الاحتياجات الروحية لشعب إسرائيل، ويدعو إلى "إعادة زهوه إلى سابق عهده "، أى العودة إلى الأصول التوراتية.

(١) د. وحيد عبد المجيد: مرجع سابق، (ص١٨).

"من هو اليهودى ؟ " لتأكيد سلطتهم فى تحديد مواصفات المواطن الإسرائيلى وهويته على أساس دينى بحت[١].

وهكذا، لم تأت مخاوف عوز وتحذيراته شديدة اللهجة من فراغ، بل لأنه كأديب وككاتب وكإنسان إسرائيلى فهو يعيش قلق الانقسام الداخلى وحدوده،والذى سيتحدد بناء على من ستكون له الكلمة العليا التيار الدينى أم العلمانى ؟

ولعل ذلك الانقسام الداخلى ينبع من الحقيقة التى لا يمكن تجاهلها بالنسبة للصراع بين الدينيين والعلمانيين فى إسرائيل، وهى أن هناك هوة واسعة بين هذين المعسكرين تزداد اتساعاً عاماً بعد عام. وإذا كان الحديث قد جرى بعد اغتيال رابين (نوفمبر ١٩٩٥)، وبعد انتخابات (١٩٩٦) عن " الصراع الثقافى " ، وعن تغيير شكل الدولة، وعن الصراع بين " تل أبيب والقدس " ، فإن الشعب المقيم فى إسرائيل الآن ليس مجرد كتلتين سياسيتين أو رؤيتين ثقافيتين، بل هما بالفعل شعبان لكل منهما هويته ومعتقداته ومفاهيمه الخاصة (٢). وهو الأمر الذى حدا بعوز لأن يتنبأ بالوضع الذى ستكون عليه إسرائيل فى الأعوام القادمة قائلاً فى مقال له عام (١٩٨٩):

<< ستكون هنا غابة >>(٣)

## (٣) (اليهودى الإسرائيلى اليمينى المتطرف):

تتبنى بعض القوى اليمينية الصهيونية فى إسرائيل، وعلى رأسها " الليكود " ، اتجاها يقضى بضم الأراضى الفلسطينية المحتلة إلى إسرائيل ومنح الفلسطينيين حكماً ذاتياً محدوداً، فى المسائل المتعلقة بالتعليم والأحوال الشخصية والقضاء والصحة وغيرها من المجالات، مع الإبقاء على السيطرة الأمنية وتوسيع المستوطنات. وهو حل لا يصل بالقضية إلى نزع فتيل التوترات، ويخلق مشكلة لوضع هؤلاء العرب بالنسبة للدولة. وقد حاول البعض من اليمين الصهيونى حل هذه الإشكاليات بطرح البديل الأردنى، دون أن يوضح كيف سيتم تنفيذه [٤].

---

(١) د. رشاد عبدالله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص١٦).

(٢) نفس المرجع ، (ص١٦، ١٧).

(٣) עמוס עוז: בשם החיים והשלום، שם، עמ' 5.

(٤) د. رشاد عبدالله الشامى: القوى الدينية فى إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة،مرجع سابق، (ص١٨).

وقد أجرى عوز لقاءات عديدة مع بعض المواطنين الإسرائيليين من المستوطنين الصهاينة، الذين يؤمنون بتلك التوجهات اليمينية المتعصبة ضد العرب، ورصد خلالها اتجاهات عدم الثقة فى السلام مع الطرف ()، وأن الصراع العربى الفلسطينى سيظل قائماً دون نهاية، وذلك لاعتبارات أمنية، كما يرى هذا الجناح اليمينى المتطرف الذى يتسم موقفه بعدم اللين أو التسامح تجاه ما يسمى بالحل الوسط والسلام مع العرب الفلسطينيين. ويرى المستوطن الإسرائيلى اليمينى ضرورة توسيع الأراضى المحتلة وإقامة المستوطنات بها، على اعتبار أن هذه الأرض العربية هى أرضه التى منحها له الرب، ولا يمكن التنازل عنها، وهنا تنشأ كراهية المستوطن الصهيونى للطرف ( الفلسطينى) الذى يحاول أن يدافع عن أرضه، فتزداد فجوة الصراع بين الطرفين، خاصة وعندما يتسم الموقف من السلام والأرض مع (الفلسطينى) بالصلف والتعنت.

ويمكن دراسة شخصية (اليهودى الإسرائيلى اليمينى المتطرف) فى كتابات عوز السياسية ، من خلال الأبعاد التالية:

## (أ) موقف (اليهودى الإسرائيلى اليمينى المتطرف) من السلام:

أجرى عوز عدداً من اللقاءات مع المستوطنين اليهود رصد خلالها توجهاتهم نحو السلام، وموقفهم من الحل الوسط. وقد نشرت هذه اللقاءات فى مقالات له بانتظام فى صحيفة (دافار) فى شهرى نوفمبر وديسمبر (١٩٨٢)، وكذلك فى يناير (١٩٨٣). ومن خلال هذه المقالات، يمكن القول أن الجانب اليمينى من المجتمع الإسرائيلى يرى أن السلام مظهر للضعف والاستسلام، وهو ما ظهر خلال سؤال لعوز وجهه إلى سيدة تدعى " هاريت " حول رأيها فى السلام مع مصر، حيث أكدت فى إجابتها على أن الشعوب غير اليهودية كافة تكره اليهود وشعب إسرائيل:

<<.. هذا لم يكن سلاماً، بل كان خضوعاً وتبديداً للوقت، فقد باعوا كل شئ لمصر فى مقابل قطعة ورق. وعامة، أنا لا أؤمن بأن هناك سلاماً، فكراهية غير اليهود لشعب إسرائيل هو أمر أبدى. فلم يحدث ذات مرة سلام بيننا وبينهم.. >>(١)

وتؤمن هذه السيدة اليمينية أن الحرب هى السبيل الوحيد للتعامل مع (الفلسطينى)، فهى تقول فى إجابة لعوز حول رأيها فى حالة ما إذا اقترح العرب اتفاقية سلام أو حل وسط:

---

(١) עמוס עוז : פה ושם בארץ ישראל בסתיו 1982، הוצאת עם עובד، תל אביב،1988، עמ' 49.

<< يجب أن نقول لهم ببساطة شديدة: نأسف، لقد جئتم متأخرين، بل يجب أن نخوض معهم حرباً حتى لا يؤثروا فى الضعفاء منا. >> (١)

ويؤمن البعض من الإسرائيليين اليمينيين بالسلام مقابل السلام فقط، وأن العرب الفلسطينيين بإمكانهم أن يعيشوا فى سلام إذا توقفوا عن المطالبة بحقوقهم، حيث يقول " مناحم" لعوز متدخلاً فى الحديث حول السلام مع (الفلسطينى):

<< إننى أكثر تطرفاً من " هاريت " ، ولكننى بصفة خاصة أرى أن هناك احتمالات طيبة للعيش مع العرب فى مودة. متى ؟ بعد أن يدركوا أنهم يعيشون هنا لدينا كرماً منا وليس وفقاً لحق لهم>>(٢)

وتأتى الرغبة فى إمكانية العيش مع العرب فى حالة ما إذا صمتوا عن مطالبتهم بالأرض والسلام، فليعيشوا أقلية ، والأكثر من ذلك يلتحقوا بالجيش:

<< أن يعيشوا لدينا، إذا رغبوا فى ذلك لم لا ؟ وأن يعملوا ويربحوا،.. وأن يعيشوا لدينا مثل الدروز، وأن يلتحقوا بالجيش لم لا ؟.. >>(٣)

ومن المعروف أنه قد ترددت على مدى سنوات، أصوات تؤيد تجنيد الأقلية الفلسطينية فى إسرائيل فى جيش الدفاع الإسرائيلى، وذلك على أساس توسيع حقوق المواطنين الفلسطينيين ومساواتها باليهود، غير أن هذا الموضوع يحظى باتفاق تام بين المواطنين الفلسطينيين وبين المؤسسة الأمنية الإسرائيلية، يقضى بأنه يجب منع تجنيد الفلسطينيين فى جيش الدفاع الإسرائيلى نظراً لمراعاة مشاعر الجانبين (٤).

ويجئ رفض اليهودى الإسرائيلى اليمينى المتطرف للسلام، اعتقاداً فى أن القوة سterدع من يحاول أن ينالِ من الإسرائيليين، فيقول أحد المستوطنين اليمينيين فى إجابة لسؤال له حول السلام:

---

(١) עמוס עוז : פה ושם בארץ ישראל בסתיו 1982 שם، עמ' 52.

(٢) שם، עמ' 52..

(٣) שם

(٤) د. رشاد عبدالله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص١٧٨).

<< إننى لا أبحث لدى غير اليهود عن الاحترام، ولست فى حاجة إلى حبهم.. وكل من يرفع يده على أولادى، سوف أدمره وأدمر أولاده. >>(١)

ويريد هذا المستوطن اليمينى المتطرف والتى تحتوى أقواله على توجهات يمينية متعصبة ليس ضد العرب فحسب، بل ضد البشرية بأسرها من اليهود أن يكونوا فى مكان الصياد المفترس، ويريد من إسرائيل كدولة أن تردع كل من يحاول أن ينال منها:

<< الأشرار، ما أسوأهم فى العالم ؟ ومن يحاول فقط أن يصيبهم بأذى يقطعون له يديه ورجليه.. فكل ما يرغبونه هو الافتراس، ولديهم من القوة ما يكفى للاصطياد والافتراس. فهم يصطادون ويفترسون.. حينئذ، ومن الآن، فأنا أريد أن أرى إسرائيل أيضاً فى هذا النادى. >>(٢)

وإمعانا فى أن القوة ستضمن لهم السلام، وأن لغة القوة ستحقق الأمن للإسرائيليين يقول هذا المستوطن الصهيونى اليمينى، أن إسرائيل على استعداد لبدء الحرب العالمية الثالثة فى مقابل مقتل طفل واحد منهم:

<< لنقسوا ونحرق كل حقول البترول فى الشرق الأوسط... فنحن على استعداد فجأة، ستكون تلك هى النهاية، وقبل وجبة الإفطار أن نبدأ الحرب العالمية الثالثة. >>(٣)

ويرى المستوطن الإسرائيلى اليمينى المتطرف، أيضاً، أن القتل والنفى والطرد للعرب الفلسطينيين أفضل من السلام، وأن العنف وحده هو الضمان الوحيد لأمن الشعب الإسرائيلى ولسلامه:

<< لنقتل العرب طبقاً للضرورة وننفيهم، ونطردهم، ونحرقهم.. >>(٤)

ويؤكد على هذا مستوطن يمينى آخر قائلاً:

<< سوف أفعل كل شئ لطرد العرب بعيداً، وسوف أفعل كل شئ من أجل إثارة معاداة السامية. أما أنتم فعليكم بكتابة القصائد الشعرية، حول مرارة القدر لهؤلاء العرب. >>(٥)

---

(١) עמוס עוז : פה ושם בארץ ישראל בסתיו 1982، שם، עמ' 70.

(٢) שם، עמ' 72.

(٣) שם

(٤) שם، עמ' 77.

(٥) שם، עמ' 80.

وهكذا، تتضح التوجهات اليمينية المتطرفة ضد العرب الفلسطينيين لدى بعض المواطنين الإسرائيليين، الذين حسموا موقفهم تجاه السلام ورفعوا شعار الحرب والقتل والدمار لكل من يحاول أن يصيب دولة إسرائيل بأذى، فهم لا يؤمنون بالسلام، وذلك من منطلق القوة التى ستضمن لهم الأمن والأمان، ومن منطلق عدم الثقة فى السلام مع العرب، وهو ما اتضح من خلال الحوارات السابقة التى أجراها عوز معهم، ومن منطلق " معاداة السامية " أيضاً التى زرعتها الصهيونية فى النفسية اليهودية على مر الأزمان، حتى صارت عقيدة ومبدأ لا يمكن لهذه الفئة المتطرفة الحيد عنهما، وهو ما ظهر من رصد عوز لأفكارها ومعتقداتها ونظرتها للعرب الفلسطينيين على أنهم أعداء للأبد يريدون إبادة الشعب اليهودى. وهو ما يبدو، أيضاً، فى خطاب أرسله أحد الإسرائيليين المتعصبين إلى عوز يتحدث فيه عن السلام مع العرب ونيتهم الحقيقية فى إبادة اليهود، وأن من يؤمن فى السلام مع العرب فهو مريض:

<< هل يريد العرب دولة فى الضفة ؟ إنهم يريدون الانتصار علينا باكتساح. هذا هو ما يريدونه.. والله كلكم مرضى، والأكثر مرضاً منكم هؤلاء الأدباء والأساتذة (*) اليساريون ومراسلو التليفزيون و " السلام الآن " . >>(٢)

وهكذا، تنظر هذه الشخصية اليمينية المتطرفة إلى (الفلسطينى)، على أنه لا يطلب السلام، بل يرغب فى إبادة اليهود وتدميرهم. وربما يرجع هذا الاعتقاد إلى تلك العقد النفسية التى أصيبت بها النفسية اليهودية على مر التاريخ، حيث كانت تمثل عنصراً شاذاً بين المجتمعات التى كانت تعيش بينها فى بلاد الشتات، حتى صارت " معاداة السامية " جداراً عالياً من الشكوكية وعدم الثقة فى " يفصل بينها وبين غير اليهود، وخاصة العرب.

ويمكن القول أن تاريخ الشعب اليهودى ودولة إسرائيل يشكل دليلاً موضوعياً مسهباً للشكوك التحذيرية نحو الغرباء (٣). فهم يعتقدون أنه إذا كان العرب لم ينجحوا حتى الآن، فى

---

(*) الأساتذة: كان أنصار حركة السلام فى إسرائيل بعد حرب يونيو (١٩٦٧) من خلفيات متعددة، وكان البارزون من بينهم هم الملقبون بـ "الأساتذة "فى المصطلح الإسرائيلى الدارج، وهم جماعة متمركزة أساساً فى الجامعة العبرية، وإلى حد ما فى الجامعات ى، ولا يمثل هؤلاء أكثرية الأساتذة، ولكن اللقب يرتبط بالموقف من السلام، إذ ينظر إليهم على أنهم يحملون تراث جماعة (حلف السلام) التى تأسست عام (١٩٢٥) التى كانت تتألف فى معظمها من الأساتذة.

(أنظر: د. رشاد عبدالله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، ص ١٨٣).

(٢) עמוס עוז : פה ושם בארץ ישראל בסתיו 1982، שם، עמ' 37.

(٣) نفس المرجع، (ص ٢١٨).

تصفية دولة إســرائيل، فإن ذلك ليس بسبب عدم توافر قصدهم، ولكن لأنهم لم ينجحوا فى ذلك. غــير أن الأهم من ذلك أن هناك إجماعا بين أعضاء الصفوة السياسية الإسرائيلية المعاصــرة، عن أنه لو كانت الدولة العربية قد ألحقت هزيمة عسكرية لإسرائيل، فإن أغلب اليهود الشرقيين والغربيين فى إسرائيل كانوا سيصفون جسدياً.. ففى الوقت الذى يرون فيه أن اليهــود شــعب مسالم، يقدرون أن العرب بحكم مزاجهم العميق يحبون الصراع والحرب (١).

ويرى كذلك الإسرائيليون اليمينيون، ومن منطلق ما يسمى بنزعة العرب للحرب، أنه إذا تحقق السلام مع الطرف فى الصراع، فإن ذلك من شأنه أن يهيأ الفرصة للعرب فــى القضــاء عليهم، ومن شأنه أيضاً أن يؤثر على المفهوم الأمنى لديهم:

<< ماذا، أليس لديك إجابة لهؤلاء العرب الذين يريدون إبادتنا ؟ >> (٢)

والســـلام كذلك بالنسبة لهذه الفئة اليمينية المتطرفة، من شــأنه أن يهــدد المجتمــع الإسرائيلى داخلياً فتقول " سارة " ، وهى من اليمينيين المتطرفين لعوز:

<< إذا حــدث ســلام، فقد يقضى علينا العرب، معاذ الله، حيث سيعملون من أجل هــذا، أما نحن فسننتحل. >>(٣)

وهكذا، حسمت هذه الفئة اليمينية موقفها وتمســكت بــه، ورفضــت السـلام، وآمنــت بالصراع، واستمرارية العداء العربى ضد دولة إسرائيل وشعبها، حتى فى ظل وجــود فرصــة للسلام. وهو أمر يجئ نتيجة إيمان هذه الفئة اليمينية الإسرائيلية بمعتقدات خاطئة مثل معــاداة السامية، وأن الآخرين لا يفهمون سوى لغة القوة فقط، وهو ما ينطوى على كثير مــن النظــرة الفوقية للآخرين غير اليهود.

لقد تمسك هذا القطاع من المجتمع الإسرائيلى بمبدأ أن هذا الصراع غير قابل للحل، وأن العداء العربى لن يتوقف تجاه إسرائيل. وقد بدأ هذا القطاع ينظر إلى الدولة باعتبارها الوريثــة لليهودى المكروه والمضطهد ورفعت شعار " عيسو يكره يعقوب " وهكذا فإن العناصر اللاعقلانية والمخاوف والشكوك أصبحت لها شرعية وأصبحت توجه المجتمع وقادته (٤).

---

(١) السيد ياسين: الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم ، مرجع سابق، (ص١٤٦).

(٢) עמוס עוז : פה ושם בארץ ישראל בסתיו 1982، שם، עמ' 186.

(٣) שם، עמ'168.

(٤) د. رشاد عبدالله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص٢٢٤).

## (ب) موقف (اليهودى الإسرائيلى اليمينى المتطرف) من الأراضى العربية:

تمخضت حرب يونيو (١٩٦٧) عن عدة اتجاهات طفت على سطح الحياة السياسية فى إسرائيل، تجاه ما أسفرت عنه هذه الحروب من نتائج التوسع الإقليمى الإسرائيلى.. منها [١]:

(١) اتجاه رأى أن الأراضى التى تم احتلالها هى جزء من " أرض إسرائيل الكبرى " وفق الحدود الواردة فى الوعد الإلهى فى التوراه، واعتبر أن هذه الأراضى هى: השטחים המשוחררים (الأراضى المحررة).

(٢)اتجاه معتدل رأى فى احتلال هذه المساحات من البلاد العربية ورقة للمساومة من أجل الحصول على السلام واعتبر أن هذه المناطق المحتلة هى השטחים המוחזקים (المناطق المحتفظ بها).

(٣) اتجاه رفض مبدأ احتلال أراضى الغير بالقوة، ورفض الاعتراف بأن هذه المناطق هى جزء من " أرض إسرائيل الكبرى " ، أو أنها تشكل ورقة للمساومة من أجل السلام، واعتبر أن إسرائيل تحولت إلى دولة احتلال استعمارية بما يتناقض مع أخلاقيات الصهيونية المثالية وأطلق على هذه المناطق اسم השטחים הכבושים (المناطق المحتلة).

وبالطبع تنتمى هذه الشخصية إلى الاتجاه الأول، حيث ترفض السلام مع العرب، وبالتالى فهى ترفض التنازل عن أى جزء من هذه الأراضى تحت أى ظروف.

وقد رصد عوز كذلك موقف بعض المستوطنين الإسرائيليين المتطرفين من تلك الأراضى العربية، خلال عدد من الحوارات التى أجراها معهم وكتب عنها فى مقالاته السياسية، فهم يرون أن هذه الأراضى هى أراضى اليهود، أرضهم، والتنازل عنها يعنى التنازل عن الأمن، وعن الوعد الإلهى لهم، لذلك فهم يحسمون موقفهم منذ البداية ويرفضون التفاوض عليها ويغلقون باب الحل الوسط، على أساس أن موضوع الأراضى العربية المحتلة، غير قابل للتفاوض.

ويتضح كل هذا من خلال أحاديث عوز مع قطاع كبير منهم، وممن لهم توجهات يمينية متطرفة بالنسبة لموضوع الأراضى، ضد العرب، وذلك من خلال المقالات التى كتبها عوز فى أواخر (١٩٨٢) وبداية (١٩٨٣):

---

(١) د. رشاد عبدالله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص١٧٩، ١٨٠).

<< ربما يفهم العرب ذات مرة، أن هذه الأراضى هى أرض اليهود. وكل العالم سوف يفهم ذلك. بشرط أن نفهم نحن ذلك بأنفسنا قبل كل هذا، وأن نتحد، وأن يكفوا عن السعى داخلياً ضد حقوقنا فى هذه الأراضى. >>(١)

وقد كان هناك اتجاه، بعد حرب (١٩٦٧)، حاول استغلال ميكانيزم الصراع العربى الإسرائيلى بشأن فرض الأمر الواقع مع استغلال عنصر الوقت، ورأى أنه كما اعترف المجتمع الدولى والعالم العربى بإسرائيل داخل حدود ما بعد حرب (١٩٤٨) فى ظل سياسة " فرض الأمر الواقع " ، فإنه مع التسويف وتغيير معالم المناطق المحتلة والسعى لتهويدها وفتح باب الجدل والمفاوضات حول مصير الأراضى لمدة ٣٠ عاماً على سبيل المثال، فإنه لن يأتى عام (١٩٩٧) إلا وسيعترف العالم بأن هذه الأراضى هى جزء من دولة إسرائيل (٢).

وهو ما يؤكد عليه مستوطن يمينى آخر يدعى " مناحم " قائلاً:

<< إن المسلمين يعرفون جيداً فى ثنايا قلوبهم أن هذه الأرض، هى أرضنا. وهذا مكتوب لديهم حتى فى كتبهم. فى القرآن. وفى النهاية سوف يضطرون إلى الاعتراف بذلك >>(٣)

وتنظر هذه الفئة إلى الأراضى المحتلة على أنها تقع ضمن ما يسمى بالوعد الإلهى لهم، فقد منحها لهم الرب، ولا يجوز التنازل عنها أو التفريط فيها مهما كانت الظروف، فيقول "عميئيل " وهو دكتور مهاجر من أمريكا، ومحاضر فى علوم الدولة بجامعة " بار إيلان " ، فى حديث له مع عوز عن الأراضى العربية:

<< يحظر علينا التنازل عن أرض إسرائيل، فما أعطاه لنا الرب، لا يمكن أن نعطيه لهم هدية >>(٤).

وهكذا تنظر هذه الفئة اليمينية المتطرفة إلى الأراضى العربية على أنها منحة من الرب لهم، لا يمكن أن تكون قابلة للتفاوض فهى أرض مباركة من عند الرب لابد وأن تتخذ لها كافة الوسائل للدفاع عنها، حيث انتهجت هذه القومية المتطرفة سياسة تتميز بمزيد من التعصب والتطرف تجاه العرب عامة، وتجاه الفلسطينيين، بصفة خاصة، وأبدت استعدادها من خلال

---

(١) עמוס עוז : פה ושם בארץ ישראל בסתיו 1982، שם، עמ' 50.

(٢) د. رشاد عبدالله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص١٨٠ ).

(٣) עמוס עוז : פה ושם בארץ ישראל בסתיו 1982، שם، עמ' 51.

(٤) שם، עמ' 59.

الغيرة على " أرض إسرائيل الكاملة " لاتخاذ جميع التدابير الممكنة (الطـرد - الترحيـل) لحـل المشكلـة الفلسطينية. ولم تعد " المناطق المحتلة " مجرد وسيلة من أجل الدفاع عن الدولـة، وفق النظريات الأمنية، بل أصبحت، وفق هذه الأيديولوجية، هدفاً مقدساً، وتحولت صيغة " الوعد الإلهى " إلى برنامج سياسى ملزم [١].

وترى هذه الفئة اليمينية المتطرفة أن وجود العرب الفلسطينيين على هذه الأرض، هـو أمر عرضى وأنهم مدنسى هذه الأرض اليهودية التى منحها لهم الرب ولديها أمل فى أن الـرب سيقوم بعملية تطهير لهذه الأرض من هؤلاء الفلسطينيين غير الجديرين بتلك الأرض الطـاهرة والتى دنسوها.

وتأكيداً على تلك الرؤية اليمينية يقول عوز فى إحدى مقالاته السياسية، أنه ظهر أمامـه فجأة فى نابلس شاب يهودى طويل القامة، وأمسك بكتفه قائلاً:

<< أتنتظـره ؟.. سوف يأتى ! فى القريب العاجل ! ربما الليلة ! ربما فى الصباح، سوف يأتى قريباً هنا !.. ويقـوم بعملية تطهير كبيرة، تطهير مقدسة ! ويعيدنا من كل أنحاء العالم إلى أماكننا، ويعيدهم إلى أماكنهم، كلهم، فهذه هى مدينة الملك داود، وليست مدينة محمد !.. >>[٢]

وهكذا، تنـظر هذه الفئـة إلى الوجـود العـربى فى فلسطين، على أنه وجـود غيـر شرعى، أى وجود استثنائى، وهى ترتكز فى ذلك إلى الرؤية الصهيونيـة التى ترى أنه لا مكان لأى وجود غير يهودى فى فلسطين، وأنه إذا حدث وأقام شعب آخر على أرض فلسطين، فإن وجود هذا الشعب يصبح وجوداً عرضياً، ويفتقر إلى أية شرعية لوجوده، طالما أن اليهـود عادوا إلى فلسطين. وعلى هذا الأساس فإن الصهيونية كانت تنظر إلـى فلسـطين باعتبارهـا " أرضاً خربة وخاوية " ، أو وفق الشعار الصهيونى المعروف: (أرض بـلا شـعب لشـعب بـلا أرض)[٣].

وغير ذلك، لا تعترف هذه الفئة الإسرائيلية اليمينية المتطرفة بوجود مدينة عربية على أرض فلسطين، وتتساءل فى دهشة عما لدى العرب هنا ليبحثون عنه:

---

(١) د. رشاد عبدالله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص٢٢٥).

(٢) עמוס עוז : פה ושם בארץ ישראל בסתיו 1982، שם، עמ' 142-143.

(٣) د. رشاد عبدالله الشامى: الفلسطينيون والإحساس الزائف بالذنب فى الأدب الإسرائيلى، مرجع سابق، (ص١٥٧).

<< فلتسألهم ! وتسألهم، ماذا لديهم ليبحثوا عنه هنا ؟ هل توجد هنا مدينة عربية؟ أليس لديهم بلاد. >>(١)

كما أن فكرة الحل الوسط، وإمكانية إعطاء جزء من الأراضى للفلسطينيين هو أمر غير وارد ولا يمكن التفكير فيه، لأنه ينطوى على خسارة كبيرة وفادحة:

<< مع الأغيار ؟ دائماً تصبح لدينا مشاكل عندما نتنازل لهم. وقد حدث ذلك فى التوراه أيضا. فشاؤول خسر مملكته لأنه عطف على عماليق، فالأغيار مجبرون على أن يكونوا ضدنا. >>(٢)

وتدعوا هذه الفئة الإسرائيلية اليمينية المتطرفة إلى ضم المناطق العربية لتوسيع حدود دولة إسرائيل عن طريق الاستيطان والتوسع، وبالتالى فإن التنازل عن القدس هو أمر غير وارد على الإطلاق:

<< ماذا يحدث إذا أخذنا هذه المناطق لضمها إلى حدود دولة إسرائيل ؟.. وهل تريد أيضاً أن نعطيهم القدس ؟ ومن بعدها بيت شمش، وهل الباقى ليس ضمن حدود إسرائيل. >>(٣)

والحل الأمثل فى نظر شخصية (اليهودى الإسرائيلى اليمينى المتطرف) للحفاظ على هذه الأراضى وعدم التنازل عنها، هو القوة والتى هى كفيلة بردع من يطالبون بتلك الأراضى:

<< إن العرب مشكلة. ربما يكون هم التجربة التى وضعنا فيها الرب. فإذا صرنا أقوياء ومتعنتين، فهذا هو بداية الخلاص. >>(٤)

ولعل إبراز عناصر تكريس القوة فى مجمل العلاقات سواء مع العالم بأسره أو مع العالم العربى بصفة خاصة من خلال مقولة " القوة تحل كل شئ " من أهم العوامل التى تميز الأيديولوجية القومية المتطرفة، فيما عدا المغزى الرئيسى لقيمة " أرض إسرائيل " (٥).

---

(١) עמוס עוז : פה ושם בארץ ישראל בסתיו 1982، שם، עמ' 143.

(٢) שם، עמ' 51.

(٣) שם، עמ' 37.

(٤) שם، עמ' 59.

(٥) د. رشاد عبدالله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص٢٢٥).

## (جـ) موقف المجتمع الإسرائيلي من (اليهودي الإسرائيلي اليميني المتطرف):

يرفض عوز باعتبار أنه يساري، وينتمي إلى ما يسمى بـ " معسكر اليسار " الذي يبدو وكأنه يبدي نوعاً من المرونة في التعامل مع قضية الصراع العربي الإسرائيلي، مبادئ هذه الفئة اليمينية المتطرفة، ولذلك فلم تسلم من انتقاداته الشديدة في مقالاته السياسية المختلفة، والتي حذر فيها من التوجهات اليمينية المتطرفة ضد العرب، على اعتبار أن الصراع، هو صراع بين حقين - كما يقول - وأن الوجود العربي هو أمر واقع لا يمكن أن يعيش الإسرائيليين في منأى عنه، ولذلك فهو يهاجم المستوطنين اليمينيين والأعمال القمعية التي يقومون بها، ويهاجم كذلك سلطة الاحتلال الإسرائيلي، فيقول في مقال له كتبه عام (١٩٨٩):

<< لقد أصبحت سلطة الاحتلال الإسرائيلي في المناطق وحشاً. بخروج عصابات مكونة من قطاع طرق مسلحين لتفتك بالعرب، وأحياناً باليهودي أيضا الذي يبدو، لسوء حظه، مثل العربي. >>(١)

ويرى عوز أن التنازل عن الأرض ليس خطراً حقيقياً على إسرائيل بقدر خطر الحروب واستمرار الاحتلال، قائلاً في نفس هذا المقال والذي أعيد نشره في مارس (١٩٩٨):

<< أود أن أتوجه إلى. مئات الآلاف من الإسرائيليين الذين يؤمنون بأن التنازل عن الأراضي يمثل خطر الموت على الدولة. إن استمرار الاحتلال والحروب القادمة هو الذي يمثل خطر الموت ضد هذه الدولة. >>(٢)

ويرفض بجانب هذا الموقف الإسرائيلي اليميني المتطرف من السلام على اعتبار أن هذا الرفض ينطوي على كثير من الغباء وقصر النظر في المستقبل، وقد أكد على ذلك من خلال نفس ذلك المقال والذي كان عبارة عن خطاب له أمام حركة " السلام الآن " عام (١٩٨٩):

<< ربما عندما يأتي السلام في نهاية المطاف قد نضطر جميعاً، إسرائيليون وفلسطينيون، لبناء نصب تذكاري مشترك لغبائنا وعمى أبصارنا. >>(٣)

ويقول أيضاً مؤكداً على أن رفض السلام قد يزيد من عدد الموتى والضحايا:

---

(١) עמוס עוז: בשם החיים והשלום، שם، עמ' 5.

(٢) שם.

(٣) שם.

كحل للمشكلة اليهودية عن طريق تمركز جزء من الشعب اليهودى بشكل إقليمى فى دولة خاصة بهم " (١).

وقد عبر يهوشواع فى إحدى رواياته الشهيرة ، رواية (مولخو)، عن إبراز الظواهر التى تمخضت عن الفشل فى صهر جموع اليهود داخل المجتمع فى إسرائيل. باعتبار أن الهدف الأسمى كان هو صهر اليهود فى مجتمع جديد، مجتمع يهودى ذى سمة عبرية خالصة تذوب فيه كل المشكلات والمحن، إلا أن الصهيونية لم تنجح فى ذلك، وهو الأمر الذى جعل المجتمع الإسرائيلى مكدساً بآفات الاختلاف بين طوائف اليهود فى العالم، وتعرت الحقيقة كاملة أمام الفرد الإسرائيلى الذى أخذ يتساءل عن مدى تحقق وعود الصهيونية فى الواقع الحياتى. وقد عبر يهوشواع عن هذه المظاهر السلبية فى النقاط التالية:

## (أ)الصراع الدينى العلمانى:

بدأت أبعاد هذا الصراع بين اليهود الدينيين والعلمانيين مع نشأة حركة " الهسكالاه " التى هدفت إلى تحطيم النفوذ الدينى وسيطرته واستبداده على النفس اليهودية من الداخل، وإلى تحطيم أسوار " الجيتو " الشاهقة التى كانت تفصل بين اليهود ووجوه الحياة العلمانية فى الدول التى كانوا يعيشون فيها.

" ومن أجل تحقيق هذا الهدف وتحطيم الأسوار الداخلية للجيتو ولبناتها الدينية، كان تركيز حركة (الهسكالاه) ودعاتها من الفلاسفة والأدباء على ضرورة تغير نظام التعليم الدينى والمزج بينه وبين التعليم العصرى القائم على منجزات العقل فى العلوم الطبيعية والإنسانية، وكان من الطبيعى أن تنمو حركة (الهسكالاه) وأن تصل، فى النهاية، إلى حد المواجهة الكاملة مع السلطة الكهنوتية وسيطرتها على كل وجوه الحياة اليهودية.." (٢).

ومع انتقال اليهود من بلاد الشتات إلى فلسطين، انتقل معهم هذا الصراع واتخذ أبعاداً مختلفة. وقد شهدت السنوات الأخيرة نمواً كبيراً فى أعداد اليهود الدينيين ونفوذهم، وبخاصة بعد حرب يونيو (١٩٦٧)، الأمر الذى جعل اليهود العلمانيين يشعرون بأن الخطر يتهددهم واقترح بعضهم اقتسام إسرائيل بين الطرفين. " وترك ١٠% من اليهود العلمانيين القدس فى

---

(١)אהוד בן עזר :אין שאננים בציון،שיחות על מחיר הציונות،הוצאת עם עובד، תל אביב،1986 [עמ'96]

(٢) د. إبراهيم البحراوى: الدين والدنيا فى إسرائيل، كتاب الهلال، مايو ١٩٩٨، العدد ٥٦٩، (ص١٠).

عام (١٩٩٧) بسبب تدهور العلاقة مع اليهود المتطرفين " (١)، حيث تشهد القدس تركزاً يهودياً دينياً، بينما تشهد تل أبيب تركزاً يهودياً علمانياً.

" وربما للمرة الأولى على مدى هذه الفترة، منذ قيام دولة إسرائيل وحتى الآن، يرتبط القلق بالانقسام الداخلى أكثر من الصراع الخارجى، ويظهر ذلك مثلاً، من استطلاعات حديثة أظهرت أن ٦٠% يرون الخطر الأكبر فى التصدعات الداخلية، مقابل ٣٠% فقط يعدون الصراع الخارجى هو الأخطر " (٢).

وهكذا، أصبح الانقسام اليهودى الدينى العلمانى من أكثر القضايا التى تقلق المجتمع الإسرائيلى، وبدأ يفرض تساؤلات عديدة تتردد بقوة داخل إسرائيل وخارجها منها، على سبيل المثال: هل إسرائيل دولة يهودية أم يهودية ديمقراطية ؟.. ومن الإسرائيلى ؟ هل هو يهودى خالص، أم إسرائيلى يهودى، أم يهودى إسرائيلى، أم إسرائيلى فقط ؟ خاصة وأن اليهود الدينيين المتشددين فى إسرائيل وخارجها يرفضون الاعتراف بإسرائيل كدولة علمانية.

وقد أصبحت أشكال الصراع الدائر بين اليهود الدينيين والعلمانيين فى إسرائيل من المظاهر التى تميز طبيعة الواقع اليهودى فى إسرائيل والتى تعرض مظاهرها خارج إسرائيل :
<< بدأت الصحف وكل شبكات التليفزيون فى أمريكا تذيع وتنشر عشرات المقالات والأفلام يومياً حول احتفال إسرائيل بمرور خمسين عاماً على إعلان إنشائها كدولة، فإذا بها جميعاً وبلا استثناء تقريباً، تتحدث عن هذه الاحتفالات بلهجة جديدة، يملؤها القلق على ما يجرى فى إسرائيل من انقسامات وصراعات دينية وعقائدية، وإذا بنا نشاهد على شبكات التليفزيون الأمريكية مناظر الاقتتال بين الجماعات الدينية اليهودية المتطرفة من جانب، واليهود العلمانيين من جانب آخر ورحنا نشاهد كل ليلة كيف أن هؤلاء المتزمتين والمتطرفين من اليهود اقتطعوا جزءاً من مدينة تل أبيب، وأقاموا سياجاً حولها، لمنع المواطنين من ركوب السيارات يوم السبت، على اعتبار أنه خروج على الديانة اليهودية، وأقام بعضهم مكبرات الصوت يذيعون فيها خطبهم المديحية فى البيوت التى حولوها إلى معابد، ويرد عليهم العلمانيون بإقامة صالات " للديسكو " والرقص والملاهى الليلية، ويعلقون على أبوابها مكبرات الصوت لكى تطغى على الخطب الدينية، ويبدأ الطرفان فى تبادل اللكمات والضرب بالأيدى والعصى وتتدخل الشرطة

---

(١) عطية عيسوى: إسرائيل تتساءل من أنا، الأهرام، ١٩٩٨/٥/٢ (ص٥).

(٢) د. وحيد عبد المجيد: حدود الانقسام الداخلى فى إسرائيل، مركز الدراسات الاستراتيجية والسياسية، الأهرام، ١٩٩٨/٥/٨، (ص١٨).

يائسة لمحاولة التفريق بين الجانبين . ووصل الصراع إلى تهشيم السيارات وحرق بعضها، وتبادل إلقاء القاذورات والمخلفات البشرية علناً، إلى حد جعل " مناحم فريدمان " - أحد علماء الاجتماع فى إسرائيل يقول (إننا أصبحنا نعيش على الجرف، ولم نعد نطيق بعضنا بعضا)>> (١).

وتعد حرمة يوم السبت* من أشد القضايا الخلافية بين الدينيين والعلمانيين فى إسرائيل: "وما زالت المعركة الأكثر احتداماً، فى إطار هذا الانقسام تدور حول حرمة يوم السبت، ولعل آخر مظاهرها هو حملة المتدينين ضد المجتمعات التجارية الكيبوتسية التى صار معتاداً أن تعمل فى ذلك اليوم، وحملة العلمانيين لإلغاء قانون محلى فى تل أبيب يحظر فتح أماكن التسلية والمطاعم فى اليوم المتنازع عليه " (٢).

لقد وصل الأمر إلى تقسيم الأحياء إلى دينية وعلمانية، حيث تصدرت حى " بارديس حانا" لافتة تقول: (إنكم الآن تدخلون حياً دينياً،وعليكم أن تتحشموا فى ملابسكم وأن تحترموا شعائر السبت)، فإذا ببعض سكان الحى يعلقون لافتات على بيوتهم تقول (إن حى " بارديس حانا" يفخر بأن يكون علمانياً).

ويشدد و" واتنبرج " ، الكاتب فى صحيفة " واشنطن تايمز " ، على الانقسامات، بل العداوة السافرة بين اليهود المتشددين الدينيين والغالبية العظمى من السكان اليهود العلمانيين

ويروى الكاتب ما ذكرته كل وسائل الإعلام عما يحدث، من فرقة الرقص الشعبية التى هاج ضدها المتدينون المتشددون ، لأن الراقصات فيها يخلعن ملابسهن الداخلية، فاضطروهن للرقص بسراويل طويلة، إلى آخر الروايات ى مثل فرض الرقابة على فيلم تسجيلى لأنه أظهر الجانب لما حدث فى سنة (١٩٤٨)، بالنسبة للجانب الفلسطينى (٣).

---

(١) محمد حقى: الصراع الداخلى فى إسرائيل على شاشات التليفزيون فى أمريكا، صحيفة الأهرام، ١٩٩٨/٥/١٢،(ص٦)

(*) تعد حرمة يوم السبت من أشد القضايا الخلافية بين المتدينين اليهود والعلمانيين، فهناك بعض المحظورات الخاصة بيوم السبت بالنسبة لليهود المتدينين، والذى بموجبها يعتبرون ممارستها من قبل اليهود العلمانيين بمثابة تدنيس لحرمة ذلك اليوم. ففى هذا اليوم يحظر البيع أو السفر أو الخروج من البيت، ويحظر كذلك ايقاد المصابيح الكهربائية أو مشاهدة التلفاز أو سماع الراديو أو استخدام السيارات. وفى هذا اليوم يعارض اليهود المتدينون المتشددون (الحريديم) فتح دور السينما أو الكازينوهات أو المطاعم.

(انظر: يشعياهو ليفمان، العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل، ترجمة: د.محمد محمود أبو غدير، مراجعة وتقديم: د.إبراهيم البحراوى، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومى للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٠).

(٢) د. وحيد عبد المجيد: مرجع سابق، (ص١٨).

(٣) محمد حقى: الصراع الداخلى فى إسرائيل على شاشات التليفزيون فى أمريكا، مرجع سابق، (ص٦).

وهكذا، اتخذ الانقسام الديني العلماني بين اليهود الدينيين واليهود العلمانيين صورة مخيفة ومزعجة بالنسبة للمجتمع الإسرائيلي، وأظهر هذا الانقسام مدى الانفصال التام والواقع الديني الذي يعيش فيه اليهود المتشددون عن الواقع العام للمجتمع الإسرائيلي العلماني، ومما يزيد من هذا الانفصال التام، أن اليهود الدينيين المتشددين لا يخدمون في الجيش الإسرائيلي ولا يدفعون الضرائب، لأنهم يتفرغون لدراسة التوراة طوال اليوم ويحصلون على مبالغ باهظة لمدارسهم غير المعونات الاجتماعية (•).

ويمكن القول أيضاً، " إن القوى الدينية في إسرائيل تمثل مروحة واسعة من الاتجاهات تتراوح بين تأييد الصهيونية العلمانية فيما عرف بـ (الصهيونية الدينية) ويبن (معاداة الصهيونية)، وبين السلفية المغالية في التشدد وتكفير الدولة والانعزالية (الحريديم)، إلا أنها تشترك جميعاً في طرح تعريف اليهودية لتكون مجرد انتماء أو لمجرد الانتماء. إن المعيار لدى هذه القوى سواء حزبية أو غير حزبية، هو التقيد الصارم بالعبادات والتأكيد على الالتزام بالشريعة اليهودية (الهالاخاه)، والتعبير عن الإيمان وسيادة الطقوس والتقيد بأحكام المذهب الديني الذي يتمسك به زعماؤها الروحانيون فيما يتصل بقضايا الحياة " (١).

ومن هنا، يعد الصراع الديني العلماني داخل إسرائيل مظهرا من مظاهر تحطم بوتقة الانصهار داخل المجتمع في إسرائيل، عبرعنه يهوشواع بصورة ساخرة انتقد فيها اليهود الدينيين، محاولاً إبراز الصهيونية كسبب في احتدام هذا الصراع، ومؤكداً على فشلها في تجميع الشتات اليهودي داخل المجتمع الإسرائيلي.

---

(•) تمتد القضايا الخلافية بين المتدينين اليهود والعلمانيين في إسرائيل لتشمل الكثير من أوجه الحياة التي تشتد حولها الصراعات. فبالنسبة للملبس، لابد وأن ترتدي المرأة ملابس طويلة وتغطي رأسها، أما الرجال فيرتدون البالطو الأسود الطويل ويطلقون لحاهم وهو مالا يفعله اليهود العلمانيون. وبالنسبة للطعام، فالشريعة اليهودية تحظر على اليهودي تناول طعام غير كاشير أو تناول طعام طهي في أوعية سبق استخدامها في إعداد طعام غير كاشير وهو ما لا يفعله اليهود العلمانيون. وبالنسبة للطهارة، تمنع العلاقات الزوجية على امتداد ١٢ يوماً على الأقل خلال الدورة الشهرية للمرأة، وفي نهاية هذه الفترة فإن على المرأة أن تغطس في بركة مياه التطهر (مغطس التطهر).

ومن مظاهر اتساع الهوة بين المتدينين اليهود والعلمانيين، يدرس أبناء اليهود المتدينين في مدارس دينية منفصلة وينتمون إلى حركات شبابية دينية منفصلة. وهناك في إسرائيل مؤسسات مختلفة، مثل البنوك، تقوم بتشغيل عناصر دينية فقط. كما يطالب الحريديم بتخصيص شواطيء خاصة بالرجال وأخرى للنساء على غرار مايحدث في المعابد التي يوجد لها حواجز تفصل بين النساء والرجال.

(انظر: يشعياهو ليفمان، العلاقات بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل، مرجع سابق).

(١) د. رشاد عبدالله الشامي: القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، مرجع سابق (ص٩).

<< ليتنا عند حلول يوم السلام ألا نضطر، يهود وعرب، إلى مسح بصاق الموتى من على وجوهنا. >>(١)

كما يعارض عوز الموقف الإسرائيلى اليمينى المتطرف فى سياسة الضم والاستيطان وتوسيع الأراضى، على أساس أن كل هذا لن يؤدى إلى حصول إسرائيل على ما تريده:

<< إن أى طفل اليوم، يعلم أنه فى نهاية الأمر ستحصل إسرائيل على أقل مما كانت تستطيع أن تحصل عليه قبل خمس، أو عشر، أو خمس عشرة سنة.>>(٢)

كما يضيف إلى هذا موقفه من الاستيطان، وينظر إليه على أنه عمل دنئ وحقير وفيه ظلم، وذلك كما عبر فى لقاء صحفى معه فى أبريل عام (١٩٩٨):

<< إننى اعتقد أن أعمال الاستيطان هى عمل ظالم، وخطير أيضاً. >>(٣)

وعلى اعتبار أن الواقع يفرض نفسه، وأن الفلسطينيين هم أمر واقع لا يمكن تجاهله يوجه عوز كلمته فى مقال كتبه فى أبريل عام (١٩٩٧) إلى رئيس الوزراء الإسرائيلى " بنيامين نتنياهو (*) " الذى يقف موقفاً يمينياً متشدداً، ويتملص من اتفاقيات السلام، ويتبنى سياسة توسيع المستوطنات على حساب الفلسطينيين قائلاً:

<< .. إن السيد " نتنياهو " نفسه، ليس مهيأ لأن يقف موقفاً ناضجاً أمام الواقع الذى يمليه عليه، وأمام الواقع الذى يخلقه بأعماله الطائشة. >>(٤)

ويحذر عوز هؤلاء اليهود اليمينيين المتطرفين من خطر التلويح بالقوة التى لن تؤد إلى شئ قائلاً فى مقال له كتبه فى مارس (١٩٩٧):

---

(١) עמוס עוז: בשם החיים והשלום، שם، עמ' 5.

(٢) שם.

(٣) אורנה קדוש עם עמוס עוז، שם، עמ' 30

(*) بنيامين نتنياهو: ينتمى إلى حزب "الليكود "اليمينى المتطرف، وهو زعيم الحزب، وفاز برئاسة الحكومة بعد نتائج انتخابات الكنيست الرابع عشر (مايو ١٩٩٦)، بفارق أقل من ١% على منافسة "شمعون بيرس "زعيم حزب "العمل ". ويعد فوزه ائتلافاً حكومياً مع الأحزاب اليمينية المتطرفة والأحزاب الدينية الإسرائيلية.

(٤) עמוס עוז: מצדה של אחד אחר، עיתון ידיעות אחרונות،24/4/1997، עמ'5.

<< لقد ظللنا عشرات السنين - نحن وهم - يتحدث كل منا إلى بلغة القوة فقط. وهذه اللغة وحدها لم تؤد ولم تستطع أن تؤدى إلى حصولهم على وطن، وهى أيضاً لم تؤد ولم تستطع أن تؤدى إلى حصولنا على الاعتراف والأمان. >> (١).

وحول القدس كعاصمة موحدة لإسرائيل، يرد عوز فى نفس المقال السابق على اليهود اليمينيين المتطرفين قائلاً:

<<.. لن يستطيع أى جبل وأى سور أن يحمى القدس من القدس ويجب أن نتكيف فى النهاية مع حقيقة أننا لسنا وحدنا فى القدس، مثلما لسنا وحدنا فى " أرض إسرائيل " ، ومن يطلق شعارات رنانة عن القدس التى توحدت ولن تقسم أبدا إلى أبد الآبدين. من الأفضل أن يفتح عينيه ويرى أن القدس مدينة مقسمة. >> (٢)

ويؤكد عوز مراراً وتكراراً لليهود اليمينيين المتطرفين على أن الفلسطينيين موجودون، وأن هذه حقيقة لا مراء فيها:

<< (نحن لسنا وحدنا هنا). يجب أن تتحول هذه الكلمات الأربع البسيطة إلى ملصق نضعه على زجاج السيارات. والنوافذ والشرفات حتى نردده طوال اليوم... أليس من يحاول أن يتصرف كأن الآخرين غير موجودين إنما يحكم على نفسه بأن يقضى حياته مثل الجبل المحاط بسور>>(٣)

وهكذا، يدحض عوز مزاعم القوى الإسرائيلية اليمينية المتطرفة، ويرفض مبادئها القائمة على التوسع والضم، ورفض السلام.

وعلى الرغم من أن بعض مقالات عوز السياسية تحتوى على نداءات السلام والتعاطف مع الحق الفلسطينى، إلا أنها تحوى فى طياتها توجهات صهيونية - كما سنرى فيما بعد - تجعلنا نقول أن عوز يدعو للسلام وإعطاء الأرض للفلسطينيين، ليس حباً أو احتراماً للعرب بقدر ما يتعامل مع المواقف من منظور الأمر الواقع، وهو ما جعله يكرر فى كثير من مقالاته السياسية حقيقة (نحن لسنا وحدنا هنا).

---

(١) عاموس عوز: الجبل والسور، يديعوت أحرونوت ١٩٩٧/٣/٤، مختارات إسرائيلية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية (الأهرام)، أبريل ١٩٩٧، السنة الثالثة، العدد ٢٨، (ص١٢).

(٢) نفس المرجع.

(٣) نفس المرجع ، (ص١٢).

# الفصل الثانى

## الصراع الطائفي داخل المجتمع الإسرائيلي المعاصر

## الفجوة بين طبقات المجتمع الإسرائيلى:

سعت الصهيونية منذ البدايات الأولى لظهورها إلى هدف تجميع شتات اليهود فى وطن قومى، ورفعت شعار بوتقة الانصهار التى ستذوب فيها جموع اليهود المختلفة فى هذا الوطن الجديد، ولم تضع الصهيونية، آنذاك، فى الحسبان الثقافات اليهودية المختلفة التى تأثر بها اليهودى فى أثناء وجوده فى البلد التى عاش فيها، وواجهت بعد قيام الدولة معضلة تمثلت فى اختلاف الأجناس والعادات وتمسك كل يهودى بما اكتسبه فى البلد الذى عاش فيه مرحلة طويلة من عمره؛ مما أدى إلى صعوبة التجانس والتكيف بين جموع اليهود داخل المجتمع فى إسرائيل، الأمر الذى جعل مقولة " بوتقة الانصهار" تسقط سقوطاً مروعاً وتتحطم مع البدايات الأولى لقيام الدولة.

ويعبر الأديب الإسرائيلى أ. ب. يهوشواع فى كتابه (بفضل الطبيعية) عن موقفه من الشتات الذى أصبح مصدر المشكلات بعد قيام الدولة بقوله: " تعتبر قضية الشتات من أهم القضايا وأعمقها، لا سيما وأنها تفرض على اليهودى أن يسأل نفسه، عندما يضل به الطريق، عن ماهية الشعب اليهودى. فالشتات هو مصدر المشكلات التى يتخبط فيها اليهود منذ أجيال عديدة، وبخاصة فى المائة عام الأخيرة (القرن العشرين). وهو أيضاً لب المشكلات الحقيقية التى تتخبط بها دولة إسرائيل فى الحاضر " (١).

وعلى هذا الأساس، نظر " يهوشواع " إلى الحركة الصهيونية كحدث تاريخى يقف عند حد إقامة الدولة، ولم ينجح فى تحقيق هدف تجميع الشتات اليهودى داخل إسرائيل، " إذ إن ثلاثة أرباع اليهود مازالوا يعيشون خارج حدود الدولة " (٢)، كما أن الصهيونية لم تنجح فى صهر اليهود المتجمعين داخل الدولة، حيث يقول: " إننى أظن أن الهدف الأساسى للصهيونية قد انتهى. فأنا لا أرى فى الصهيونية أيديولوجية كاملةً، أو نهجا حياتيا شاملا، أو فلسفة اجتماعية خاصة، بل هى أولاً وقبل كل شىء عملية تاريخية خاصة؛ كان هدفها تحقيق الطبيعية مهما كانت

---

(١) א ב יהושע :בזכות הנורמליות,חמש מסות בשאלות הציונות , הוצאת שוקן,ירושלים ותל אביב,1984[עמ'27-28]

(٢) מנחם ברינקר : אחרי הציונות,סימן קריאה,19 מרץ 1986,[עמ'21]

وقد أكد مناحم برينكر على أن الصهيونية قد تكون سبباً فى تقويض هذا المجتمع لدورها فى هذا الصراع، إذ يقول: " إن المشاكل الوجودية الصعبة لإسرائيل هى أيضا مشاكل صهيونية... فكيف ستعيش فى إسرائيل الثقافة اليهودية العلمانية والثقافة اليهودية الدينية، كل منهما بجوار ى، دون أن يقوضا المجتمع الإسرائيلى ؟ " (١).

وقد عبر يهوشواع فى رواية (مولخو)، عن الانقسام الواقع بين اليهود الدينيين والعلمانيين فى أى تجمع يحدث بينهم:

" جلس عدد منهم بالطاقيات السوداء فى انتظار وقت الصلاة "(٢).

" قام عدد من المسنين فى صمت للمشاركة فى الصلاة، بينما هز العلمانيون رءوسهم مباركين " .

وقد اتخذ الانقسام الدينى العلمانى بين اليهود الدينيين والعلمانيين صورة مخيفة ومزعجة بالنسبة للمجتمع الإسرائيلي، وأظهر هذا الانقسام مدى الانفصال التام للواقع الدينى الذى يعيش فيه اليهود المتشددون عن الواقع العام للمجتمع لإسرائيلي العلمانى. وأصبحنا نشاهد صورا عديدة من صور الاقتتال والضرب باللكمات بين اليهود الدينيين واليهود العلمانيين تدور كلها حول حرمة يوم السبت، وقد عبر يهوشواع عن سخريته من هذا الوضع، فهناك من كان يحذر مولخو من السفر فى هذا اليوم خشية أن يرشق بالحجارة من اليهود الدينيين:

" استجاب " مولخو " قائلاً، إننى مستعد للحضور، ربما يوم السبت. فى يوم السبت ؟ اندهش زوجها مرة أخرى... فى يوم السبت سيقذفونك بالحجارة هناك"(٤).

وهكذا أصبح السفر فى هذا اليوم بالنسبة لليهودى الإسرائيلى العلمانى بمثابة مجازفة قد تعرض من يقدم عليها من اليهود للخطر. ولكن" مولخو " لا يعبأ بهذا ويقرر السفر فى هذا اليوم إلى القدس ليجد المدينة وقد سادها سكون تام:

" قرر السفر إلى القدس يوم السبت... ووصل القدس قبيل ظهيرة ذلك اليوم ... ثم

---

(١) מנחם ברינקר:אחרי הציונות,שם,[עמ' 27]

(٢) אברהם ב יהושע : מולכו,רומאן,הוצאת הקיבוץ המאוחד,תל אביב,1987, [עמ' 35],

(٣) שם

(٤) אברהם ב יהושע :מולכו, שם ,[עמ' 203]

خرج فى الثانية والنصف، ليجد المدينة وقد سادها السكون التام الخاص بيوم السبت " (١)..

ويشير يهوشواع كذلك فى هذه الرواية إلى ما يحدث للسيارات من تحطم أثناء مرورها فى يوم السبت، حيث يعتبر اليهود الدينيون أن ذلك تدنيساً لحرمة ذلك اليوم. فها هو " مولخو" ما أن يلمح أحد الأشخاص يرتدى القبعة الدينية حتى يبطل محرك سيارته خشية أن تصاب بحجر :

" ولكنه ما أن لمح رجلاً يرتدى طاقية يتجه نحوه، حتى أوقف محرك السيارة على الفور. وقرر أن يسير مترجلاً فى هذا المكان، حتى لا يتعرض لخطر قذف سيارته بحجر " (٢).

لقد أصابت حرمة ذلك اليوم " مولخو " بالملل وهو في القدس،وجعلته يسخر من ذلك المصعد الذي يعمل أتوماتيكيا في ذلك اليوم دون الضغط على مفاتيح لتشغيله، وهو ما جعله يتوقف فترة طويلة في كل طابق حتي إن لم يكن هناك أشخاص يريدون استخدامه:

" سمع المصعد يزأر من فوق رأسه، ينزل ثم يتوقف، ينزل ثم يتوقف... ثم يفتح الباب أتوماتيكياً، حيث كان المصعد يوجه للحركة يوم السبت دون الحاجة للضغط على مفاتيح ... ووقف " مولخو" داخل المصعد صامتاً، وشعر أنه أحمق وهو ينتظر الباب طويلاً حتي ينغلق، وفى النهاية سمع صفيراً وانغلق الباب وصعد المصعد طابقاً آخر. وكان وقت الانتظار طويلاً للغاية، كما لو أن الجهاز الآلى للمصعد صمم من أجل أشخاص معاقين أو مرضى سوف يدخلون ويخرجون فى بطء كبير " .

ويتساءل " مولخو" فى سخرية عن مغزى ما يحدث فى المصعد من الناحية الدينية:

" وصعدت بمصعدكم الغريب والمضحك، وأنا مازلت لا أعرف كيف يفسرون هذا من الناحية الدينية ؟ وصدرت منه ضحكة خفيفة " (٤).

ولم يسخر يهوشواع من هؤلاء الدينيين على لسان" مولخو" فحسب، بل إنه يشير إلى مدى تزمتهم وحرصهم الدقيق على عدم تدنيس يوم السبت، " فأورى" ، أحد الشخصيات الدينية فى الرواية، يمنع زوجته " يعراه " من إشعال سيجارة فى هذا اليوم دون أن ينطق بكلمة:

---

(١) אברהם ב יהושע :מולכו, שם ,[עמ'260

(٢) שם

(٣) שם,[עמ'261

(٤) שם ,[עמ'262

" دست سيجارة فى فمها، وأخذت تبحث عن ثقاب، ولكن زوجها أمسك يدها برفق ليمنعها، دون أن ينطق بكلمة " (١).

كما يعبر يهوشواع كذلك عن مبالغة الحاخامات فى تطبيق الشريعة اليهودية فى إسرائيل وأثر ذلك على مدى الانقسام الفاعل بين اليهود الدينيين والعلمانيين، وفى إشارة إلى تدخل الحاخامات فى كافة الشئون الحياتية والداخلية للفرد اليهودى، يقول يهوشواع، فى سخرية، على لسان " مولخو" فى الرواية:

" هل سمح لكم الحاخام يودل بالتدخين هكذا قبل النوم، فاجأها بدعابة خفيفة " .

ولم يتوقف الأمر عند هذا فحسب، بل إن الدينيين اليهود يخضعون لأوامر الحاخامات بكل دقه، " فيعراه " لا يوجد لديها تليفزيون فى بيتها، فقد أوصاهم الحاخام بذلك، لأنه يكرهه ويسأمه:

" حقاً، لا يوجد لديكم جهاز تليفزيون فى منزلكم. لأن حاخامهم يكره ويسأم، بالفعل، التليفزيون بصفة خاصة " .

ومن مظاهر هذا الصراع بين اليهود الدينيين واليهود العلمانيين، النزاع بينهم حول نزول البحر بملابس سوداء، حتى وصل الأمر إلى حد تخصيص الحكومة الإسرائيلية شواطئ خاصة باليهود الدينيين فقط، ويشير يهوشواع إلى ذلك الرداء وهو يصف بعض الأطفال الدينيين فى البحر:

" لاحظا فى تلك الأثناء تفرق مجموعة من الصبيان بمعاطف سوداء بين الأمواج" (٤).

ويصف يهوشواع اليهود الدينيين، فى هذه الرواية، بأنهم أناس قساة فى معاملاتهم، علاوة على أنهم ينجبون الأطفال بكثرة، ويطلبون من " أورى" اليهودى المتدين الزواج بامرأة جديدة شريطة أن تنجب أطفالا، ذلك لأن " يعراه " زوجته لم تنجب بعد وهى فى الثانية والخمسين من عمرها، وتعددت مرات فشلها فى الحمل والإجهاضات المستمرة:

" إنهم أناس قساة لا يستلهمون مبادئهم من الكتب بل مما هو شفوى، لقد طالبوه لعدة

---

(١) אברהם ב יהושע :מולכו, שם ,[עמ' 262

(٢) שם ,[עמ' 234

(٣) שם ,[עמ' 232

(٤) שם ,[עמ' 230

سنوات بالزواج من امــرأة أخرى شريطة أن تنجب أطفالا؛ لأنه بدون أطفـــال يصـــبح عالمـــه معيباً، وفهمه ناقصاً " (١) .

" هل مازالت تنزف من مرات الحمل الفاشلة والإجهاضات الكثيرة. "( ).

ويفسر الناقد الإسرائيلى يوسف أورن مرات الحمل الفاشلة على أنها أيديولوجيات لـــم يستوعبها المجتمع الإسرائيلى، إذ يقـــول: " يجب أن نـــفهم مغزى مـــرات الحمـــل الكثيـــرة الفاشلة لـــ (يعراه)، حيث ظهرت هذه المرات كمثال للأيديولوجيات التى لم يستوعبها المجتمـــع الإسرائيلى، لأنها جميعاً تعاليم تعرضت للإجهاض فى منتصف الحمل " (٣).

أما أبراهام بلفان فإنه يصف شخصية " أورى" بالفوضوى الذى ينصاع إلى مطالب هؤلاء الدينيين ويقرر الزواج؛ حيث يقول: " إن " أورى" زوج " يعـــراه " إنســـان فوضـــوى، يطالبـــه الدينيون المتشددون الذين يتردد فى السير على دربهم، بالزواج من امرأة شـــابة تســـتطيع أن تنجب له. ففى الوقت الذى يشرح فيه لمولخو بأنه لم يخطر بباله أن يترك " يعراه " قبل أن يدبر لها أمورها، فهو يقرر الزواج " (٤). بينما نجد مولخو، فى الرواية، يتعجب من ذلك الإخـــلاص لعالم ملئ بالدينيين الذين يباركون إنجاب الأطفال:

" لقد كرست نفسها لكى تزيد شوقهم وانتماءهم لذلك العالم المكتظ الخـــاص بالـــدينيين المرزوقين بالأطفال " (٥).

وهكذا، حاول يهوشواع أن يبين لنا مدى الانقسام الحـــاد فـــى المجتمـــع الإســـرائيلى، وبخاصة أن شوكة اليهود الدينيين تزداد فى السنوات الأخيرة بزيادة عددهم، وتحول الكثيـــرون من اليهود العلمانيين إلى دينيين كما يشير فى الرواية:

" إننى مسافر إلى أصدقاء قدامى لى فى المدرسة أصبحوا مؤخراً متدينين للغاية"(٦).

وهـــكذا أيضاً، يتبين لنا مظهر آخر من مظاهر تحطم بوتقة الصـــهر داخـــل المجتمـــع

---

(١) אברהם ב יהושע :מולכו, שם,[עמ' 192

(٢) שם,[עמ' 210

(٣) יוסף אורן : הציונות והצבריות ברומן הישראלי ישראל, הוצאת יחד, 1990[עמ' 33]

(٤) אברהם בלבן :מר מולכו,שם,[עמ' 110]

(٥) אברהם ב יהושע :מולכו,שם ,[עמ' 210

(٦) שם ,[עמ' 207

الإسرائيلى، ويعد ذلك الصـراع من أخطر ما يهدد المجتمع الإسرائيلى، نظراً لخطورته الشديدة؛ حتى إننا نجد اليهود الدينيين ينقسمون على أنفسهم أيضاً، فهناك الجماعات اليهوديـة الدينيـة المتشددة (الحر يديم)، و الجماعات اليهودية الدينية المتطرفة، فالأولى تسعى إلى خلق " جيتو " يهودى داخل الدولة، يحافظ على خصائص يهودية الشتات من حيث الثقافة فى اللغة والتشدد فى تطبيق الشريعة اليهـودية، وتقف موقفاً معادياً من الصهـيونية العلمـانية. أما الثانيـة – الجماعات اليهودية الدينية المتطرفة – فهى من أصحاب المواقف الصهيونية السياسية القومية المتطرفة التى تسعى لاستيطان الأراضى المحتلة باعتبارها ضمن حدود الوعد الإلهى أو ضـمن الميراث الدينى و التاريخى لليهود.

ومن هنا، يمكن القول، إن الصهيونية بنفسها قد أسهمت فى هذا الانقسام بـين اليهـود الدينيين، وقامت بالدور البارز فى قيادة هذا الانقسام، وهو ما أدى بطبيعة الحال إلى الصدام مع اليهود العلمانيين، ليجلس المجتمع الإسرائيلى فوق فوهة بركان من شأنه أن ينفجـر فـى أيـة لحظة. وبالتالى؛ فقد أخفقت الصهيونية فى وعودها بالتحام اليهود وتجميعهم داخل حدود آمنـة لدولة يهودية ازدادت صراعاتها الداخلية وتزايدت مع مرور الوقت، وأصبحت مصدراً للتهديـد المستمر والمتعاظم على مر السنين.

## (٢) الصراع بين الإشكنازيم والسفارديم داخل المجتمع الإسرائيلى:

" يتميز الكيان الصهيونى كتجمع من المهاجرين المستوطنين ، بكونـه فسيفسـاء مـن المجموعات البشرية التى تفصل بعضها عن بعض خيوط عرقية وثقافية وغيرها . واليوم وبعـد مرور أكثر من خمسين عاماً على قيام هذا الكيان ، لا تزال نظرية ( بوتقة الصهر ) الصهيونية موضوعة على المحك ، فى أبعد تقدير ، كما كانت على الدوام . ومن أبرز أشـكال التمـايزات الاجتماعية فى إسرائيل الانقسام إلى يهود غربيين ( إشكنازيم * ) ويهود شرقيين ( سـفارديم * )

ويتجسد هذا الانقسام فى الفجوة الطائفية المسماة ( إثنية ) أحياناً ، التى تفصل بين الطرفين فى مجالات مستوى الحياة والتعليم والعمالة والثقافة والتمثيل على مستوى قمة الهرم الرسمى ، السياسى والعسكرى ، كما تتجسد فى نمط الاقتراع للكنيست ولرئيس الحكومة ، حيـث تحصـد

* إشكناز: كلمة تعنى بالعبرية ألمانيا . وهى تطلق على كل اليهود المنحدرين من أصول ألمانية وفرنسية أو أوربية، ويمتد شمول التسمية لتطلق كذلك على يهود أمريكا الشمالية والجنوبية .

* سفارديم: صيغة الجمع بالعبرية من الاصطلاح "سفاردى "نسبة إلى "سفاراد "( أسبانيا ) . وهو اصطلاح يطلق على اليهود الذين أقاموا فى أجزاء مختلفة من شمال أفريقيا ( المغرب – تونس – الجزائر – ليبيا ) وتركيا وإيران واليونان والبرتغال والهند.

الأحزاب اليمينية معظم أصوات السفارديم فى حين تعطى أغلبية الإشكنازيم مرشحى الأحزاب اليسارية أصواتها " (١) .

وربما تعود الخصومة بين اليهود الشرقيين والأحزاب اليسارية إلى سيطرة حزب العمل الذى يمثل صوت اليهود الإشكنازيم ذوى الأصل الأوروبى على مقاليد الحكم منذ قيام الدولة ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٧٧ ، وهى فترة لم يحظ فيها اليهود الشرقيون باهتمام مباشر بشئونهم الاجتماعية من قبل الحكومة الإسرائيلية اليسارية على كل المستويات الاجتماعية والثقافية والسياسية والتعليمية ، بعكس الاهتمام البالغ بشئون اليهود الغربيين .

" لقد بدأت القرارات التميزية التى اتخذها المسئولون الإسرائيليون ضد السفارديم قبل وصول السفارديم إلى إسرائيل ، وقامت على أساس أن الإشكنازيم، باعتبارهم ( ملح الأرض ) يستحقون أوضاعاً أفضل و( إمتيازات خاصة ) وعلى العكس من المهاجرين ( الإشكنازيم) عومل السفارديم بصورة غير إنسانية فى المعسكرات التى أقامها الصهيونيون فى بلاد المنشأ فى أثناء الانتقال ومن هنا كان صوت إسرائيل الطاغى ، بصورة لا تكاد تتغير تقريباً هو صوت اليهود الأوربيين الإشكنازيم، بينما صوت السفارديم هو صوت مخنوق ومطموس إلى حد كبير " (٢).

وتكمن هامشية اليهود السفارديم داخل المجتمع الإسرائيلى فى اعتقاد اليهود الإشكنازيم بأنهم أصحاب الحضارة الأرقى ، على اعتبار أنهم من الصفوة الإسرائيلية وينتمى إليهم قادة الدولة من رواد الحركة الصهيونية التى نجحت فى خلق كيان مستقل لليهود ، وعلى اعتبار أن اليهود الشرقيين هم أبناء مجتمعات متخلفة وبيئات غير متحضرة ، وليس عليهم سوى الانصياع والخضوع لمن هم أعرق حضارة وأعظم ثقافة .

وهكذا يأتى الصراع الدائم بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين داخل المجتمع الإسرائيلى -كما بيّنا سابقاً - كإخفاق جديد من إخفاقات الصهيونية، ومظهر من مظاهر تحطم بوتقة الصهر التى تحدثت عنها الصهيونية، وهدفت من خلالها إلى إذابة جموع اليهود داخل كيان يهودى واحد. إلا أن اختلاف الثقافات والحضارات بين الجماعات اليهودية المتجمعة داخل

---

(١) انظر: خالد عايد: اليهود الشرقيون فى إسرائيل ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت ، العدد (٣٦) خريف ١٩٩٨ ، (ص ١٠٣ ) .

(٢) انظر: ايلا حبيبة شوحط: اليهود الشرقيون فى إسرائيل، الصهيونيون من وجهة نظر ضحاياها اليهود ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، العدد ( ٣٦ ) ، (ص ١٠٥ ١٠٦ ) .

الدولة يقف حائلاً أمام تحقق هذا الهدف، ليضيف إلى الصهيونية انتقاداً جديداً عبر عنه الكثير من الأدباء والمفكرين الإسرائيليين في أعمالهم المختلفة.

ويمكن القول، إن الصهيونيين الأوائل أرباب الحضارة الغربية، الذين قامت الحركة الصهيونية على أيديهم، كان لهم دور بارز في تفاقم هذا الصراع، نظراً لتفاخرهم الدائم بأن الدولة قامت على عاتقهم فقط، مما حدا باليهود الشرقيين إلي الشعور بالدونية تجاههم، وبأنهم جيل مكمل للكيان اليهودي داخل الدولة الجديدة.

لقد بدا هذا الصراع واضحاً في احتفالات إسرائيل بمرور خمسين عاماً على قيامها. فكانت مظاهر الاحتفال تتحرك في اتجاهات مختلفة لتلقي الضوء على صور عديدة من صور هذا الاحتفال، حيث حرصت كل طائفة من الطوائف اليهودية المختلفة على إبراز بعد خاص تتمتع به ويرجع إلي البلد التي كانت تعيش فيه، فإذا بنا نجد احتفالات خاصة باليهود المغاربة، على سبيل المثال، واليهود الروس، وكافة الطوائف اليهودية المختلفة، ليبرز أمامنا في النهاية مدي انقسام ذلك المجتمع على نفسه فى صورة جماعات طائفية تحرص كل جماعة منها على هويتها الخاصة، ولا تسمح مطلقاً بطمس تلك الهوية، حتى وإن كان ذلك فى صالح الدولة التى تعيش فيها، وإن كانت هى الملاذ الوحيد لهم.

إن الصهيونية بما طرحته من أهداف منذ الإرهاصات الأولى لتكوينها، لم تضع فى الاعتبار تلك المعضلة، وظنت باليهود الشرقيين سوءاً، وبأنهم سيكونون أفضل وضعاً وهم يؤدون دورهم الهامشى فى الدولة، ورفعت شعار البوتقة، وإذا بتلك الجماعات اليهودية تتناحر فيما بينها للمحافظة على هويتها الخاصة، ولتتفاخر كل جماعة بإنجازاتها الفردية فحسب.

ويعبر " شلومو بن عامى " المغربى الأصل، والقيادى فى حزب العمل، عن ذلك الوضع الهامشى الذين يعيشه اليهود السفاراديم فى لقاء معه بقوله: " جئت من مدينة طنجة وعمرى اثنا عشر عاماً، إننى مجنون بهذه المدينة... كما يتحدث عن (جرح الخمسينيات) الذى لا يزال مفتوحاً، عندما وصل وعائلته سنة ١٩٥٥ إلى فلسطين ضمن موجة هجرة جماعية لليهود الشرقيين، فرشوهم بمادة الـ د.د.ت. ثم نقلوهم إلى (المعبراة) حيث (المشهد المأسوى) الذى (يمزق القلوب): مكان هو لا مكان – على حد تعبيره– واشتملت شهادته أيضاً على تجربته فى معسكر حركة العمل: (نحن فى الداخل ولسنا فى الداخل)، مضيفاً أن ابن الطوائف الشرقية لا يزال يجد صعوبة فى الحصول على الشرعية الكاملة لوجوده داخل هذا المعسكر. ويذهب بن عامى إلى القول، بأن هذه الطوائف توجه احتجاجها وسخطها نحو حركة العمل لا نحو الليكود،

لأن هذه الحركة هى التى قادت عملية التحديث طوال ثلاثين عاماً من دون أن تصل باليهود الشرقيين إلى الطمأنينة والمساواة " (١).

وترجع " إيلا شوحط " هذا الوضع الذى يعيشه اليهود السفارديم فى إسرائيل إلى الصهيونية، حيث تقول: " تزعم الصهيونية أنها حركة تحرر لجميع اليهود، ولم يوفر الأيديولوجيون الصهيونيون أى جهد فى محاولة جعل تعبيرى (اليهودى) و (الصهيونى) مترادفين فعلياً. لكن الصهيونية، فى الواقع، كانت أساساً حركة تحرر لليهود الأوربيين (وهذا الأمر كما نعلم مشكوك فيه)، وبصورة أكثر دقة لتلك الأقلية الصغيرة من اليهود الأوربيين القاطنين بإسرائيل فعلاً، ومع أن الصهيونية تزعم أنها تقدم وطناً إلى جميع اليهود، فإن ذلك الوطن لم يقدم إلى الجميع على المستوى نفسه، فقد جئ باليهود الشرقيين فى البداية إلى فلسطين لأسباب صهيونية أوربية خاصة. ثم جرى التمييز بينهم بصورة منهجية، من قبل الصهيونية التى بذلت طاقاتها ومواردها المادية بصورة مميزة، لمصلحة اليهود الأوربيين الدائمة، وللأذى الدائم لليهود الشرقيين " (٢).

وتضيف " إيلا شوحط " قائلة: " بدأ التمييز العرقى ضد اليهود الشرقيين مع بداية استقرارهم. فلدى وصولهم إلى إسرائيل وزعت مجموعات متعددة منهم عبر البلاد، على الرغم من إرادة البقاء معاً. العائلات فرقت، والمجموعات القديمة فتتت، والقادة التقليديون جردوا من مناصبهم. واليهود الشرقيون أسكنوا فى الغالب، فى (معبروت)، أى معسكرات انتقال، وقرى نائية ومستوطنات زراعية، وفى ضواحى المدن، ومنها ما أفرغ حديثاً من الفلسطينيين " (٣).

وعن الوضع الاجتماعى الذى يعيشه هؤلاء اليهود السفارديم فى إسرائيل تقول إيلا شوحط: " ... وباعتبار اليهود الشرقيين قوة عاملة ورخيصة، ومتحركة، وقابلة للتلاعب بها، فقد كانوا ضروريين للتطور الاقتصادى لدولة إسرائيل، فأصبح الكثيرون منهم عمال بناء بأجور منخفضة. ثم أدت الأرباح العالمية، الناشئة عن الأجور المتدنية، إلى توسع سريع لشركات البناء التى يديرها اليهود الإشكنازيم أو يملكونها... وتكشف الوثائق المنشورة مؤخراً الحجم الذى كان فيه التمييز سياسة محسوبة ميزت، عن قصد، المهاجرين الأوربيين وأوجدت، أحياناً، أوضاعاً شاذة يكون فيها اليهود الشرقيون المتعلمون عمالاً غير مهرة بينما يحتل

---

(١) خالد عايد: اليهود الشرقيون فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص١٠٤).

(٢) ايلا حبيبة شوحط: اليهود الشرقيون فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص١٠٦).

(٣) نفس المرجع، (ص١٠٩).

الإشكنازيم الأقل تعلماً مواقع إدارية عالية " (١).

وتكشف لنا شوحط عن دخول النظام التعليمى فى إسرائيل القائم على الفصل وعدم المساواة، دائرة التمييز ضد اليهود السفاراديم، " فللأشكنازيم، على العموم، ثلاثة أعوام من التعليم أكثر مما للسفاراديم. وحضورهم فى المدارس العالية الأكاديمية يعادل ٢ر٤ ضعف، كما يبلغ خمسة أضعاف فى الجامعات " (٢).

ويؤكد أفيشاى مرجليت أيضاً على هذه الأوضاع التمييزية بقوله: " أربعة فى المائة فقط من اليهود المولودين فى إسرائيل من ذوى الأصول الشرقية يتجهون الآن إلى التعليم العالى، فى مقابل ١٥ فى المائة من اليهود المولودين فى إسرائيل من ذوى الأصول الإشكنازية " (٣).

وقد عبر يهوشواع، باعتباره من اليهود الشرقيين، فى رواية (مولخو) عن ذلك التفاوت الرهيب فى المعاملة من قبل الدولة لليهود الشرقيين، وعن نظرة المجتمع الإشكنازى لليهود الشرقيين على أنهم جيل مساعد ومكمل لهم، إذ يقول على لسان " مولخو " :

" إنني سفارادي قديم، جيل خامس في البلاد، وأوروبا مازالت غريبة عنا " (٤).

وإذا كان يهوشواع يؤكد على سفارادية " مولخو " ، طوال الرواية، فإنما يؤكد على سفارادیته هو، لا سيما أن بعض النقاد الإسرائيليين يشيرون إلي التشابه الكبير بين أوصاف " مولخو " الخارجية وأوصاف يهوشواع نفسه. وإذا كان " مولخو" قد فرضت عليه الثقافة الغربية، فإن يهوشواع أيضاً قد فرضت عليه الثقافة الغربية فى حياته الخاصة،على الرغم من أنه يعتز بسفاراديته. " لقد ذكر يهوشواع في أحد مقالاته أن أمه لم تكن تنتمى للسفاراديم القدامى فى القدس، مثل أبيه، بل هاجرت من المغرب إلى إسرائيل فى عام ١٩٣٢ (ولم تشعر تجاه الطائفة السفارادية بإحساس خاص). ولكنها رأت أن تزرع أبناءها بشكل عملى وعاطفى (فى قلب البلاد التى تعج بالعالم الصهيونى الإشكنازى). وهكذا أرسل يهوشواع وأخته إلي مدرسة (رحافيا) الثانوية،ولم يرسلا إلى المدرسة " تحكمونى " (مدرسة الطائفة السفارادية بالقدس).

---

(١) انظر: ايلا حبيبة شوحط: اليهود الشرقيون فى إسرائيل، نفس المرجع، (ص١١٠-١١١).

(٢) نفس المرجع، (ص ١١٣).

(٣) أفيشاى مرجليت: إسرائيل ى، مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت، العدد ٣٦، خريف ١٩٩٨، (ص١٢٩).

(٤) אברהם ב יהושע :מולכו, שם ,[עמ' 68

وقد ذكر يهوشواع فى العديد من اللقاءات التى أجريت معه، أنه لم يعر اهتماماً لهياج أبويه تجاه حنينه للاستيطان السفارادى القديم من العقد السابق (١٩٨٧ وما بعده) " (١).

ويفسر " أبراهام بلفان " الأسباب التى جعلت والدى يهوشواع يزرعانه داخل المجتمع الإشكنازى فيقول: " لاشك أن علاقة يهوشواع بأبيه نبعت أيضاً من ذلك الوضع المتدنى الذى عاش فيه السفاراديم داخل المجتمع الإسرائيلى وثقافته... وتحول التوتر القائم بين الأب والابن إلى موضوع رئيسي فى إنتاجات يهوشواع. كما أن يهوشواع لم يتماثل مع أسرته، ولم يكن أبداً منتمياً لذلك العالم الإشكنازى " (٢). وهو ما يؤكد عليه يهوشواع طوال الرواية على لسان " مولخو " قائلاً: אני מזרחי (٣) (إننى شرقى).

وقد كشف يهوشواع فى هذه الرواية أيضاً عن ذلك الوضع المتدهور الذى يعيش فيه الإسرائيليون الشرقيون وعدم اهتمام الدولة بهم، وبدا هذا واضحاً فى الزيارة التى قام بها " مولخو" إلى منطقة (زروعا) بالجليل، وهى منطقة يعيش فيها يهود شرقيون ترجع أصولهم إلى الهند وتونس وجنوب أفريقيا، ويعمل أفرادها فى الزراعة، بينما يعمل نساؤها فى إصلاح الأحذية، وهو وضع لم يشعر به الإشكنازيم:

" أخذ " مولخو" يفكر فى داخله، إنهم بشر وكذلك إسرائيليون، تدحرجوا إلى هنا فى أقصى العالم، ونحن لا نشعر بهم، وحتى التليفزيون لا يظهرهم " ( ).

وهكذا، يعكس لنا يهوشواع حقيقة المناطق التى يعيش بها اليهود الشرقيون فى إسرائيل، والإهمال الواضح من قبل الحكومة الإسرائيلية تجاه هذه الأماكن التى يعيشون بها وهى حقيقة يؤكد عليها شلومو بن عامي، الذى عاش هذه التجربة بنفسه فى أثناء هجرته مع أبويه فى الخمسينيات من المغرب إلى إسرائيل، حيث يقول: " .. وفى الطريق مررنا بكل تلك المستوطنات التى كانت قائمة فى مرج ابن عامر، وفى كل مرة كنا نقول لأنفسنا، ها قد وصلنا مؤكد هنا، مؤكد هنا فى هذا (الموشاف) الجميل، فى هذا الكيبوتس حيث كانت المرشات تروى العشب الأخضر. وعندها وصلنا إلى مكان، هو لا مكان. هو لا شيء، معسكر من الخيام، كان يدعى (معبرات مانسى). لم يكن هناك صنابير للمياه. وقد أدرك الناس فوراً، أنهم ضللوا وأنهم

---

(١) אברהם בלבן :מר מולכו،שם،[עמ' 7]

(٢) שם،[עמ' 8]

(٣) אברהם ב יהושע :מולכו، שם ،[עמ' 28]

(٤) שם ،[עמ' 148]

كانوا ضحية عملية خداع، إذ إن أحداً لم يقل لنا إننا سنقيم هنا بخيام، فى شبه لا مكان كهذا. لقد كان إحساساً فظيعاً بالانكسار. وبكت النساء، وشرعن فى العويل كأنهن فى مأتم وقام بعضهن بمهاجمة أزواجهن، ضربنهم وصرخن فى وجوههم: إلى أين أتيتم بنا، إلى أين ؟ كان المشهد يمزق القلوب. وببساطة أقول،إنه أمر كان مأساوياً " (١).

ويؤكد يهوشواع كذلك على تلك النظرة الفوقية التى ينظر بها اليهود الإشكنازيم تجاه السفاراديم، فالأعمال الحقيرة من نصيب السفاراديم فقط، فهم هنا فى إسرائيل لخدمة الإشكنازيم:

" لقد عثروا على شيال، قال " مولخو" فى نفسه، واختاروا حمالاً سفاراديا.

وواصل مرارته بإحساس بالظلم غير ملموس، وانتبه إلى أن الروسية الصغيرة لم تبذل أى جهد لتأتى بالعربة "( ).

ولم يقف الوضع المتدهور لليهود السفاراديم داخل إسرائيل عند هذا الحد، بل تعدى الأمر إلى امتيازات أخرى يتمتع بها الإشكنازيم دون السفاراديم فى دولة ترفع شعار الصهيونية المشهور (بوتقة الصهر)؛ فيقول " مولخو" فى حديثه عن نفسه وعن مجتمع اليهود السفاراديم:

" إنه لم يحظ أبداً بمهمة خارج البلاد على حساب الدولة، اعترف بمرارة، إننا أيضاً لم نحظ بمثل هذا أبداً " .

ولم يكن بمقدور هؤلاء اليهود السفاراديم فعل شىء تجاه هذا الوضع سوى مسيرات الاحتجاج:

" لقد بدأ الإثيوبيون السود، ممن هاجروا منذ فترة ليست ببعيدة إلى إسرائيل، فى مسيرات احتجاج على طول الطرق الرئيسية " .

ومن هنا وقعت الصهيونية، كما حاول أن يؤكد يهوشواع، فى خطأ جسيم بتلك النظرة السطحية لهؤلاء اليهود الشرقيين، فقد كانت تنظر إليهم نظرة فوقية، وترى أنهم يفتقرون إلى

---

(١) آرى شفيط: لقاء مع عضو الكنيست شلومو بن عامى، مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت، العدد ٣٦، خريف ١٩٩٨، (ص١٤٣).

(٢) אברהם ב יהושע :מולכו، שם ,[עמ' 272

(٣) שם,[עמ' 68

(٤) שם,[עמ' 186

أيديولوجية وأنهم خطر على الدولة، تماماً مثلما كانت تنظر زوجة " مولخو " إليه:

" لم تعر حديثه اهتماماً ، وعدت ذلك دليلاً على افتقاره للأيديولوجية وعلى سذاجته السفارادية الخطيرة التى ستكون نهايتها كارثة سياسية "( ).

ويؤكد يهوشواع، على لسان " مولخو" ، على أن الصهيونية أصابها العطب وأنها فى طريقها إلى الزوال، ليبقى فى النهاية العنصر الشرقى:

" إنها الآن تتعفن فى بطء، فهى فى طريقها للزوال. أما هو، وحيداً فكان يجلس جلسة شرقية مريحة فى أعماق الوادى أمام شلال رائع " .

وهكذا، يجسد " مولخو" تلك الفجوة العميقة بين الإشكنازيم والسفاراديم داخل المجتمع الإسرائيلى، التى لم تتوقف عند حد التمييز الطائفى، بل امتدت إلى كراهية الإشكنازيم للسفاراديم؛ " إذ ينظرون إليهم باعتبارهم إسفين الحضارة العربية المتخلفة المزروع داخل المجتمع الإسرائيلى، ويرون أن هذا الأمر يهدد أساس الوجود الإسرائيلى كدولة تعد امتداداً طبيعياً للحضارة الغربية " (٣).

" إن الفجوة بين اليهود الشرقيين والغربيين ليست طبقية اجتماعية بالمعنى المألوف، وإنما هى جزء من طبيعة المجتمع الصهيونى الاستيطاني الإحلالية، باعتباره مبنياً على اغتصاب الأرض، وطرد سكانها، واستيراد عنصر بشرى يهودى شرقى فقير، عليه أن يبقى كذلك حتى يظل قاعدة الهرم، ولذا يمكن القول، إن أزمة اليهود الشرقيين هى عن حق، بؤرة الأزمة الأيديولوجية الصهيونية (٤). ودليل قاطع على تحطم بوتقة صهرها، وإخفاق جديد ينضم إلى قائمة إخفاقات الصهيونية على أرض الواقع.

(١) אברהם ב יהושע :מולכו, שם ,[עמ' 166

(٢) שם

(٣) د.رشاد عبدالله الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص ٩٧).

(٤) د.عبدالوهاب المسيرى: الأيديولوجية الصهيونية،مرجع سابق، (ص ١٩٤).

## (٣) النزوح عن المجتمع الإسرائيلى:

كان النزوح عن المجتمع الإسرائيلى وتفضيل الشتات على العيش فيه، أمراً يحلو لعدد غفير من اليهود، وإذا كان هؤلاء اليهود الذين يعيشون خارجها يفكرون فى أمر إسرائيل فإنهم يترددون فى الهجرة إليها، نظراً للتناحر بين طبقاته من جهة، والوضع الأمنى فيها من جهة أخرى.

" وتعطينا الإحصائيات الإسرائيلية الرسمية فكرة واضحة عن عدد الذين هاجروا من إسرائيل؛ ففى الفترة المحصورة بين ١٩٤٨ ١٩٨٦ بلغ عدد النازحين من إسرائيل ١٢٩ ألف نسمة. وتشير إحصائيات المكتب المركزى فى إسرائيل إلى أن عدد الذين غادروا إسرائيل منذ ١٩٤٨ إلى ١٩٧٠ وصل إلى ٢٠٠ ألف يهودى " (١). كما وصل عدد الإسرائيليين النازحين من إسرائيل فى عام ٢٠٠٢، حسب آخر الإحصائيات الواردة من إسرائيل، إلى ١٨ ألف نسمة، وذلك بسبب الوضع الأمنى الذى خلّفته الانتفاضة الفلسطينية والعمليات الاستشهادية التى يقوم بها النشطاء الفلسطينيون رداً على العمليات العسكرية الإسرائيلية التى تنفذها قوات الاحتلال الإسرائيلى فى الأراضى الفلسطينية المحتلة(٢)،بالإضافة إلى الوضع الطبقى داخل المجتمع الإسرائيلى.

وقد عبر يهوشواع عن مسألة النزوح عن إسرائيل وتأصل الشتات فى النفس اليهودية من خلال شخصيه" نينا" ؛ تلك المهاجرة الروسية التى لم يمض على إقامتها فى إسرائيل سوى تسعه أشهر فقط، لم تتأقلم خلالها على الحياة فى إسرائيل، وأصرت على العودة إلى وطنها الأم روسيا.

ولكون الشتات طبيعة متأصلة فى النفس اليهودية، كما يقول يهوشواع فقد جاءت معظم شخصيات هذه الرواية لتتفق مع مبدأ العودة إلى الوطن الأم، وساعد الجميع هذه الفتاة على العودة إلى وطنها؛ لتنجح فى النهاية، معبرة عن ذلك الواقع المؤلم الذى يعيشه المجتمع الإسرائيلي، ومعبرة عن تحطيم مبدأ (عدم العودة إلى بلاد الشتات) الذى أقرته الصهيونية.

" فقد كان للصهيونية مبدأ مقدس وهو: عدم العودة أبداً إلى بلاد الشتات. حيث كانت

---

(١) د. محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية وعلاقتها بالتراث الدينى اليهودى، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة سلسلة الدراسات الدينيةوالتاريخية،القاهرة، ١٩٧٩ ، ص (١٩).

(٢) انظر: صحيفة الرياض السعودية، ٢٩-١-٢٠٠٣.

تعبر فى أيديولوجيتها عن ذلك المبدأ فى التخلص من (خطأ الشتات). ويكمن مركز الثقل فى هذه الرواية، فى أنه من أجل الحياة، ومن أجل استمرارية قيام الدولة كدولة طبيعية، لابد وأن تقاد طبقاً للإمكانيات الواقعية، ومن أجل كل ذلك يجب تحطيم هذا (المبدأ) واستغلال نتيجة تحطيمه، أولاً ضد هذه الأيديولوجية نفسها، ثم يتم بعد ذلك استبعادها عن الدولة " (١).

إن يهوشواع ينظر للشتات نظرة خاصة، ويؤكد دائما على أنه حالة متأصلة فى النفس اليهودية، يشتاق إليها كلما ابتعد عنها:

" بدأ يشتاق للأيام الماضية، وملأت الأشواق قلبه بحرارة. لأن كل شئ انتهى الآن ورفع ديكور المسرح، وترك جمهورالأصدقاء القاعة، وتحول المسرح إلى كومة من الأخشاب، وبدا الزمن أمامه خرباً ومرهقاً " .

وهكذا، حاول يهوشواع على لسان القاص، فى الرواية، أن يفرق عن طريق الرمز بين الشتات وبين الواقع الذى يعيشه الفرد فى إسرائيل (كل شيء انتهى الآن)، بينما يبدو المستقبل خرباً مرهقاً. ويقول يهوشواع عن تأصل الشتات فى النفس اليهودية: " على الرغم من أن الشتات وضع مذل ودنئ ولم يأخذ أبداً شرعية حقيقية مثل أى وضع قائم فإنه يعد من المبادئ الأساسية للغاية التى تشكل جوهر الشعب اليهودى، فهو يتواجد فى النويات والذرات التى تبنى هويتنا النفسية والوجودية. وهو جزء منظم من أساطيرنا القومية. فضلاً عن أنه ليس حاله عابرة بل هو حالة داخلية اختارها الشعب ويشتاق إليها دائماً " (٣).

ومن هنا كان النزوح عن إسرائيل وتفضيل الشتات على العيش فيها، أمراً يحلو لعدد غفير من اليهود، وإذا كان هؤلاء اليهود الذين يعيشون خارجها يفكرون فى أمر إسرائيل فإنهم يترددون فى الهجرة إليها. ويكشف عن هذا الأمر، ذلك الحوار الذى دار بين " مولخو" ، وهو فى باريس مع أحد أصدقائه الأطباء الذى يبين لنا نظرة اليهود الذين يعيشون خارج الدولة:

" بحثوا هناك معه حال الدولة وآمالها بصفة عامة، وكان الطبيب يكرر بنوع من الغضب غير الواضح سؤالاً هو، هل تريدون الانتحار فى النهاية " ).

(١) יוסף אורן :הציונות והצבריות ברומן הישראלי,שם [עמ'31]

(٢) אברהם ב יהושע :מולכו, שם ,[עמ'48

(٣) א.:ב יהושע :בזכות הנורמליות,שם ,[עמ'41 )

(٤) אברהם ב יהושע :מולכו, שם ,[עמ'80

وتتكرر مشاهد النزوح فى الرواية:

" كانت تلك أسرة شرقية، عالية الصوت إلى حد ما، تحمل معها الكثير من الحقائب والصناديق. فهل هؤلاء نازحون ؟ " ).

وهكذا، يؤكد يهوشواع على فكرة النزوح عن إسرائيل فى إشارة إلى ما يواجهه المهاجر اليهودى من مشكلات داخلية تجعله يفر وينزح عن المجتمع الإسرائيلى عائداً إلى وطنه الأم الذى عاش فيه وتربى على تقاليده. ويتضح موقف يهوشواع من الشتات بصورة واضحة ومباشرة، فإذا كانت الصهيونية قد هدفت إلى إقامة وطن أو ملجأ آمن للجماعات اليهودية ونجحت فى ذلك، فإن المشكلة الكبرى التى واجهتها هى عدم مجيء معظم هؤلاء اليهود من بلاد الشتات، مما يثبت فشل الصهيونية. ويفند يهوشواع تلك المسألة بقوله: " هناك ضرورة لأن نصف بدقة مواقف الصهيونية وأهدافها. فأنا أرى أن الصهيونية تعنى إقامة ملجأ آمن لليهود وليس بالضبط العودة إلى الوطن القديم لقد تسلل الإحباط إلى عدد كبير من اليهود بعد وعد بلفور، بعد أن رفض عدد كبير من اليهود المجيء إلى فلسطين على الرغم من قدرتهم على الهجرة إن الأسطورة القومية، وشعارات الوطن القديم، وإسرائيل الكبرى، وأرض الأباء، كل هذا لم يأت لنا بكثير من اليهود، فلولا الحاجة الملحة فى إيجاد ملجأ يقى اليهود من المحرقة* لما جاء هنا شخص واحد ولهذا فإننى لا أؤمن بالحق التاريخى لليهود فى أرض فلسطين كمبرر وحيد للصهيونية " (٢).

وعلى الرغم من أن الصهيونية أرست مبدأ عدم العودة إلى بلاد الشتات مرة أخرى، إلا أن " مولخو" فى هذه الرواية يحطم هذا المبدأ ويتحرر منه:

" أخذ يفكر فى زوجته تلك التى أرست مبدأ أنها لن تدخل إلى ألمانيا أبداً، وبقدر ما كان يحترم مبادءها فى حياتها، بقدر ما حرره موتها " .

لقد كان إيمان يهوشواع بالطبيعية، طبيعية وجود الإنسان فى بيئته ومكانه الحقيقى،

---

(١) אברהם ב יהושע :מולכו، שם ،[עמ'85

(●) المحرقة: من المصطلحات التى تطلق فى الفكر الصهيونى على(أحداث النازى)، التى أباد فيها هتلر عددا من اليهود فى أفران الغاز. وحول هذه الأحداث يدور سجال واسع بين النقاد والمفكرين بشأن عدد هؤلاء اليهود الذين أبيدوا، والأسباب التى أدت إلى هذه الأحداث.

(٢) אהוד בן עזר: אין שאננים בציון،שם،[עמ'100-101]

(٣) אברהם ב יהושע :מולכו، שם ،[עמ'102

سبباً فى بلورة قضية النزوح عن إسرائيل عبر فتاة تبلغ من العمر ٣٢ عاماً قررت وأصرت على العودة إلى وطنها بعد أن فشلت فى التأقلم مع مجتمع هذه الدولة، وهو ما يبين لنا فشل الصهيونية فى صهر اليهود المشتتين داخل إسرائيل فى بوتقة واحدة:

" لقد ميّز على الفور ابنة هذه العجوز الروسية، تلك التى تخلق المتاعب، ولا تريد التأقلم فى مركز الاستيعاب وترغب فى العودة إلى الاتحاد السوفييتى " (١).

ويصور لنا يهوشواع نفسية هذه الفتاة التى لم تعد تطيق العيش فى إسرائيل فحسب، بل إنها لم تتعلم العبرية لغة الدولة، وهو واقع مرير يبين لنا كيف أن فتاة يهودية لا ترغب فى معرفة العبرية، كتعبير عن رفضها للاندماج فى الواقع الثقافى والاجتماعى للدولة:

" إنها لا تكاد تعرف العبرية تقريباً،ولا كذلك الإنجليزية أوالفرنسية، وهى تتمتم فقط بكلمات غريبة، وتسخر من نفسها، روحها عالية للغاية، وقد بدت لها السماء عبر النافذة المفتوحة زرقاء للغاية " (٢).

" لم يكن لديها استعداد للنطق بكلمة عبرية واحدة " (٣).

ولم يكن هذا فحسب، بل إنها تريد التخلى عن الجنسية الإسرائيلية، فقد كانت تحمل معها استمارة التنازل عن الجنسية الإسرائيلية ضمن الاستمارات ى:

" كانت هناك استمارة للحصول على جواز سفر، وأخرى للتخلى عن الجنسية الإسرائيلية" (٤).

وهكذا، اصطدمت تلك الفتاة بالواقع الحقيقى الذى خلّفته الصهيونية ولم تستطع التأقلم مع أقرانها. وحاول يهوشواع التأكيد على حقها فى العودة إلى وطنها الأم من خلال وصفه لها وهى تحمل كل أوراقها بوزارة الداخلية التى يعمل بها " مولخو" ، ومن خلال مصاحبة أمها وأم زوجته (زوجة " مولخو " المتوفاة) لها وهى تتنقل من مكان لآخر، ومن خلال مساعدة " مولخو" لها فى استكمال أوراقها. لأنه كان مؤمناً بحقها فى العودة وإصرارها عليها:

---

(١) אברהם ב יהושע :מולכו, שם ,[עמ' 179

(٢) שם

(٣) אברהם ב יהושע :מולכו, שם ,[עמ' 257

(٤) שם

" .. وقال دون تذمر أو نقد، إننى أرى أنها بالفعل مصرة على العودة إلى هناك "

" عاد من هناك وهو يحمل استمارات أخرى، وأجلس النساء الثلاث من حوله لكى ينجز لهن كل شيء بسرعة، ويجعل الموظفين يختمون الاستمارات قبل الذهاب إلى بيوتهم"

وتعد مساعدة " مولخو" لهن بهذه الهمة،بمثابة موافقة ضمنية منه على النزوح عن إسرائيل، كما أن أم زوجته تلقى عليه بمهمة، " اتضح بعد ذلك أنها مهمة غريبة للغاية: وهى إعادة " " نينا" " المهاجرة الجديدة من أوربا (وبالتحديد: من روسيا التى وصل منها القائمون على الصهيونية) إلى المكان الذي هاجرت منه إلى هنا " (٣)، كما أن" وطنها هو ذلك المكان الذي تشعر فيه بأنه وطنها،روسيا بالطبع،وهو ذلك المكان الذي تشعر فيه بالحب... فالوطن خيار وليس نزعة مقحمة " (٤).

ويرى أبراهام بلفان أن مساعدة " مولخو " لتلك الفتاة، ربما يعنى تحرره نهائياً من زوجته، وربما يعنى أيضاً إعادة زوجته المتوفاة إلى وطنها الأم، وبخاصة أنه يعيدها عن طريق برلين الموطن الأصلى للفقيدة، حيث يقول: " لقد شعر " مولخو " أنه بعودة تلك اليهودية الروسية إلى وطنها عن طريق برلين، إنما هو يعيد زوجته إلى وطنها ويتحرر منها نهائياً. فلم يعنيه أن يقيم معها أية علاقة عاطفية أو جنسية، بقدر ما كان يعنيه مصلحته النفسية الواضحة فى الانفصال عنها " (٥).

وبالإضافة إلى هذا، فإن موافقة " مولخو " وتطوعه لمصاحبة هذه الفتاة فى رحلة العودة إلى وطنها، هى محاولة لنفض غبار العقليات الإشكنازية التى تعلق بها. أضف إلى ذلك مساعدة وموافقة كل من أمها وأم زوجته على هذه العودة؛ وهو ما يؤكد عليه " أبرا هام بلفان " بقوله: " وهكذا،عندما تمكن " مولخو" من مساعدة " نينا " في العودة إلى وطنها، كما لو أنه (ينزح) تلك الفتاة إلى مكانها الحقيقى. وهو بذلك يعيد زوجته إلى وطنها وينفض عنه حملاً ثقيلاً علاوة على أنه لم يعرف الدوافع الحقيقية وراء مساعدته التطوعية لـ" نينا" ، ولكنه كان يدرك تماماً

---

(١) אברהם ב יהושע :מולכו, שם ,[עמ' 257

(٢) שם

(٣) יוסף אורן :הציונות והצבריות ברומן הישראלי,שם [עמ' 31]

(٤) שרית פוקס : מחול המוות, עיתון 77,גליון 87,אפריל,ישראל,1987[עמ' 21].

(٥) אברהם בלבן : מר מולכו ,עיון ברומנים של א ב יהושע מולכו ומר מאני הוצאת הקיבוץ המאוחד ,תל אביב,1992 ,[עמ' 99]

ضـرورة عودة زوجتـه إلى الـوطن الذى تربت فيه قبـل هـروبها من برلين " (١). إنه لـم يستطع إعادة زوجته قبل وفاتها بحكم سيطرتها عليه، ولكنه الآن يعيد تلك الفتاة بعد أن ظلـت حائرة تسعة أشهر فى إسرائيل:

" لقد ظلت هنا تسعة أشهر تقريباً، ومازالت حائرة " .

وقد قامت أم الزوجة المتوفاة بدورها، وأنفقت على رحلة العودة من مالها الخاص، وهو دليل على اقتناعها التام بموقف هذه الفتاة بحتمية العودة إلى وطنهـا الحقيقـى، ودليـل علـى اعترافها بفشل عودة الشتات اليهودى إلى إسرائيل كما كانت تهدف الصهيونية:

" أعطت العجوز له ثمانمائة دولار لتغطية نفقات هذه الرحلة " .

ويمكن القول، إن تحطم بوتقة الانصهار يبرز هنا فى هذه الرواية فى صـورة سـاخرة جاء بها يهوشواع بنفسه، ويتضح ذلك خلال ذلك الموقف الذى يتحدث فيـه إسـرائيليان بلغـة الإشارة، حيث إن عدم معرفة " نينا" للغة العبرية، جعلت " مولخو " يتحدث معها طوال رحلتـه بلغة الإشارة. إنها بلا شك سخرية وإشارة للواقع الذى تعيشه إسـرائيل، فأبنـاء مجتمعهـا لا يتحدثون لغة واحدة، وتصبح لغة الإشارات أحياناً هى المحك الرئيسى عندما يتطلـب الموقـف ذلك، وهو ما يعكس الفشل الذريع للصهيونية التى تحدثت كثيراً وبمبالغة كبيـرة عـن الـوطن القومى اليهودى كبوتقة صهر ليهود العالم :

" شرح لها، بلغة الإشارة، هامساً كيف تستخدم الصنابير المختلفة " .

وكان لعدم وجود لغة مشتركة بينهما، وهما إسرائيليان، مشكلة كبيـرة بالنسـبة لــ" مولخو" ؛ فهو لا يعرف الروسية، وهى لا تعرف العبرية، حتى إننـا نجـده يسـتعين بموظـف الاستقبال بالفندق لترجمة ما يريده لها، ويحاول استعارة قاموس عبـرى روسـى. وكانـت صعوبة الحديث بينهما سبباً فى اختفائها عدة مرات دون أن يعرف لها طريقاً:

" اتجه إلى الموظف وسأله عن إمكانية أن يستعير قاموساً عبريا روسيا لقد اختفت دون أن أعرف طريقها، فاليوم اختفت وأنا فى صالون الحلاقة حتى وجدتها واتجـه إليهـا

(١) אברהם בלבן : מר מולכו שם,[עמ' 103-104]

(٢) אברהם ב יהושע :מולכו, שם ,[עמ' 272

(٣) שם,[עמ' 275

(٤) שם,[עמ' 276

الموظف وترجم لها كلام " مولخو " .

ولم تعرف هذه الفتاة خلال فترة وجودها فى إسرائيل سوى كلمة واحدة فقط بالعبرية هى كلمة גרוע (سيئ) مما أدهش" مولخو" لمعرفتها بهذه الكلمة. إنها لم تستطع أن تتعلم من العبرية سوى هذه الكلمة، ربما لتعبر عن سخطها على المجتمع الإسرائيلى، ذلك الواقع الذى زرعت فيه عن دون رغبة:

" لقد فاجأته بكلمة لم يتصور أنها تعرفها وهى كلمة سيئ، قالتها بابتسامة باهتة، سيء للغاية " .

أضف إلى ذلك، أنها لم تشعر بالإسرائيليين كأبناء لوطنها، بل إن الروس فقط هم أبناء وطنها الأم، وهو ما يتضح من شعورها فى أثناء دخولها لمطعم مقابل للسفارة الروسية فى فيينا، كان يمتلئ بالموظفين الروس:

" امتلأ وجهها حماساً، لقد هزها ذلك المنظر الذى يجمع أبناء وطنها وهم يحيطون بها"(٣).

وقد بذل " مولخو " قصارى جهده خلال رحلة العودة لهذه الفتاة من أجل إعادتها إلى وطنها، ولم يتردد لحظة فى مساعدتها، بل كان يتدخل فى الحديث بينها وبين موظفي السفارة فى فيينا حتى لا يجبرها أحد على العودة إلى إسرائيل مرة أخرى:

" ولكن " مولخو " لم ييأس، فقد خاف من نجاح ذلك الموظف الواثق من نفسه للغاية، فى إثناءها عن ذلك. فعاد قائلاً، إنها تريد العودة إلى وطنها،فقد جربت العيش فى إسرائيل لمدة تسعة أشهر ولم تنجح التجربة " .

لقد كان إيمانه بفكرة العودة وفشل بوتقة الانصهار دافعاً قوياً لمصاحبة هذه الفتاة فى رحلة عودتها إلى وطنها دون مقابل:

" تراجع مولخو فجأة، إننى أجادل بلا طائل، إذ إنه صادق، وأنا أعكس قلقى وخوفى

---

(١) אברהם ב יהושע :מולכו, שם ,[עמ' 290

(٢) שם ,[עמ' 292

(٣) שם ,[עמ' 293

(٤) שם ,[עמ' 286

عليها أيضاً بلا طائل " (١).

ويعلق أبرا هام بلفان على مساعدة " مولخو " لتلك الفتاة الروسية بقوله: " إن المساعدة التطوعية التى يقوم بها " مولخو" لتلك الفتاة التى ترغب فى النزوح عن إسرائيل، تبرز عدة نقاط أخرى فى عالمه. فيبين لنا موقفه هذا رأيه فى النزوح. وفى مقابل زوجته التى تنقد بمرارة كل ما يحدث فى إسرائيل، فهو يشعر بأن إسرائيل هى وطنه. ولم يشعر أنه نبت غريب فى هذا المكان، بل إنه يقبل الحياة فى إسرائيل قبولاً طبيعياً؛ لأنه ولد فيها، وتأصله هذا يمنحه الثقة فى التعامل بسماحة مع كل من لا يشعر بإسرائيل كوطن... ولكنه يبذل كل ما فى وسعه من أجل مساعدة هذه الفتاة فى عودتها إلى وطنها روسيا. كما أن موقفه من النزوح يبين لنا نقطة أخرى تتعلق بزوجته أيضاً، ففى مقابل زوجته التى تؤمن بالمبادئ وتحاول التمسك بها، فإن " مولخو" يؤمن بالحياة والبشر الذين على قيد الحياة، وبضرورة الاستجابة لتطلعاتهم، والتقليل من آلامهم " (٢).

وربما يعكس ذلك موقف يهوشواع الحقيقى من موضوع (النزوح) أو الشتات فهو يقول: " إن أبراهام أبا الأمة ولد خارج فلسطين، وقد دعاه الرب أن يترك وطنه وبيت آبائه ليصل إلى أرض جديدة اختارها له الرب... لذا فإن مفهوم (نازح) ولد فى قصة أبراهام (إبراهيم). فاليهودى الأول هو المهاجر الأول والنازح الأول على حد سواء. وكذلك، فإن اليهودى، أى يهودى، يحمل فى داخله حالتين هما الهجرة والنزوح على طول التاريخ " (٣).

لقد عمد يهوشواع أيضاً إلى الإشارة فى هذه الرواية إلى افتقاد الصهيونية للبعد الإنسانى فى حركتها، حيث هدفت فقط إلى جمع شتات اليهود فى إسرائيل دون أن تدرك ما يشعر به الفرد المهاجر من وطنه إلى وطن آخر. ويبدو ذلك فى إشارة يهوشواع إلى الموظفين البيروقراطيين الذين لم يستطعوا فهم هذه الفتاة، ومعنى رغبتها فى العودة إلى وطنها، لدرجة أنهم يعرضون عليها الهجرة إلى كندا أو أمريكا:

" إن البيروقراطيين لديهم غير مستعدين لاستيعاب مثل هذه العائدة.. ولكن لماذا يجب أن تعود إلى وطنها، فلتسافر إلى أمريكا أو كندا " .

---

(١) אברהם ב יהושע :מולכו, שם ,[עמ' 287

(٢) אברהם בלבן :מר מולכו,שם,[עמ' 122-123]

(٣) ב יהושע :בזכות הנורמליות,שם ,[עמ' 31

(٤) אברהם ב יהושע :מולכו, שם,[עמ' 288

كما حاول يهوشواع السخرية من شعارات الصهيونية على لسان " مولخو" ، فهو يشير بصورة رمزية إلى عدم تكيف هذه الفتاة للعيش فى إسرائيل، باعتبار أنه مجتمع لم تتعود عليه، يجتمع فيه الشتات اليهـــودى دون رابط بينهم، فهم يختلفـــون فى الطباع والعادات واللغــة والجنس، وغير ذلك. فها هــــو" مولخو " يصـــرخ فى موظف الســـفارة وهو يســخر مــن شـــعار (المصير المشترك) الذى روجت له الصهيونية:

" كان من الصعب عليها تحمل حرارة الجو فى إسرائـــيل، حاول" مولخو" أن يفسر الأمر. لقد تعرضت لصيف قاس هذا العام... فلتنظر إليها، بأى مفهوم يمكن أن تكون يهوديـــة ؟ هــل بالمفهوم البيولوجى ؟ إنه لأمر مضحك. وضحك " مولخو" دون أن يعى ما الذى يضحكه وواصل حديثه، لا تتحدث معى الآن عن المصير المشترك، فما معنى المصير المشترك ؟ وتحمس " مولخو" قائلاً... لا يوجد مصير مشترك " (١).

وهكذا اكتملت حلقة اقتناع" مولخو" بإعادة هذه الفتاة إلى بلدها، وكان إصراره على ذلك يقابله إصرار من " نينا " نفسها. لقد حملت معها فى هذه الرحلة الشاقة، من إسرائيل إلى فيينـــا إلى برلين إلى روسيا فى النهاية صندوقاً كبيراً ضخماً وضعت فيه كل أمتعتها، على الرغم ممـــا كان يسببه لهما من مشكلات فى أثناء الرحلة:

" تضافرت قواهما لرفع الحقيبة على الرف الذى يعلو مقاعدهما " .

وعلى مدار الرحلة كلها بالغ يهوشواع كثيراً فى حجم هذه الحقيبة، ربما كـــان يريـــد أن يبين لنا مدى إصرارها على عدم العودة إلى إسرائيل،لاسيما وقد حملت معها ملابسها الخاصـــة بكل فصول السنة، الخريف والشتاء والربيع والصيف:

" وكما هو متوقع، لم يكن فى الحقيبة شىء غريب، فقط ملابس امرأة شتوية، وخريفية وصيفية، وربيعية " .

" تضافرت قواهما وجذبا الحقيبة إلى المصعد، ومن هناك حملاها محدثين ضجيجاً إلـــى

---

(١) אברהם ב יהושע :מולכו, שם ,[עמ' 288

(٢) שם,[עמ' 302

(٣) שם,[עמ' 336

المطبخ " (١).

وهكذا، يتبين إصرارها على مدار الرحلة، منذ البداية أنها سوف تـنجح فـى النهايـة. وبالفعل تنجح " نينا" تلك الفـتاة النازحة، كما أطلق عليها " مولخو" ، فى العودة إلـى وطنهـا روسيا:

- " نازحته الصغيرة، كما عاد وأطلق عليها فى داخله " (٢).
- " لقد سيطرت عليها الرغبة فى العودة إلى وطنها " (٣).
- اتصلت " نينا" من شرق برلين لتبلغه بأن الأمور تسير بإيجاب ولا داعى للقلق، لأنهم قبلوها " (٤).

وهكذا، تنجح تلك الفتاة فى العودة إلى وطنها بعد رحلة شاقة أمضـتها بـين مـوظفى السفارات فى فيينا وبرلين ومنها إلى روسيا التى أجرت منها مكالمة تليفونية مـع أم زوجتـه لتبلغها بهذا النجاح:

" اتضح أن الفتاة اتصلت بها فى الظهيرة من الاتحاد السوفيتى وحكت لهـا عـن كـل شىء " (٥).

ولم يكن هذا فقط انتصاراً لها ضد مبدأ عدم العودة إلى بـلاد الشـتات الـذى أرسـته الصهيونية، بل كان أيضاً انتصاراً ونجاحاً لمولخو الذى ساعدها وسافر معها وطار فرحاً بعودتها إلى وطنها وبنجاحه فى المهمة التى بعثته فيها أم زوجته:

" لقد أرسلته فى مهمة قصيرة ونجح فى تنفيذها، وهو الآن فى شوق لأن يوضح لها،إلى أى مدى كان هذا نجاحا غير متوقع " (٦).

ويمكن القول، إن يهوشواع قد بيّن لنا كيف تحطمت بوتقة الانصهار عبر النـزوح عـن إسرائيل والرجوع إلى الوطن الحقيقى، وكيف تحطمت إحدى مبادئ الصهيونية بعدم العودة إلـى

---

(١) אברהם ב יהושע :מולכו, שם ,[עמ' 336
(٢) שם,[עמ' 307
(٣) שם,[עמ' 312
(٤) שם,[עמ' 335
(٥) שם,[עמ' 345
(٦) שם,[עמ' 340

بلاد الشتات مرة أخرى، وكيف فشلت الصهيونية فى صهر جموع اليهود داخل إسرائيل. ونجح " يهوشواع" إلى حد كبير فى التعبير عن هذا الفشل الذى حالف الصهيونية بتأييد معظم شخصيات الرواية لهذا النزوح فى تأكيد منهم على جدية العودة، وعدم جدوى العيش فى إسرائيل، بعدما تفاقمت المشكلات وتعرت الحقيقة. وهى حقيقة يؤكد عليها الناقد الإسرائيلى أبرا هام بلفان بقوله: " أبلغت والدة مولخو، هى ى، ابنها فى رغبتها أن يصاحب نينا فى رحلتها إلى فيينا، حيث إنها لم تتأقلم مع الوضع فى إسرائيل، ولديها رغبة جامحة فى العودة إلى وطنها. وبذل مولخو مجهوداً كبيراً فى إنهاء هذه المهمة بنجاح، ربما لخوفه من أن يدفعوه للزواج منها إذا بقيت فى إسرائيل " (١).

ويوضح لنا بلفان اتفاق " نينا" مع زوجة" مولخو" المتوفاة فى نقدهما للمجتمع الإسرائيلى، إلا أن " نينا" تنجح فى النزوح من إسرائيل بعكس زوجة مولخوالتى اكتفت بالنقد والتجريح: " هناك نقطة اتصال بينهما، وهى النقد اللاذع ضد إسرائيل. فقد كانت زوجة" مولخو " تنتقد إسرائيل بصورة مستمرة، بينما لم تكتف " نينا" بالنقد بل أقدمت على النزوح وتركت البلاد، لقد عبرت عن حريتها فى إصرارها على العودة إلى موطنها الأصلى " (٢).

وهذا الموقف يتفق مع نظرة يهوشواع إلى الشتات على أنه مصير حتمى لليهود منذ نشأتهم على وجه الأرض، حيث يقول: " لقد خلق اليهود فى الشتات. فهل هذه حقيقة أدركناها جيداً بكامل معناها ؟ إن الشعب اليهودى لم يخلق فى بلاده. والعلاقة الجوهرية والأولية بين الشعب والوطن لم تكن طبيعية بالنسبة لليهود. لقد تم إعدادنا كشعب فى الشتات، وتغلغل الشتات داخل تكويننا. وأضف إلى ذلك، أن التوراة نزلت على هذا الشعب فى البرية وليست فى فلسطين " (٣).

وهكذا، حاول يهوشواع أن يبين لنا أسباب فشل الصهيونية فى تجميع اليهود داخل إسرائيل. فالقوى الوراثية لدى اليهود بالنسبة للشتات أكبر من أن تتجاهلها الصهيونية، فهو يعيب على الصهيونية ترسيخها لمبدأ ضرورة عيش كل اليهود داخل إسرائيل، لأنه مبدأ لن يتحقق، إذ يقول: " من يعتقد أن الشعب اليهودى كله يجب أن يعيش داخل إسرائيل، والصهيونية بالنسبة له لم تنته بعد، ومن يقول ليس هناك حل آخر للشعب اليهودى إلا العيش فى إطار

---

(١) אברהם בלבן :מר מולכו,שם,[עמ' 113]

(٢) שם

(٣) :ב יהושע :בזכות הנורמליות,שם ,[עמ' 32]

**الصهيونية. فأنا أقول له، لقد انتهت الصهيونية بالنسبة لى. لأننــى لا أظــن أن كــل الشــعب اليهودى يجب أن يهاجر إلى إسرائيل "** (١).

(١) אהוד בן עזר: אין שאננים בציון, שם, [עמ' 97]